الآرَاءُ التَّرْبَوِيَّة
للإِمَامِ ابْنِ حَزْمٍ الظاهِرِيّ (ت٤٥٦هـ)

إعداد

أحمد عقل

تقديم

الأستاذ الدكتور

مصطفى رجب

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

عقل ، أحمد.

٣٧٠.١

ع . أ

الاراء التربوية للإمام ابن حزم الظاهري / أحمد عقل تقديم الدكتور مصطفى رجب . ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

٣٢٠ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : ٤ - ٤٧١ - ٣٠٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١. التربية – نظريات. ٢- التخطيط التربوي.

أ - العنوان.

رقم الإيداع : ٢٣٣١٢.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: *elelm_aleman@yahoo.com*

elelm_aleman@hotmail.com

فهرس الكتاب

تقديم

بقلم / أ.د/ مصطفى رجب

يُعدُّ الإمام الفقيه المحدِّث الشاعر الأديب ابن حزم الظاهري واحدًا من أعلام الحضارة الإسلامية بوجه عام، ومن أبرز علماء الأندلس بوجه خاص، وقد تجلت في شخصية ذلك العالم الموسوعي سمةٌ واضحةٌ كانت لدى معظم علماء المسلمين، فقد صَنَّفَ في الفقه، وأصول الفقه والحديث، وعلوم القرآن،والأنساب، والتاريخ، والسير، والمنطق، واللغة، والتفسير، والعقيدة والفلسفة، والشعر والأدب.

هذا مع تقدمه في معرفة الأديان والمذاهب، وسعة الإحاطة بها، لكنه كان شديد العبارة على العلماء، مطلقاً لسانه فيهم، الأمر الذي جعل الكثير ينفر عنه، والعامة تهرب منه، ولسبب ظاهريته أيضاً أخذ العلماء في التحذير منه، والتنفير عنه، وأغروا به الأمراء، حتى أحرقت كتبه في إشبيلية وتم طرد ابن حزم ومطاردته .

واشتهر ابن حزم بعلمٍ غزيرٍ، وثقافةٍ واسعةٍ، ولم ينكر تلك المنزلة أحدٌ سواءً من المؤيدين أم من المعارضين، فهو بحق موسوعةٌ علميةٌ أحاطت بأكثر المعارف التي كانت في عصره في تمكنٍ وإحاطةٍ تذهل الألبابَ وتطلق ألسنةَ العلماءِ بالمدحِ والثناءِ .

وقد نال ابن حزم الثناءَ من فحول العلماء ممن عاصروه، وممن أتوا بعده لمكانته السامية في الفهم والحفظ والإتقان، ولغزارة علمه، ولِمَا خلَّفه من مؤلفات كثيرة في علوم متنوعة.

وشهد لابن حزم علماء كثيرون بكثرة علمه، وسعة آفاقه، حيث إنه طرق أبواب علوم كثيرة، وصار له في كل منها رأي واجتهاد، وترك في أكثرها مؤلفات عظيمة تدل على ثروته الواسعة فيها وتمكنه القوي منها .

وقد عاش ابن حزم ما بين الربع الأخير من القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الخامس الهجري، حيث عاش ابن حزم في الحقبة الواقعة بين سنتي ٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ.

وكانت بلاد الأندلس في تلك الحقبة الزمنية تنعم بالهدوء والاستقرار والأمن، ورغد العيش إلّا أنَّ هذا لم يدم طويلًا، فقد اضطربت الأوضاع السياسية والاجتماعية، وسادت الفوضى وعَمَّ الاضطراب أرجاء الأندلس في الثلاثة عقود الأخيرة من حياة ابن حزم.

ونشأ ابن حزم وسط هذه التقلبات السياسية، وتيارات الانحلال الاجتماعي، التي كان لها أثر عميق على فكره، وكتاباته، وطِباعه، ومزاجه.

والإنسان ابن بيئته كما يقولون، يستمد منها مقومات شخصيته وعاداته وقيمه من المجتمع الذي يعيش فيه، لذا فإن دراسة العصر الذي عاش فيه ابن حزم من الأهمية بمكان لفهم شخصيته وتقويم إنتاجه، فليس من اليسير فهم ابن حزم منفصلاً عن عصره، فهو من أينع الثمرات التي جادت بها الأندلس .

والمطلع على كتاب "المُحَلَّى" لابن حزم يدرك أنَّه من الكتب العظيمة التي ينبغي العناية بها والحرص عليها وعلى دراستها، وقد امتدح هذا الكتابَ سلطان العلماء العز بن عبد السلام في قوله : " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلَّى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفَق الدين بن قدامة "

ويتميز كتاب " المُحَلَّى " بعدة مزايا تجعله ذا قيمة مستحقًا للدراسة، منها :

أَنَّ كتاب "المحلَّى" جاء بعد خلاصة اجتهاد الفقهاء لأكثر من أربعة قرون .

أَنَّ تدوين كتاب "المحلَّى" كان في أواخر حياة ابن حزم الظاهري، مما زاد في قيمة الكتاب، فقد كُتِبَ في المرحلة التي بلغ فيها ابن حزم قمة عطائه، وأوج ثرائه الفكري .

أَنَّ هذا الكتاب يعد واحداً – إن لم يكن الأوحد – من المصادر التي جمعت بين دفتيها فقه المذهب الظاهري بشكل كامل .

أَنَّ هذا الكتاب ثروة عظيمة نقلت لنا علوم السابقين، ودارت معارفه بين أحكام القرآن وأحكام الحديث، كما حوى فقه الصحابة، وفقه التابعين، وفقه الأئمة الأربعة، وفقه تابعي التابعين إلى منتصف القرن الخامس الهجري .

و هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ دراسة علمية نال عنها ابننا الباحث الجاد أحمد عقل محمود درجة الماجستير في أصول التربية ، وسعدت بالإشراف عليها ، وكانت من أواخر الرسائل التي تشرفت بمناقشة شيخنا الجليل الراحل الدكتور / حامد عمار طيب الله ثراه ، وهي دراسة تحرت الحياد العلمي ، فهي لا تدافع عن ابن حزم وعصره، وهي في الوقت نفسه لا تضعه في قفص الاتهام، بل هي محاولة للمعرفة والبحث والتقصي والتحليل كانت تتغيا :

١- تسليطِ الضوءِ على واحدٍ من أهمِّ مصادرِ الفقهِ الإسلاميّ من وجهةِ نظرِ تربويةِ
٢- إبرازِ صفحةٍ مطويةٍ من التَّراثِ التَّربويّ الإسلاميّ المجهولِ بشكلٍ عِلْمِيّ وموضوعيّ .

٣- محاولةِ الكشفِ عن الآراءِ التَّربويةِ في حياةِ أحدِ العلماءِ المسلمينَ، مما يسهمُ في تأصيلِ الفكرِ التربويّ الإسلاميّ .

٤- توضيحِ أهميةِ البحثِ عن الفكرِ التَّربويّ الإسلاميّ وإسهاماتِهِ في الحضارةِ الإنسانيةِ وخطورةِ إغفالِ هذا الجانبِ وعدم التَّنقيبِ عمَّا تَرَكَهُ العلماءُ المسلمونَ من آراءٍ تربويةٍ إسلاميةٍ أصيلةٍ .

٥- تكوينِ بصيرةٍ تربويةٍ من خلالِ قراءةِ وتحليلِ نصوصِ تربوية لأحدِ كبارِ المفكرينَ الإسلاميينَ .

٦- التَّعرفِ إلى مدى إمكانيةِ الاستفادةِ من الآراءِ التَّربويةِ لابنِ حزم الظاهري في واقعِ العمليةِ التَّربويةِ والتعليميةِ المعاصر

أهمية الكتاب :

١- المكانة العلمية لهذا النوع من الكتب، حيث يركز على إبراز الصفحة المشرقة لعلمائنا .

٢- يشكل هذا الكتاب محاولة للتأصيل الإسلامي للتربية كمتطلب ضروري في عصرنا الحاضر .

٣- يمكن أن يستفيد من هذا الكتاب الدعاةُ، والمهتمون بتأصيل العلوم التربوية والموجهون، والمعلِّمون، والتربويون، وأولياءُ الأمور في بناء منهج تربوي إسلامي صحيح .

٤- يعد هذا الكتاب إسهامًا متواضعًا في تأصيل بعض المفاهيم، والقيم، والمعايير والأساليب التربوية الإسلامية .

٥- يسد هذا الكتاب بعضَ النقص في الدراسات المتعلقة ببابها في المكتبة التربوية.

٦- لم ينل الإمامُ ابن حزم الظاهري حظًّا من الدراسات التربوية في مصر.

٧- تأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية كتاب "المحلّى" للإمام ابن حزم الظاهري، حيث يعد هذا الكتاب ثروة عظيمة نقلت لنا علوم السابقين وكتبهم، ودارت معارفه بين أحكام القرآن وأحكام الحديث.

٨- ربما يعد هذا الكتاب بدايةً لدراسات جديدة في التربية الإسلامية بعد توضيحها للآراء التربوية للإمام ابن حزم الظاهري من خلال كتابه "المحلّى".

٩- كتاب "المحلّي" للإمام ابن حزم الظاهري لم يُدرس من قبل من الناحية التربوية، لذا من الواجب دراسة مثل هذه الكتب التي تثري المكتبة العربية التربوية بمآثرها.

١٠- نظم ما تناثر من الآراء التربوية للإمام ابن حزم الظاهري في ثنايا كتابه "المحلّي"، مما يسهل على القارئ أو الدارس في التربية أن يلم بها بأقل جهد ومشقة .

١١- لعل أن يكون هذا الكتاب رمز وفاء، وعنوان تقدير وثناء للإمام ابن حزم الظاهري لبعض حقه على الأمة الإسلامية.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وقراءه وناشره وأن يجعله في ميزان حسناتنا جميعا يوم نلقاه.

أ.د/ مصطفى رجب

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية

والعميد الأسبق لكلية التربية بجامعة سوهاج

الفصل الأول :
مقدمات منهجية

مقدمة :

التربية هي الأداة الرئيسية في إعداد الأفراد وتنميتهم، وفي إصلاح الأمم وبنائها، وفي إقامة الحضارات وترقيتها، وذلك لأنها في المقام الأول استثمار لأثمن ما في المجتمعات والأمم من الثروات، وهي ثرواتها البشرية، ولأنها من خلال هذه الثروات ترسي دعائم التقدم والرقي والازدهار .

وأصبحت التربيةُ أيضاً من العوامل التي تفرِّق بين الأمم، فالأممُ التي عنيت بها أحرزت السبق، وتلك التي لم تعتنِ بها أصبحت من القاعدين، بل إنَّ السباقَ بين الأمم في الوقت الحاضر هو سباقٌ تربوي بالدرجة الأولى، فالأمة التي تُعَلِّمُ وتُربي بكفاءةٍ وفاعليةٍ أكبر هي اليوم الأعلى في السبق الحضاري .

والفكر التربوي يمثل الإطارَ النظري والفكري لما يحتاجه المجتمع في بناء أنظمته التربوية، وذلك بغية الوصول إلى مستوى حضاري راقٍ وتحقيق حضارة مزدهرة خاصة في ظل الزخم المعرفي والمعلوماتي.

وما الفكر التربوي إلا نتاج حضارة عريضة، امتدت على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان، وقد استمد قوته وحيويته من الدين واستطاع الفكر التربوي الإسلامي أن ينتج الإنسان الصالح القادر على التكيف مع واقعه(١) . فالتربيةُ القويمةُ هي أساسٌ لبناء الشخصية الإنسانية، وضرورةٌ حتميةٌ لرفعة الأمم وتطورها.

إنّ التربية الإسلامية هي القادرة على بناء شخصية الإنسان وصياغتها صياغةً متزنةً متكاملةً شاملةً، لتجعل منها خيرَ نموذج على الأرض، وتحقق العدالةَ الإلهية في المجتمع الإنساني، وتستخدم ما سَخَّرَ الله لها استخداماً صحيحاً لا شططَ فيه ولا غرور، ولا إفراط ولا تفريط[٢].

١- ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية، سوريا: دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٥هـ، صـ٢٦٥ .

١– هناء عبد الرحمن محمد النجار، "الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٩م، صـ٢ .

والتربية الإسلامية هي وسيلة الأمم في بناء أجيال ناهضة قادرة على الحفاظ على شخصيتها وهويتها في هذا العالم المضطرب، والذي تتدافع قوى وتيارات فكرية ومذهبية عديدة اجتمعت على كراهية المسلمين، وأوهمت الإنسان المعاصر بفقره وعجزه وأن تبعيته للتربية والفكر الغربي باتت واقعاً مسلماً به[٣].

كما اهتمت التربية الإسلامية بتكوين العادات السلوكية الحسنة عند الفرد منذ الطفولة الأولى، لما في هذه العادات من أثر طيب في اكتساب الفضائل والبعد عن الشرور والرذائل[٤].

ومن ثَمَّ لم تكن الدعوة للرجوع إلى الإسلام في ثقافته وما يرتبط بهذه الثقافة من نظم تربوية مجرد دعوة إلى تراث يجب الحفاظ عليه، بل هي دعوة إلى مصدر حيوي متجدد ومتطور على مرِّ العصور[٥]، قادر على تحقيق التقدم والتطور الثقافي للمجتمع.

فقد حظيت دراسة أعلام الفكر الإسلامي باهتمام كثير من الباحثين والتربويين، فنجد كثيراً من الدراسات التي تناولت شخصيات إسلامية وعربية تملك تراثاً غزيراً من العلوم، ولها إسهامات متميزة، ومن هذه الدراسات، دراسة (يوسف حسن سليمان أبو معمر)[٦] التي هدفت إلى إبراز الأبعاد التربوية المتضمنة في كتاب الأذكار للنووي المتمثلة في الأبعاد العقائدية والجهادية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها:

يعد كتاب الأذكار من أشهر الكتب للنووي وأهمها .

تجلي مفهوم الذكر في الإسلام .

الذكر في حياة المسلم له أبعاد تربوية تشمل مجالات عديدة .

الذكر فيه اطمئنان للقلب وراحة للنفس .

وقد هدفت دراسة (غالب حسن نصر الله)[٧] إلى استنباط المضامين التربوية من كتاب الأدب في صحيح البخاري، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها :

تضمنت أحاديث الكتاب المفاهيم التربوية كالإيمان، والتقوى، والرعاية، وأهمية التقوى والإيمان في ترسيخ القيم الخلقية والروحية والإنسانية .

٢– سعيد إسماعيل علي وآخرون، التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات، ط٢، السعودية: الرياض: دار الراشد، ٢٠٠٥م، صـ١١ .

٣– محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مصر: القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣م، صـ٦٧ .

٤- عمر محمد الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ط٤، ليبيا: طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، صـ٢٤ .

١- يوسف حسن سليمان أبو معمر، "الأبعاد التربوية المتضمنة في كتاب الأذكار للنووي"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٨م .

٢- غالب حسن نصر الله، "مضامين تربوية مستنبطة من كتاب الأدب في صحيح البخاري"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٩٩٨م .

الحث على رعاية الأبناء والآباء والزوجات .

الحث على مخالطة المربي لمن يربيهم .

اشتمال الأحاديث النبوية في كتاب الأدب على أساليب تربوية متنوعة .

وهدفت دراسة (علي حسين غاصب)[٨] إلى التعرف على المفاهيم التربوية التي اشتمل عليها كتاب التفسير الكبير، ثم تقويم هذه المفاهيم والتعرف على مدى اتفاقها مع توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها :

اتسمت التربية عند الرازي بالصبغة الإسلامية الخالصة .

أعطت مفاهيم الرازي التربوية تصوراً واضحاً وانطباعاً إيجابياً للتربية الإسلامية .

تراث المسلمين زاخرٌ بالفكر التربوي الذي يحتاج إلى تجميع وإعداد بطريقة صحيحة لإحلاله محل الفكر التربوي المعادي للإسلام .

وهدفت دراسة (عوض بن ردة السعدي)[٩] إلى استنباط مبادئ تربوية من الأربعين النووية، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها :

أهمية أن تكون التربية الإسلامية واقعاً ملموساً في حياتنا اليومية .

بيان ما تشتمل عليه التربية من آداب تحقق مفهوم الولاء لله ورسوله.

يجب أن تلتزم المؤسسات التعليمية في بلاد المسلمين بالأهداف العامة للتربية الإسلامية .

وهدفت دراسة (حسين عبد الله بانبيلة)[١٠] إلى استنباط القيم والأساليب التربوية من خلال خطب النبي - ق -، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها :

أهمية الخطابة العربية قبل البعثة لما لها من خطر في التوجيه .

استخدام النبي - ق - الخطابة كوسيلة في تربية أفراد الجيل الأول .

تميز القيم والمبادئ والمُثل التي دارت حولها الخطب النبوية بالثبات والشمول والتكامل والتوازن .

١- علي حسين غاصب، "المفاهيم التربوية عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال كتابه التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ .

٢- عوض بن ردة السعدي، "المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية من الأحاديث الصحيحة"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م .

١- حسين عبد الله بانبيلة، "بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ .

وهدفت دراسة (سليمان المزين)[11] إلى تحديد ملامح الفكر التربوي عند أحمد بن مصطفى ابن خليل الشهير بـ طاش كبرى زادة، والكشف عن نظرته الفلسفية للطبيعة الإنسانية، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها:

اتسام فكر طاش كبرى زادة بالتنوع والشمول والتكامل في البيئة التي عاش فيها .

السبق التربوي لطاش كبرى زادة من خلال إيضاحه عناصر المنهاج التربوي وتحديد الأهداف مسبقاً (دينية- دنيوية- عامة وخاصة) .

نظرته إلى الطبيعة الإنسانية ونظرية المعرفة نظرة متكاملة وشاملة وموافقة للفلسفة الإسلامية .

وهدفت دراسة (صالح مقبل)[12] إلى التعرف على الفكر التربوي عند الإمام الشوكاني، وذلك من خلال دراسة العديد من مؤلفاته ورسائله، وقراءتها قراءةً تربوية وإبراز آرائه منها، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها :

دعوة الشوكاني إلى وجود المعلم القدوة في الحقل التربوي؛ لأن أي نقص في إعداده يؤثر على المتعلمين .

أن الاهتمام بالكتاب المدرسي من الأمور التي تعتبر سبقاً في هذا الميدان للإمام الشوكاني بحيث يكون الاهتمام بالمحتوى والشكل .

أن المعرفة مكتسبة ومتطورة، وهي سائرة نحو الكمال وليست قاصرة على فئة معينة، بل هي طوع مَن أقبل عليها وأقدم على دراستها .

وهدفت دراسة (إيمان محمد عارف مقدم)[13] إلى بلورة بعض الآراء التربوية للخلفاء الراشدين، والتي جاءت في خطبهم ووصاياهم، واستخلاص أهم التطبيقات التربوية التي يمكن الاستفادة منها في المجال التربوي، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الفكر التربوي عند الخلفاء الراشدين قد اتصل بالأيديولوجية الإسلامية، وبكل المجالات الدينية والدنيوية، وبالله والكون والإنسان، وأنه قد اتسم بالشمول والعمق والأصالة والتوازن .

وهدفت دراسة (عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب)[14] إلى التعرف على الآراء التربوية لمفكر عربي، وأشهر الفلاسفة العرب وأعلاهم منزلة، وهو ابن سينا وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية قد لعبت دوراً مهماً في

٢- سليمان المزين، "الفكر التربوي عند أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بـ طاش كبرى زادة"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤١٨هـ .

١- صالح مقبل، "الفكر التربوي عند الشوكاني"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٢- إيمان محمد عارف مقدم، "الآراء التربوية في خطب ووصايا الخلفاء الراشدين"، رسالة دكتوراه، كلية التربية بأسوان، جامعة أسيوط، ١٩٩١م .

٣- عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، "الآراء التربوية في كتابات ابن سينا"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م .

تكوين الفكر التربوي لابن سينا، وأن ابن سينا ترك فكراً تربوياً تناول الإنسان، والمجتمع، والمعرفة، والأخلاق، وأنه قد نظر إلى الإنسان باعتباره مركباً من مبدأين هما : المادة والصورة، وأن المجتمع الإنساني عنده هو وليد الحاجة الطبيعية إلى أن يُشْبِعَ كل إنسان حاجته عن طريق إشباعه لحاجات الآخرين .

وهدفت دراسة (أحمد عبد الحميد أحمد أبو عرايس) إلى الكشف عن أهم الآراء التربوية المختلفة في كتابات ابن مسكويه، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن منهج ابن مسكويه في التأليف كان يمتاز بالأمانة العلمية التي لم توجد عند الكثير من علماء المسلمين في العصور الوسطى، وقد قال ابن مسكويه بثلاث وصايا، الأولى: جهاد النفس حتى تتعود الفضائل الأربع الكبرى (العفة والشجاعة والحكمة والعدالة)، والثانية : التمسك بالدين والوفاء بالعهد، والثقة في الله وتسليم الأمر كله لله، والثالثة : أن يتفرغ الإنسان لتربية غيره بعد أن يربي نفسه ويخبر بما يسمع من الآداب والعلوم .

وهدفت دراسة (محمد محمد إبراهيم مؤنس)[١٥] إلى الكشف عن العوامل التي كان لها الأثر في تشكيل وتكوين فكر رفاعة الطهطاوي التربوي، والبحث عن الآراء التي تميز بها فكر رفاعة الطهطاوي في العملية التربوية، والكشف عن مدى استجابة فكر رفاعة الطهطاوي لمتطلبات مجتمعه، والمساهمة في بناء فكر تربوي مصري يكسب التعليم المصري هوية خاصة به، ومن أبرز نتائج هذه الدراسة أن رفاعة الطهطاوي رغم اتصاله بالفكر الغربي دارساً وباحثاً إلّا أن معالجته الفكرية لم تكن اقتباساً فقط للأنماط الغربية، وإنما كان أصيلاً في فكره حيث جمع بين الأصالة والاقتباس، وأيضاً من نتائج هذه الدراسة أن إحياء جذورنا الأصيلة في أعماق تربيتنا لا تحول دون الإبداع والابتكار، بل تدعو إليه وتحث عليه، وتدفع إليه عن طريق بحثه ودراسته وتدريسه ومناقشته والاجتهاد فيه .

وهدفت دراسة (السيد عبد القادر الرفاعي شريف) إلى استخلاص الآراء التربوية لمفكر عاش حياته تحت وطأة الاحتلال البريطاني، وهو محمد فريد وجدي (١٨٧٨-١٩٥٤م)، وإبراز ملامح فكره وجهوده في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية والفلسفية، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن محمد فريد وجدي كان من المفكرين الذين اتسمت آراؤهم التربوية بالأصالة والوضوح، وذلك لارتباطها الوثيق بالمنهج التربوي الإسلامي المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهَّرة، وأنه قد ساير في معظم آرائه التربوية المبادئ الأساسية للقرآن الكريم .

٢- محمد محمد إبراهيم مؤنس، "الآراء التربوية في كتابات رفاعة الطهطاوي"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنوفية، ١٩٨٣م .

وهدفت دراسة (إيناس رشدي حسن)[١٦] إلى الكشف عن الأسس الفلسفية للتربية من خلال فهم خواطر الشيخ الشعراوي الإيمانية حول بعض آيات القرآن الكريم، والكشف عن بعض آرائه التربوية في إطار فهم الأسس الفلسفية للتربية وكذلك من خلال دراسة شخصيته وأبعاد حياته العلمية والعملية، ثم محاولة الاستفادة من آرائه التربوية في تطوير بعض أساليب التربية في مصر، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج كثيرة أكدت أهمية الاهتمام بالفلسفة الإسلامية كمصدر أساسي بالنسبة لتحديد الأهداف والمناهج وتحديد العلاقة بين المعلم والمتعلم في ضوء القيم الإسلامية، وضرورة الاستفادة من الفلسفة الإسلامية في صياغة فكرنا التربوي المعاصر .

وعلى الرغم من تغاير وتعدد تلك الدراسات فلا توجد - على حد علم الكاتب - دراسة مصرية تربوية تناولت ابن حزم الظاهري، فلقد ترك ابن حزم للأمة إرثاً عظيماً، وثروةً كبرى كتبها بعصارة عقله وجهده، الأمر الذي يدعو إلى التعرف إلى حياة علماء الأمة العاملين بعلمهم؛ لتكون لهم نبراساً ليهتدوا بها، وبها يحتذون ولكي يستنيروا بأفكارهم، ويقتبسوا من آرائهم، ويسلكوا المنهج الذي سلكوه، بعيداً عن الانهزامية والتقليد، والغلو والتشديد .

دواعي تأليف هذا الكتاب :

وبعد نظر طويل وتأمل وبحث واستشارة لأهل العلم استقر الأمر عند الكاتب على اختيار ودراسة كتاب " المحلَّى " لابن حزم الظاهري، والرغبة في الاستفادة من هذا الكتاب ازدادت لدى الكاتب بعد أن استقرأ ما كُتِبَ عنه، ولسببين رئيسيين تم اختيار هذا الكتاب، هما :

أن كتاب "المحلَّى" جاء بعد خلاصة اجتهاد الفقهاء لأكثر من أربعة قرون .

أن تدوين كتاب " المحلَّى " كان آخر حياة ابن حزم الظاهري، مما زاد في قيمة الكتاب، إذ أنه كُتِبَ في المرحلة التي بلغ فيها ابن حزم قمة عطائه وأوج ثرائه الفكري .

وعلى هذا حاول الكاتب استنباط الآراء التربوية لابن حزم الظاهري من خلال كتابه " المحلَّى "، الذي هو من أجلِّ مصنفاته .

والكتب والمؤلفات والرسائل الجامعية التربوية ذات التوجه الإسلامي تُشكِّلُ مجالاً معرفياً مهماً، هذا النتاجُ الفكريّ الذي يساعد في إيجاد فكر تربوي إسلامي معاصر يجمع بين الأصالة والمعاصرة .

٢- إيناس رشدي حسن، "الآراء التربوية للشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي ومدى الاستفادة منها في تطوير أساليب التربية المعاصرة في مصر"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنيا، ١٩٨٩م .

ويعد هذا الكتاب مكملاً للجهود السابقة، ومحاولة على طريق الاجتهاد الذي سبقني إلى بعضٍ منه آخرون برؤى مختلفة لوضع إطار عام لتربيةٍ تؤكد على منهج الإسلام في التربيةً .

أهداف الكتاب :

هدف الكاتب من وراء تأليفه لهذا الكتاب ما يلي :

تسليط الضوء على واحد من أهم مصادر الفقه الإسلامي من وجهة نظر تربوية

إبراز صفحة مطوية من التراث التربوي الإسلامي المجهول بشكل علمي وموضوعي

محاولة الكشف عن الآراء التربوية في حياة أحد العلماء المسلمين، مما يسهم في تأصيل الفكر التربوي الإسلامي .

توضيح أهمية البحث عن الفكر التربوي الإسلامي وإسهاماته في الحضارة الإنسانية، وخطورة إغفال هذا الجانب وعدم التنقيب عمَّا تركه العلماء المسلمون من آراء تربوية إسلامية أصيلة .

تكوين بصيرة تربوية إسلامية من خلال قراءة وتحليل نصوص تربوية لأحد كبار المفكرين الإسلاميين .

التعرف إلى مدى إمكانية الاستفادة من الآراء التربوية لابن حزم الظاهري في واقع العملية التربوية والتعليمية المعاصر .

أهمية الكتاب :

يمكن أن يستفيد من هذا الكتاب الدعاةُ، والمهتمون بتأصيل العلوم التربوية، والموجهون، والمعلِّمون، والتربويون، وأولياءُ الأمور، وغيرُهم في بناء منهج تربوي إسلامي صحيح .

يعد هذا الكتاب إسهاماً متواضعاً في تأصيل بعض المفاهيم، والقيم، والمعايير، والأساليب التربوية الإسلامية .

يسدُّ هذا الكتاب بعضَ النقص المتعلق ببابه في المكتبة التربوية .

ربما يعد هذا الكتاب بدايةً لمؤلفات جديدة في التربية الإسلامية بعد توضيحها للآراء التربوية للإمام ابن حزم الظاهري من خلال كتابه "المحلّى" .

كتاب " المحلّي " للإمام ابن حزم الظاهري لم يُدرس من قبل من الناحية التربوية، لذا رأى الكاتب أنه من الواجب دراسة مثل هذه الكتب التي تثري المكتبة العربية التربوية بمآثرها .

نظم ما تناثر من الآراء التربوية للإمام ابن حزم الظاهري في ثنايا كتابه "المحلّي"، مما يسهل على القارئ أو الدارس في التربية أن يلم بها بأقل جهد ومشقة .

لعلَّ أن يكون هذا الكتاب وأمثاله من المؤلفات رمز وفاء، وعنوان تقدير وثناء للإمام ابن حزم الظاهري لبعض حقه على الأمة الإسلامية .

تسهم مثل هذه المؤلفات في تعريف المجتمع بالدور البنّاء والمسؤول لباحثي التربية في محاولة التأصيل الإسلامي لعلم التربية .

المنهج المستخدم في الكتاب :

استخدم الكاتب في هذا الكتاب :

١- المنهج الوصفي التحليلي :-

اعتمد الكاتب علي المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة الكتاب وأهدافه؛ لكونه دراسة نظرية تحليلية، حيثُ يهتمُ هذا المنهجُ بوصف ما هو كائن وتفسيره،" كما أنه ينطوي على عددٍ من الخطوات أهمها تبويب البيانات وتلخيصها بعنايةٍ "[١٧]، وهذا ما قام به الكاتب في الفصول التحليلية، من حيث تحليل الآراء التربوية لابن حزم بعد تبويبها كي يسهل التعامل معها والخروج بالنتائج منها .

٢- المنهج التاريخي :-

واعتمد الكاتب على المنهج التاريخي، للتعرف إلى حياة ابن حزم الظاهري وترجمته، وأيضاً عند دراسة العوامل السياسية والاجتماعية والعلمية الفكرية التي أثرت في فكره .

٣- أسلوب تحليل المحتوى :-

استخدم الكاتب أيضاً أسلوب تحليل المحتوى بالطريقة الكيفية، وذلك للتعرف إلى الآراء التربوية لابن حزم الظاهري كما تظهر في كتابه "المحلَّى" .

١- مصطفى رجب وحسين طه، مناهج البحث التربوي بين النقد والتجديد، مصر: كفر الشيخ: دار العلم والإيمان، ٢٠٠٩م، صـ١٠١ .

حدود الكتاب :

إسهامات الإمام ابن حزم الظاهري متعددة الجوانب، فهو عَالِمٌ ربَّاني، عالم بالفقه والحديث واللغة وغيرها، لكنَّ هذا الكتاب اقتصر على دراسة مؤلَفه السفر العظيم، " المحلَّى "، ومحاولة الوقوف على أهم الآراء التربوية للإمام من خلال هذا الكتاب، وما تعَرَّضَ الكاتب لآرائه في المجالات الأخرى إلا بالقدر الذي يدعم ويثري هذا الكتاب .

مصطلحات ضرورية :

يفيدُ تحديدُ المصطلحاتِ الكاتبَ في ضبطِ الخطواتِ الكتابية، وانسيابِ عملِهِ الكتابي والبحثي، ويساعدُ على نقلِ المعلومةِ للقارئِ بوضوحٍ .

١- الآراء التربوية :-

قصد الكاتب بهذا المصطلح : الأفكار والتصورات المتكاملة فيما بينها لتنمية الإنسان من جميع جوانبه المختلفة .

٢- كتاب " المحلَّى " :-

هو أحد مؤلفات الإمام ابن حزم الظاهري المتنوعة، ويتكون هذا السفر العظيم من أحد عشر جزءاً جاءت في ثمانية مجلدات، وهو كتاب فقهي، اسمه الكامل " المُحَلَّى في شَرْحِ المُجَلَّى بالحُجَجِ وَالآثَارِ "، ويتكون من ستين كتاباً؛ تبدأ بكتاب "التوحيد" وتنتهي بكتاب "السرقة" .

الفصل الثاني :
حياة الإمام ابن حزم الظاهري وترجمته

تمهيد :

جاءت سطور هذا الفصل لتوضح بشكل يسيرٍ ترجمةً خاصةً للإمام ابن حزم الظاهري، يتناول فيها الكاتبُ اسمه، وكنيته، ولقبه وشهرته، ومولده، ونشأته وطلبه للعلم، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ومذهبه الفقهي، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه، وصولاً إلى وفاته، وذلك لمحاولة رسم صورةٍ بانورامية واضحةِ المعالم عن حياة الإمام منذ مولده حتى وفاته .

اسمه :

تناول عديد من كتب التراجم ابن حزم الظاهري، وكان مادةً خصبةً لها، ومن هذه التراجم يقول الحميدي عن اسمه : هو " علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب "[١٨] .

وقال صاعد الأندلسي هو " علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي "[١٩] .

وقال ياقوت الحموي : هو " علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي "[٢٠] .

وأثبت هذا النسب ابن خلكان بقوله : هو " علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي.

١- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مصر: القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، صـ٣٠٨ .

٢- صاعد الأندلسي (أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد ت٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، مصر: القاهرة: المكتبة المحمودية التجارية، (د.ت)، صـ١٠١ .

١- ياقوت الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مصر: القاهرة: دار المأمون، ١٣٥٥هـ، ج١٢، صـ٢٣٦،٢٣٥ .

وقال اليافعي : " هو عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم "[٢١] .

وبعد عرض اسمه من خلال هذه التراجم، وقراءة تراجم أخرى يخلص الكاتبُ إلى أنَّ اسم ابن حزم الثابت في كل المراجع دون خلافٍ هو : عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب .

كنيته :

يُكنى ابن حزم بـ " أبي محمد "، وهذا واضحٌ جليٌّ في معظم مؤلفاته .

لقبه وشهرته :

ذاع وشاع اسمه في الأوساط العلمية وغيرها باسم "ابن حزم "، وهو اسم جده الثاني
مولده :

مكان المولد : وُلِدَ ابن حزم بقرطبة[٢٢]، " بالجانب الشرقي من ربض منية المغيرة "[٢٣٥]، قرب مدينة الزهراء

زمان المولد : وُلِدَ ابن حزم في اليوم الأخير من شهر رمضان المعظم عام ٣٨٤هـ، يقول صاعد الأندلسي : " وكتبَ إليَّ بخط يده أنه وُلِدَ بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس آخر يوم من شهر رمضان المبارك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة "[٢٤] وعليه فإنَّ ابن حزم قد وُلِدَ يوم الأربعاء السابع من نوفمبر عام ٩٩٤م* (٩٩٤/١١/٧م)، وهذا بخلاف ما هو متعارف عليه بأنَّ العَالِمَ لا يُعرف تاريخ مولده، لكن يُعرف تاريخ وفاته، لأنه وُلد مغموراً ومات مشهوراً .

نشأته :

نشأ ابن حزم في قصر أبيه في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قرب مدينة الزهراء في الشارع الآخذ من النهر الصغير إلى الدرب المتصل بقصر الزهراء وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة[٢٥]، حيث استطاع أبوه أن يتصل بالأوساط السياسية ويكسب ثقة الحكام بما وهبه اللهُ من الذكاء وما تمتع به من العلم والأدب وحسن الإدارة، حتى أصبح من كبار وزراء المنصور بن أبي عامر[٢٦] .

٣- اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، لبنان: بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠هـ، ج٣، صـ٧٩ .
٤- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٥٧م، صـ٣٩٣ .
٥- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم القرقسوسي، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ج١٨، ١٤١٣هـ، صـ١٨٤ .
١- صاعد الأندلسي، مرجع سابق، صـ١٠٣ .
*- استخدم الكاتبُ عدة برامج إلكترونية لتحديد يوم مولد ابن حزم بالتاريخ الميلادي .
٣- ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر البصري ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٢، صـ٩٢ .
٤- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، مصر: القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م، صـ٣٥٢ .

وفي هذا القصر وفي هذه البيئةِ الناعمةِ، وسط هذه الأسرة نشأ ابن حزم في كنف جواري أبيه، حيث كان للنساءِ تأثيرٌ كبيرٌ في تربيته وتوجيهه وتنشئته فهو يقول : " لقد شاهدتُ النساءَ وعلمتُ من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيتُ في حجورهن، ونشأتُ بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالستُ الرجالَ إلا وأنا في حد الشبابِ وحين تفيل وجهي، وهن علمنني القرآنَ، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخطِ " ومن هنا نشأ ابن حزم نشأةً مرفهةً ناعمةً، في بيئة أرستقراطية مثقفةٍ.

ولهذه النشأةِ آثارٌ واضحةٌ في فكر ابن حزم وسلوكه " فالإطار الثقافي للمرأة واهتماماتها ودوافع سلوكها تختلف نسبياً عن الرجل، والعادات والاتجاهات التي ارتبطت بدور المرأة ووظائفها خلال آلاف السنين لابد أن تترك بعض الآثار على سلوكها، تنتقل باللاشعور لأجيال المتعلمين الذين تتعامل معهم، فالمعاشرة والاقتداء والتفاعل والاختلاط لابد أن تكون له بعضُ الآثار الجانبية التي تُكسب التلاميذ الصبيان بعضاً من أنثويات المرأة وأسلوب حياتها الخاص.

ففي هذه السن المبكرة يتخذ الطفلُ المعلمَ بديلاً عن الأب، والمعلمة بطبيعتها وتكوينها عاطفية أكثر من المعلم، مما يؤثر على تربيتها للمتعلمين، ويجعل هذه التربية تختلف اختلافاً نسبياً عن تربية المعلمين .

وقد أثـــَّرتْ هذه النشأةُ في ابن حزم، فيقول الدكتور/ الطاهر أحمد مكي : "فعلى أيديهن نشأ ابن حزم ومعهن تربى، ومنهن تَعَلَّم أشياءَ ليست أقل نفعاً، ولكنها مؤذيةٌ في سن الطفولة؛ لذا نشأ صبياً سريع التأثر، كثير المرض، ملحوظ العصبية، متقد الذكاء، مطبوعاً على الغيرة، سيئ الظن بالمرأة "[٢٧].

لكنَّ أباه أبا عمر لم يتركْ أمرَ تربيته لجواريه فقط، بل كانت عنايته به كبيرةً، حيث كان يصحبه معه إلى مجلس الحاجب المظفر بن أبي عامر لسماع الشعر وهو في الثانية عشرة من عمره[٢٨]، فنشأ ابن حزم في هذه الحقبة من حياته مُلِمَّاً بالقراءة والخط والأدب فنراه ينظم الشعر ولم يبلغ الحلم[٢٩] .

ومن العوامل التي سطَّرها ابن حزم عن نفسه في هذه الحقبة التي اتسمت بالترف والرفاهية، عاملٌ أثَّر في استقامته وعدم ذوبانه في حياة الترف ودواعي الفساد التي عاشها وعاصر مظاهرها في قصر أبيه، وهذا العامل يتمثل في أنَّ ابن حزم كان محاطاً في قصر أبيه برقباء ورقائب يرشدونه إلى الخير، وبعد أن كبر ابن حزم

٤- الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط٢، مصر: القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، صـ٧٧ .
١- الحميدي، مرجع سابق، صـ٢٤١ .
٢- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ١٨ .

وجهه أبوه إلى صحبة شاب صالح اسمه أبو علي الحسن بن علي الفاسي، ليقتدي به وينتفع بعلمه ودينه وورعه[٣٠] .

ومجملُ القولِ أَنَّ ابن حزم وُلِدَ ونشأَ وعاشَ في كنف أبيه الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم، في قصرٍ شامخٍ مشيَّدٍ في إحدى ضواحي قرطبة بالأندلس، وترَّبى وسط نساءِ أبيه فاكتسب منهن بعضَ الصفات التي أثَّرت في شخصه وحياته وفكره .

ومما سبق يتضح أن ترف البيئة ونعومتها وأرستقراطيتها، جعلتْ من ابن حزم ذلك الصبي المطبوع على فرط التدليل ونعومة المشاعر وإباء النفس، كما وجهته التربيةُ المحافظةُ إلى البُعدِ عن كل ما يشين، بالرغم من حياة الترف، ومخالطة صنوف النساء في بيت أبيه[٣١] .

طلبه للعلم :

بدأ ابن حزم طلبَ العلم وهو صغيرٌ، فتَعَلَّمَ القرآنَ، وبعض الأحاديث، وروى كثيراً من الأشعار، وتعلَّم القراءةَ والخطَ على أيدي النساء، ففي طفولته لم يرسله أبوه ليتعلم في حلقات الجامع، ولم يعهد به إلى مدرس بل فَضَّلَ أن يعلمه في القصر.

ويؤكد ذلك ابن حزم نفسه بقوله : "لقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وحين تفيل وجهي، وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني من أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً إلا تَعَرُّف أسبابهن والبحث عن أخبارهن وتحصيل ذلك "[٣٢] .

ولَمَّا ناهز ابن حزم الاحتلامَ، أخذ والده يصطحبه معه إلى بعض مجالس الحاجب المظفر بن أبي عامر وسمع فيها أبا العلاء صاعد بن الحسن ينشد الشعر، ثم بدأ يلازم الشيوخ ويرتاد مجالسهم، فقد ذكر صحبته للفاسي بقوله : صحبت أبا علي الفاسي في مجلس القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي ا [٣٣] .

٣- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ١٢٦ .
٤- أحمد هيكل، مرجع سابق، صـ٣٥٣ .
١- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ)، رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، لبنان: بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م، ج١،صـ١٦٦ .
٢- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ٢٧٥ .

ثـــــمَّ سلك طريق العلم فكان أول سماعه من أبي عمر أحمد بن الجسور، روى الحميدي عنه : " أنه أول شيخ سمع منه قبل الأربعمائة "[٣٤]، وعلى هذا فإن أول سماعه للعلم كان قبل أن يبلغ السادسة عشر من عمره .

ثم اهتمَّ بدراسة المذهب السائد في الأندلس مذهب الإمام مالك، فقرأ الموطأ على عبد الله ابن دحون المالكي، وتفقه على مذهب مالك رحمه الله[٣٥]، ثم انتقل الإمام من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي[٣٦]، " وناضل عن مذهبه، وانحرف عن مذهب غيره، حتى وُسِمَ به، ونسب إليه، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ "[٣٧]، " فمضى على ذلك وقتٌ، ثم انتقل إلى مذهب الظاهر، وتعصب له "[٣٨]، " ووضع الكتب في بسطه، وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله رحمه الله "[٣٩]، ومما أعانه على ذلك ما أنعم الله به عليه من الذكاء المفرط، وقوة الحفظ، والذهن المتوقد، حتى صار إماماً يذكر عنه كثيرٌ من العلوم .

وتتلمذ ابنُ حزم على يد كثيرين من الشيوخ وأخذ عنهم العلم، هؤلاء العلماء الذين كانوا أعظم ما ملأ السمع والأبصار في قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس .

شيوخه :

عاصر ابنُ حزم الظاهري كثيراً من الشيوخ ذوي الفضل والرأي من علماء عصره، الذين ارتاد مجالسهم وتردد عليهم، فتلقى عنهم العلمَ، وقد " عُرِفَ ابن حزم بكثرة سماعه، فأجمع أكثرُ المؤرخين له بأنه سمع سماعاً جمَّاً سواء في قرطبة أو المرَّية، أو بلنسية، أو شاطبة، لكن الحديث عن تلقي ابن حزم فروعاً دقيقة على كلِّ شيخ من شيوخه على حده من الصعوبة بمكان في عصر لم يكن التخصصُ الدقيقُ الفاصلُ بين أنواع العلوم موجوداً، بل غالباً ما كان المحدثُ فقهياً ومنطقياً ولُغوياً، وشاعراً، وإنَّما الأمرُ مجرد غلبة علم في ميول كل أستاذ من أساتذته "[٤٠] .

وبالتالي فإن الحديث عن تلقي ابن حزم فروعاً دقيقة على كل شيخ من شيوخه لا تزكيه طبيعة الكتاب من حيث انتمائه إلى الحقل التربوي .

٣- الحميدي، مرجع سابق، صـ١٠٧ .

١- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، صـ١١٥٠ .

٢- عبد الواحد المراكشي (محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ت٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، مصر: القاهرة: دار الاستقامة، ١٩٦٣م، صـ٩٤

٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ٢٠٠ .

٤- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ط٢،لبنان: بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ج٥، صـ٤٨٩ .

٥- ابن بسام (أبو الحسن بن علي بن بسام الشنتريني ت٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، لبنان: بيروت: دار الثقافة، ١٤١٧هـ،ج١، صـ١٦٨ .

١- عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري،ط٢، مصر: القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، صـ٩٨ .

وقد أجمعت المؤلفات التي تمتْ حول ابن حزم على أنَّ فهرس شيوخه مفقود لم يُعْثر عليه بعد، وحاول البعض جاهداً تحري أثرهم وحصر أسمائهم من ثنايا مؤلفاته المتوافرة بين أيدينا، إلا أنها لا تفي بالغرض في الإلمام بهم جميعاً وتَعَرّف الحقب الزمنية التي تلقى فيها عنهم، وكذلك ترتيبهم في تعليمه أو القراءة عليهم، إلا أن المتفق عليه أَنَّ ابن حزم بعد تلقيه الدرس على يد أبي علي الحسن بن علي الفاسي، تلقى وسمع من الكثيرين، منهم من ذكرت التراجم والمراجع أسماءهم وأفاضت في وصفهم وتصنيفهم، ومنهم مَن ذكرهم ابن حزم نفسه في مؤلفاته .

وفيما يلي يجتهد الكاتبُ لذكر أشهر العلماء والشيوخ الذين سمع عنهم ابن حزم، من خلال ما وقع بين يديّ الكاتب من كتب مَن ترجموا له، ومن خلال كتب ابن حزم نفسها، وأشهر هؤلاء العلماء، هم :

١- عبد الله الأزدي المعروف بـ " ابن الفرضي " (ت٤٠٠هـ)[٤١] .

٢- أبو عمر أحمد بن الجسور (ت٤٠١هـ)[٤٢] .

٣- يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن وجه الجنة (ت٤٠٢ هـ)[٤٣] .

٤- أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي (ت٤١٠هـ)[٤٤] .

٥- محمد بن عبد الله بن هاني بن هابيل اللخمي البزار (ت٤١٠هـ)[٤٥] .

٦- عبد الرحمن بن عبد الله الهمذاني (ت٤١١هـ)[٤٦] .

٧- عبد الله بن ربيع التميمي (ت٤١٥هـ)[٤٧] .

٨- أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاف الغافري (ت٤١٧هـ)[٤٨]

٩- حمام بن أحمد القاضي (ت٤٢١هـ)[٤٩] .

١٠- أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت (ت٤٢٦هـ)[٥٠] .

٢- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ٢٦٢ .
٣- الحميدي، مرجع سابق، صـ٣٠٨ .
٤- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت٥٧٨هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ط٢، تصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، صـ٦٢٧ .
١- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ٨١ .
٢- ابن بشكوال، مرجع سابق، ج٢، صـ٢٧٦ .
٣- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ٢٩١ .
٤- ابن بشكوال، مرجع سابق، ج١، صـ٢٥٣ .
٥- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ٢٩٤ .
٦- ابن بشكوال، مرجع سابق، ج١، صـ١٥٣ .
٧- سعيد الأفغاني، ابن حزم الأندلسي ورسالة المفاضلة بين الصحابة، ط٢، لبنان: بيروت: دار الفكر العربي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، صـ٣٥ .

١١- أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت٤٢٨هـ)[٥١] .

١٢- محمد بن سعيد بن نبات (ت٤٢٩هـ)[٥٢] .

١٣- يونس بن عبد الله بن مغيث القاضي (ت٤٢٩هـ)[٥٣] .

١٤- أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياني (ت٤٣٠هـ)[٥٤] .

١٥- عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون (ت٤٣١هـ)[٥٥] .

١٦- عبد الله بن يوسف بن نامي (ت٤٣٥هـ)[٥٦] .

١٧- عبد الله بن محمد بن عثمان (ت٤٤٠هـ)[٥٧] .

١٨- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ)[٥٨] .

١٩- أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت٤٧٨هـ)[٥٩] .

٢٠- أبو الحسن علي بن سعيد العبدري (ت٤٩١هـ)[٦٠] .

٢١- محمد بن الحسن المذحجي المعروف بـ "ابن الكتاني" (توفي بعد الأربعمائة بمدة)[٦١] .

هؤلاء بعضٌ من شيوخ ابن حزم، ولقد اجتمع له جمعٌ غفيرٌ من الشيوخ بالإضافة إلى ما امتنَّ اللهُ به عليه من الذكاء، والفطنة، وسيلان الذهن، وسرعة البديهة، وقوة الحفظ، وبالإضافة إلى ما اجتمع عنده من كتب العلماء جعلته رائداً من روَّاد العلم في الأندلس، قال الذهبي : " نشأ في تَنَعُّمٍ ورفاهيةٍ، ورُزِقَ ذكاءً مفرطاً وذهناً سيَّالاً، وكتباً نفسية كثيرة[٦٢] .

٨- الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ١٨٨٤م، صـ١٥١ .

٩- ابن بشكوال، مرجع سابق، ج٢، صـ٤٩٢ .

١٠- المرجع السابق، صـ٦٤٦ .

١١- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ٢٢ .

١٢- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ٢٦٤ .

١٣- الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، صـ١١٤٦ .

١- الحميدي، مرجع سابق، صـ٢٦٣ .

٢- ابن كثير، مرجع سابق، ج١٢، صـ٩٣ .

٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ٢٢ .

٤- سعيد الأفغاني، مرجع سابق، صـ٣٥ .

٥- ابن خلكان، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٢٦ .

٦- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٨٦ .

وسماع ابن حزم من كلِّ هؤلاء ينفي قول الشاطبي : " إنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدَّب بآدابهم"[٦٣]

ويرى الكاتبُ أَنَّ ابن حزم لم يقتصر فقط على ما تلقَّاه على أيدي الشيوخ بل قرأ واجتهدَ وفحص وغاص في أعماق أعماق المؤلفات، فما كان ابن حزم يتقيد بمذهبٍ معينٍ ولا شخصٍ معينٍ، بل كان يطلب العلمَ حيث وجده، ويسعى إلى الحكمة يلتقطها حيث وجدها، وبذلك اجتمع له الاطلاع الواسع الذي دلَّت عليه العلوم التي تركها للأجيال من بعده .

تلاميذه :

من مِنَّةِ اللهِ وكرمه فضله على هذه الأمة أن حفظَ لها مآثر علمائها، وعلومهم بعد موتهم وانقضاء أعمارهم، لقاء إخلاصٍ كانوا عليه، وحسن توجه قابلوا رَبَّهم عليه، وحسن ديانةٍ ودَّعوا الدنيا بها .

فلكل عَالِمٍ من العلماء تلاميذه الذين ينهلون من علمه، ويمثلون امتداد مذهبه وفكره، وكان ابن حزم ذا علم واسع غزير، وثقافة متنوعة، وكان من الأئمة الذين تفانوا في نشر علمهم ومن أصحاب الهمم العالية، لكنه كان عنيفاً في آرائه أحياناً جريئاً في مواقفه، حاداً في جدله، مما أثار عليه فقهاء عصره، فنفروا منه، وشنَّعوا عليه، ونهوا العوام من الأخذ عنه، وحذَّروا الحكام والأمراء منه، وحرَّضوهم عليه حتى نفوه عن بلادهم .

ومع ما ذُكِرَ فقد استمرَ ابن حزم سالكاً طريقته بعزيمةٍ صادقةٍ لا تعرف التردد، سائراً في طريقته لا يلتفت إلى مَن يخالفه، يبث علمه فيمن ينتابه من الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة ولا يسمعون أصواتِ المحذرين عنه، لثقتهم به ومعرفتهم بحقيقته، وإيمانهم بعلمه وفكره .

ورغم كلِّ هذا فلم يكن الجميعُ أعداء لابن حزم، بل كان له شيعة تناصره وتعاضده، وكان له طائفةٌ من التلاميذ والأتباع، وهم وإن كانوا قلة إلا أنه كان لهم الأثر الكبير في نشر علمه حتى طار ذكره في الأفاق[٦٤]

٧- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي ت٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، ط٢، مصر: القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٩٥هـ، ج١،صـ١٤٤ .

١- حنان بنت عيضه بن دوخي بن عثمان الثبيتي، "آراء الإمام ابن حزم الظاهري في التفسير ٣٨٤هـ-٤٥٦هـ من الآية ١٣٦ من سورة النساء إلى الآية ٥ من سورة المائدة جمعاً ودراسة"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ، صـ٥٢ .

وعلى الرغم مما كان عليه من اضطهاد، فقد استمر في التأليف والدرس، وبث العلوم المتنوعة حتى تُوفِّي، ولقد أقبل طلبة العلم على ابن حزم، ونهلوا من علمه وتتلمذوا عليه .

والوصول إلى حصر لتلاميذ ابن حزم يُعَدُّ مستحيلاً، فالمتتبع أسماء تلاميذه في الكتب التي عنيت بترجمته خاصةً، أو في كتب التراجم عامةً، يجد عدم استيعاب هذه الكتب لأسماء هؤلاء التلاميذ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى الأسباب التالية[٦٥] :

١- مخالفته للمذهب السائد في بلاد الأندلس بدعوته إلى الفقه الظاهري .

٢- دعوته إلى نبذ تقليد المذاهب والجمود عليها .

٣- تشنيعه على أئمة المذاهب المتقدمين، ووقوعه فيهم، وشدته في ردوده عليهم بسبب مخالفتهم لظاهر النصوص، مما ترتب عليه عداء كثير من الفقهاء له وتحذيرهم للعامة من الدنو منه والأخذ عنه .

٤- إغراء بعض الفقهاء السلاطينَ عليه، وزعمهم أنه صاحب فتنة مما جعل السلاطين يعادونه إمَّا بإقصائه أو سجنه أو إحراق كتبه .

٥- قربه من السياسة وولاؤه المفرط لبني أمية، وكانت قد أفلتْ شمسهم وكَثُرَ أعداؤهم .

٦- اشتغاله بالتصنيف عن مخالطة الناس .

وفيما يلي يذكر الكاتبُ أشهر تلاميذ ابن حزم، الذين أخذوا عنه وتلقوا، وهم :

١- أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت٤٦٢هـ)[٦٦] .

٢- أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٧٩هـ)[٦٧] .

٣- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (ت٤٨٨هـ)[٦٨]

٤- أبو الحسن علي بن سعيد العبدري (ت٤٩١هـ)[٦٩] .

٥- أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي (ت٤٩٣هـ)[٧٠] .

٢- بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف، "آراء ابن حزم الظاهري في التفسير (ت٤٥٦هـ) جمعاً ودراسة من الآية ٢٠٤من سورة البقرة إلى نهاية السورة وعدد المسائل ١١٠ مسألة"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، صـ٥٢ .

١- الضبي، مرجع سابق، صـ٣٢٣ .

٢- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٦ .

٣- المرجع السابق، ج٣، صـ١١٤٦ .

٤- ابن بشكوال، مرجع سابق، ج٢، صـ٤٠١ .

٥- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، صـ٣٧ .

مؤلفاته :

المؤلفات إحدى الوسائل التي حفظ اللهُ عز وجل بها مآثر أهل العلم، وقد كان من هؤلاء العلماء ابن حزم، فقد صَنَّف وأكثر المؤلفات في فنون عديدة .

فقد ترك ابن حزم بعد وفاته علماً غزيراً مسطراً في كتبه تتوارثه الأجيالُ ويتعاقبه الباحثون، فيُعدُّ ابن حزم من أكثر علماء الإسلام تأليفاً، فقد خلَّف وراءه مكتبةً موسوعيةً ضخمةً ضمت مجلداتها كثيراً من أنواع العلوم؛ الشرعية، واللُغوية والتاريخية، والأدبية، وغيرها، فقد وهب نفسه للعلم، وقصر جهده عليه، وجعلَ هدفَهُ وهمَّه وغايتَهُ تحصيل العلم ونشره، وذلك واضحٌ في قوله :

مُنَـايَ من الدنيا علوم أبثُها وأنشرها في كل بادٍ وحاضرِ

دُعَاءٌ إلى القرآن والسنن التي تناسى رجالٌ ذكرها في المحاضرِ[٧١]

ويُروَى عن صاعد بن أحمد الأندلسي أنه قال : " أخبرني ابنُه الفضل المكنـَّى أبا رافع أنَّ مبلغَ تواليفه في الفقه، والحديث، والأصول، والنِّحل، والملل، وغير ذلك من التاريخ والنسب، وكتب الأدب، والرد على المعارض نحو أربعمائة مجلَّد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وهذا شيء ما علمناه لأحدٍ مِمَن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنَّه أكثرُ أهلِ الإسلامِ تصنيفاً...فقد حسبتُ أيام حياته وحسبتُ تصانيفه فكان لكل يوم أربع عشرة ورقة "[٧٢] .

ويقول الحميدي عنه : " كان متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً "[٧٣] .

ويذكر ابن حزم أسبابَ كثرة مؤلفاته بقوله : " ولقد انتفعت بمحل أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي، واحتدم خاطري، وحمى فكري، وتهيج نشاطي، وكان سبباً إلى تواليف لي عظيمة النفع، ولولا استثارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثتُ لتلك التواليف "[٧٤] .

١- ابن بشكوال، مرجع سابق، ج٢، صـ٣٩٦ .
٢- ياقوت الحموي، مرجع سابق،ج١٢، صـ٢٣٨ .
٣- الحميدي، مرجع سابق، صـ٣٠٨ .
١- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦ هـ)، الدرة فيما يجب اعتقاده، تحقيق: أحمد ناصر الحمد، وسعيد القزقي، مصر: القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ، صـ١١٠،١١١ .

وعلى الرغم من الكم الهائل من مؤلفات ابن حزم فإنه لم يصلنا منها إلا القليل، " ويمكن إرجاع كل ذلك إلى ما تعرض له ابن حزم من المقاومة والاضطهاد من قِبل علماء المالكية، الذين كانوا يحذرون الحكام وطلاب العلم والعامة من الاتصال بمذهبه الظاهري، ويضاف إلى ذلك ما قام به المعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية من إحراق كتب ابن حزم لكسب رضا فقهاء المالكية وأتباعهم من العامة"[٧٥]،

فلما أحرق المعتضد كتب ابن حزم نكايةً به، تألم وقال في ذلك أبياته الشهيرة :

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

دعوني من إحراق رقٍ وكاغدٍ ... وقولوا بعلمٍ كي يرى الناسُ مَن يدري

وإلا فعودوا في المكاتب بدأه ... فكم دون ما تبغون لله من سترِ[٧٦]

ولقد كانت كتبه من الكثرةِ بحيث اختلف مترجموه في حصرها وعدها، وفيما يلي يجتهد الكاتبُ لذكر أشهر مؤلفات ابن حزم، من خلال ما وقع بين يديّ الكاتب من مصادر، وهذه المؤلفات هي :

١- الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها[٧٧] .

٢- الاتصال[٧٨] .

٣- الإحكام في أصول الأحكام[٧٩] .

٤- اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة[٨٠] .

٢- عمر فروخ، ابن حزم الكبير، لبنان: بيروت: دار لبنان، ١٤٠٠هـ، صـ٥٤ .
٣- ابن بسام، مرجع سابق، ج٤،صـ٦٥٧ .
٤- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٤ .
١- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٧ .
٢- ابن خلكان، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٢٥ .
٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٧ .

٥- اختلاف الفقهاء الخمسة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداود[٨١] .

٦- الأخلاق والسير في مداواة النفوس[٨٢] .

٧- الأدوية المفردة[٨٣] .

٨- الاستجلاب[٨٤] .

٩- أسماء الله الحسنى[٨٥] .

١٠- إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل[٨٦] .

١١- الإظهار لما شنع به على الظاهرية[٨٧] .

١٢- الاعتقاد[٨٨] .

١٣- الإعراب عن الحيرة والالتباس الواقعين في مذهب أهل الرأي والقياس[٨٩]

١٤- الإملاء في قواعد الفقه[٩٠] .

١٥- الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع[٩١] .

١٦- بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل[٩٢] .

١٧-التأكيد[٩٣] .

١٨- التبيين في هل علم المصطفى ق أعيان المنافقين[٩٤] .

١٩- التحقيق في نقد زكريا الرازي في كتابه العلم الإلهي[٩٥] .

٢٠- التلخيص لوجوه التخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والسنة[٩٦] .

٤- المرجع السابق، ج١٨، صـ١٩٤ .
٥- كتاب مشهور، نُشر عدة مرات، منها طبعة الكتب العلمية ببيروت، وقد اعتمد عليه الكاتب في هذا الكتاب
٦- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٧ .
٧- المرجع السابق، ج١٨، صـ١٩٥ .
٨- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٧ .
٩- اليافعي، مرجع سابق، ج٣، صـ٧٩ .
١٠- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٦ .
١١- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٩ .
١٢- ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج١٢، صـ٢٥٢ .
١٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٥ .
١- ابن خلكان، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٢٥ .
٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ٢٩٦ .
٣- المرجع السابق، ج١٨، صـ١٩٦ .
٤- المرجع السابق، ج١٨، صـ١٩٤ .
٥- المرجع السابق، ج١٨، صـ١٩٥ .
٦- ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج١٢، ص٢٥٢ .

٢١- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ العامية والأمثلة الفقهية[٩٧] .

٢٢- جمهرة أنساب العرب[٩٨] .

٢٣- الدرة فيما يجب اعتقاده[٩٩] .

٢٤- ديوان ابن حزم[١٠٠] .

٢٥- السيرة النبوية[١٠١] .

٢٦- طوق الحمامة في الألفة والألاف[١٠٢] .

٢٧- الفِصل في الملل والأهواء والنحل[١٠٣] .

٢٨- المجلّى بالاختصار[١٠٤] .

٢٩- المُحَلَّى في شَرْحِ المُجَلَّى بالحُجَجِ وَالآثَارِ[١٠٥] .

٣٠- مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض[١٠٦] .

٣١- منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف[١٠٧] .

٣٢- نسب البربر[١٠٨] .

٣٣- نكت الإسلام[١٠٩] .

٣٤- اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين[١١٠] .

وبعد عرض كل هذه المؤلفات لابن حزم، وعلى الرغم من كثرتها إلا أن كثيراً منها

٧- الحميدي، مرجع سابق، صـ٣٠٩ .

٨- كتاب مشهور، نُشر عدة مرات، منها طبعة دار المعارف بالقاهرة، بتحقيق: إ. ليفي بروفنسال، وقد اعتمد عليه الكاتب في هذا الكتاب .

٩- كتاب مشهور، نُشر عدة مرات، منها الطبعة التي صدرت عن مطبعة المدني بالقاهرة، بتحقيق: أحمد ناصر الحمد، وسعيد القزقي، وقد اعتمد عليه الكاتب في هذا الكتاب .

١٠- نُشر عدة مرات، منها طبعة دار الصحابة بالقاهرة، بتحقيق ودراسة: صبحي رشاد عبد الكريم، وقد اعتمد عليه الكاتب في هذا الكتاب .

١١- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٧ .

١- أشهر كتب ابن حزم الظاهري، ونُشر عدة مرات، منها الطبعة التي صدرت عن مطبعة الاستقامة بالقاهرة، بتحقيق: حسين كمال الصيرفي، وقد اعتمد عليه الكاتب في هذا الكتاب .

٢- كتاب مشهور، نُشر عدة مرات، منها طبعة دار الجيل ببيروت، بتحقيق: محمد إبراهيم النصر وعبد الرحمن عميرة، وقد اعتمد عليه الكاتب في هذا الكتاب .

٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٧ .

٤- كتاب مشهور متداول، نُشِرَ عدة مرات، منها طبعة دار التراث بالقاهرة، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وهو موضوع هذا الكتاب .

٥- ابن خلكان، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٢٦ .

٦- ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج٤، صـ١٦٥٧ .

٧- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٥ .

٨- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٩ .

٩- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٥ .

مفقود، " ويدرك المطلع في مؤلفات ابن حزم بوجه عام مقدرته العقلية العجيبة في الفهم الدقيق والنظر الشامل، وفي الاستنباط الدقيق، وفي نقد آراء الغير ومجادلتهم، وهذه خاصية عقلية تلحظها في عموم كتبه فلا تكاد تجده مرةً مسترخي الذهن، أو نائم العقل، أو مستسلماً للنقل، وإنما هو حاضر العقل يقظ الذهن ما يقول لابد أنه مرَّ من رأسه، وتردد بين تلافيف مخه، لذا تراه إذا عرض الموضوع الذي يريد لا يفرض عليه شيئاً من أطرافه المتشعبة ويصل إلى الهدف الذي رسمه في مبدأ الطريق بخطٍ مستقيمٍ، وهذه صفة نادرة في العلماء الواسعي الثقافة، وتراه مع كل هذا سالكاً طريقته الحرة الصريحة التي لا يسير فيها وراء أحد مهما كانت منزلته ما دام يخالف ظاهر الكتاب والسنة، أو يأتي بقول لا يدلان عليه أو لا يعتمد فيه على صريحهما أو يخالف بداءة العقول "(١١١)

مذهبه الفقهي :

لقد عُرِفَ ابن حزم بظاهريته، والحديث عن ظاهريته يستدعي الحديث عن نشأة المذهب الظاهري وانتقاله إلى الأندلس، والوقوف على كيفية ظهوره ومشاهير أعلامه.

أ. نشأة المذهب الظاهري وانتقاله للأندلس :

سبق ابنَ حزم بهذا المذهب، أبو سليمان داود الأصبهاني، " وهو أبو سليمان داود بن علي ابن خلف البغدادي الظاهري المعروف بالأصبهاني، الحافظ المجتهد كان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً متقللاً، انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد في وقته، وكان معجباً بالإمام الشافعي حيث صَنَّفَ في فضائله والثناء عليه كتابين، ثمّ صار صاحب مذهب مستقل"(١١٢)، وهو أول من أظهر القول بالظاهر(١١٣).

ويقول تاج الدين السبكي عن محاسن عددٍ من الفقهاء - ومنهم أبو سليمان داود - : " ونعتقد أنَّ أبا حنيفة، ومالكاً، والشافعيَّ، وأحمدَ، والسُّفْيانينِ، والأوزاعيَّ وإسحاق بن راهويه، وداود الظاهريَّ، وابن جرير، وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى في العقائد وغيرها، ولا التفات إلى مَن تكلم فيهم بما هم بريئون منه فكانوا من العلوم اللَّدُنّيّة، والمواهب الإلهية، والاستنباطات الدقيقة، والمعارف الغزيرة، واللينِ والورعِ والعبادةِ والزهادةِ والجلالةِ بالمحلِّ الذي لا يسامى "(١١٤) .

١- أحمد بن ناصر الحمد، ابن حزم وموقفه من الإلهيات. عرض ونقد، السعودية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٦هـ، صـ٧١ .
٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٣، صـ٩٧ .
٣- اليافعي، مرجع سابق، ج٢، صـ١٨٤ .
١- ابن كثير، مرجع سابق، ج١١، صـ٤٧ .

فقد كان أبو سليمان داود ناسكاً زاهداً ورعاً تقياً، يعيش على القليل أو أقل القليل، درس المذهب الشافعي، ولكنه لم يلبث قليلاً إلا وخرج عنه، مؤسساً لمذهبه الخاص المستقل الذي يعتمد على ظاهر النصوص دون تأويل، وإبطال القياس جملةً وتفصيلاً .

وارتبطت نشأة المذهب الظاهري بعلاقات وأواصر أكيدة مع أهل الحديث، وذلك للأسباب الآتية[١١٥] :

١- أهل الظاهر محدِّثون، ومن المحدِّثين انبثقوا، وعلى أيديهم تخرَّجوا، وإمامهم أبو داود تلقى علمه على علماء الحديث في عصره، ولهذا صرَّح ابن حزم بأَنَّ أصحاب الظاهر من أهل الحديث أشد اتباعاً وموافقةً للصحابة.

٢- أهدى المحدِّثون لأهل الظاهر المادةَ التي يعتمدون عليها في فقههم.

٣- كراهية المحدِّثين للقياس، وتحذيرهم من استعماله إلّا عند الضرورة مما مَهَّدَ للظاهرية إنكار القياس

٤- المحدِّثون هم الذين مَهَّدُوا لنشأة الظاهرية في المغرب على يد بَقِيّ بن مخلد وغيره، عندما عاد من المشرق متأثراً بالمحدَّثين، ناشراً الظاهرية مرسِّخاً قواعدها.

وعلى الرغم من نسك وزهد وورع أبي سليمان داود، فلم يروِ العلماءُ عنه إلا قليلاً مع عبادته ونسكه وكونه ثقةً، وذلك للأسباب الآتية[١١٦] :

١- إنكاره القياس جملة، وبذلك خالف جمهور الفقهاء حتى أئمة السنة مثل الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من أئمة الفقه بالحديث .

٢- تصريحه بأن القرآن مُحْدَثٌ، وقد تقرر في ذلك الوقت أن علماء المبتدعة هم الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، فهو بهذا قد عدُّوه ضمن المبتدعة، وإن كان يكتم ذلك عن الإمام أحمد لينال علمه ويتلقى عنه.

ومما أُخذ على داود أنه منع التقليد منعاً مطلقاً، وأجاز لكل فاهم للعربية أن يتكلم في الدين بظاهر القرآن والسنة، حتى جرَّأ العامةَ على ما لا قِبلَ لهم به من أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة[١١٧] .

٢- عبد المجيد محمود عبد المجيد، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، مصر: المنصورة: دار الوفاء، ١٩٧٩م، صـ٢٥٠-٢٥٦ .

١- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، صـ٣٦٥ .

٢- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ٢٦٠ .

وعليه فإن هذا المذهب يقوم على إنكار القياس، ويرى أَنَّ في القرآن والحديث ما يكفي لبيان الأحكام، فهو يتمسك بظاهر الكتاب والسنة، ومن ثَمَّ لُقِّبَ صاحبه بـ" الظاهري " .

وعلى ذلك اشتدت حملة العلماء على مذهب داود في حياته وبعد مماته "ومهما يكن رأي العلماء في مذهب داود فقد كانت له حياته بالمشرق وانتشر القول بالظاهر في القرنين الثالث والرابع، حتى قال أصحاب التقاسيم : إنه رابع المذاهب بعد مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة، فقد كان أكثر انتشاراً من المذهب الحنبلي في القرن الرابع الهجري "[١١٨] .

هذا عن نشأة المذهب الظاهري بالمشرق، " وفي القرن الخامس الهجري جاء القاضي أبو يعلى وجعل للمذهب الحنبلي مكانةً زحزحت المذهب الظاهري عن مكانه وحل محله"[١١٩]، فإذا كان نجم المذهب الظاهري قد أَفَلَ في الشرق، فقد بزغ في ذلك الوقت في بلاد الغرب .

وينتقل المذهب الظاهري - بعد أن جاء المذهب الحنبلي يبعده عن بلاد الشرق - إلى بلاد الغرب، والتي كانت أرضاً خصبةً لبزوغ شمس هذا المذهب، فهناك وجد المذهبُ الظاهري رجالَه الذين يحرسونه ويدافعون عنه .

وفي الأندلس يُعدُّ " أول مصرح بالظاهرية هو القاضي منذر بن سعيد البلوطي الذي مَكَّنَ لهذا المذهب غاية التمكين لمكانته العلمية في دولة الناصر، فهو خطيب الأندلس المفوّه، وقاضي الجماعة في قرطبة "[١٢٠]، ثم استمرت الظاهريةُ مذهباً مستقلاً حتى وصلت إلى إمامها الثاني ومُؤصِّلِ أصولها ومرسي قواعدها ابن حزم الذي ظهر في القرن الخامس الهجري، والذي تهيأت بجهوده واجتهاداته الظروف لانتشار المذهب الظاهري من جديد، فقد خدم ابن حزم هذا المذهب بما قام به من ترسيخ أصوله وتدوينها في الكتب والمؤلفات، وبما أفناه من عمره وحياته يذبّ عن المذهب الذي تَمَذْهَبَ به .

وواصل تلاميذ ابن حزم - كالحميدي- مسيرة ظاهرية ابن حزم، حتى جاء زمن الموحدين فجعلوها منهاجاً لدولتهم[١٢١]، ثـُمَّ غدا انتشار مذهب الظاهرية بعد ذلك ما بين مدٍّ وجزرٍ، يأخذ به نفرٌ قليلٌ إلى وقتنا هذا.

٣- المرجع سابق، صـ٢٦١ .
١- ابن كثير، مرجع سابق، ج١٢، صـ١٠٢ .
٢- الحميدي، مرجع سابق، صـ٣٤٨ .
٣- أحمد محمد بكير، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، لبنان: بيروت: دار قتيبة، ١٤١١هـ، صـ٣٢ .

ب. ظاهرية ابن حزم :

يقول ابن حزم : " واعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا ستر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه، واتهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان، وكل من ادَّعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوى ومخارق، واعلموا أن رسول الله ق لم يكتم كلمة فما فوقها، ولا كان عنده ق سرٌ ولا رمزٌ ولا باطنٌ "[١٢٢] .

ومنه يتضح أن مذهب ابن حزم هو المذهب الظاهري الذي يقرِّر أنَّ المصدر الفقهي هو النصوص، ولا رأي في حكم من أحكام الشرع، مما يعني عدم الأخذ بالقياس ولا بالاستحسان، وعلى الرغم من أنَّ داود بن علي الأصبهاني هو منشئ المذهب، فيرجع لابن حزم فضل التوضيح، والبيان، والأدلة، والبسط الواضح، كما أنه فوق هذا كله أشد استمساكاً بالظاهرية من داود بن علي الأصبهاني .

وقد كان الدافع الرئيسي لتبني ابن حزم المذهب الظاهري انحراف عدد من العلماء والفقهاء الذين التفوا حول بعض الملوك ليفتوا لهم فتاوى توافق حكمهم وأهواءهم، فكانوا يستخدمون القياس في ذلك، لذا رفضه رفضاً للوصولية عندهم[١٢٣]

ومما يدلل على مذهبه الفقهي وأخذه بظاهر النصوص من الكتاب والسنة ما أنشده قائلاً :

وذي عذل فيمن سباني حسنه	يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن حسن وجه لاح لم ترَ غيره	ولم تدرِ كيف الجسم أنت قتيل؟
فقلت له أسرفت في اللوم فاتّئد	فعندي رد لو أشاء طويل

ويقول :

أَشْهِدُ اللهَ والملائكَ أنّي	لا أرى الرأيَ والمقاييسَ ديناً

١- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦ هـ)، الفِصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم النصر، وعبد الرحمن عميرة، لبنان: بيروت: دار الجيل، (د.ت)، ج٢، صـ١١٦ .

٢- عماد جميل عبد الرحمن عبيد، "جهود ابن حزم في جدال اليهود"، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٧م، صـ٤٢ .

حاشَ للهِ أن أقولَ سوى ما جاءَ في النصِ والهدى مستبيناً

كيفَ يخفى على البصائر هذا وهو كالشمسِ شهرةً ويقيناً[١٢٤]

فالمذهب الظاهري قام على يد عالِمينِ هما؛ أبو سليمان داود بن علي، وابن حزم، فأصَّلَه داود، وزاده ابن حزم تأصيلاً وتجديداً، فألمعية ابن حزم زادت هذا المذهب شهرةً وقوةً .

فوصفت ظاهرية ابن حزم بأنها منهجية لا مذهبية، وأَنَّ له نظراته التي جعلت من الواجب تسمية اجتهاده الفقهي بالحزمية[١٢٥] .

والمذهب الظاهري مذهبٌ بَقِيَ في الأندلس مذهباً قوياً صار له شيوخ اختصوا بالدفاع عنه[١٢٦]، وقد اعتنقه ابن حزم والمذهب كان في أكثر الأوقات حاجةً إلى مثل شخصيته، وقد قيل إنَّ ابن حزم تفقه بعد مالكيته للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله، جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص، وعموم الكتاب والسنة، وصنَّف في ذلك كتباً كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه .

ج. أسباب ظاهرية ابن حزم :

بعد هذا الاستعراض الموجز لنشأة المذهب الظاهري على يد أبي سليمان داود وظاهرية ابن حزم، يمكن للكاتب أن يُعَدِّدَ الأسباب التي دفعت ابن حزم إلى الأخذ بظاهر الكتاب والسنة، وإقباله على الظاهرية واعتناقها :

١- دراسة ابن حزم للمذهب الشافعي، وتضلعه في كتبه أثَّر في فكره حيث اكتسب روح المجادلة والمناظرة للبحث عن الحق والتجرد لما يؤازره الدليل ولو كان رأياً متبعاً[١٢٧] .

٢- رسوخ قدم ابن حزم في علم الحديث ومحبته له جعلته لا يبتغي بغيره بديلاً ولا يرضى عنه تحويلاً، فكل ما وافقه الدليل فهو حق، وكل ما خالفه فهو باطل لا عبرةَ به، وفي ذلك يقول :

٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ٢٠٥،٢٠٦ .
٣- عبد الحليم عويس، مرجع سابق، صـ٩٤ .
٤- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ٢٣٧ .
١- عبد الحليم عويس، مرجع سابق، صـ٨٩ .

وفي وضع الموازينِ[١٢٨] .

أنائمٌ أنتَ عن كتبِ الحديثِ وما	أتى على المصطفى فيها من الدينِ
كمسلم والبخـاري اللذين هما	شـدا عرى الدين في نقلٍ وتبيينِ
أولى بأجـر وتعظيم ومحمـدة	من كل قول أتى من رأي سحنونِ
يا مَن هدى بـهما اجعلني كمثلهما	في نصر دينك محضاً غير مفتونِ
لا تقطعن بي ربّ العرش دونــهما	يوم الحساب

٣- تحرره من التقليد المذهبي الذي كان يُخَيِّمُ على الأندلس خاصةً، والبلاد الإسلامية عامةً، فالمذهب المالكي كان سائداً في بلاد المغرب، ولم تكن بقيةُ المذاهب رائجةً، فلمَّا انتشر علم الحديث في الأندلس وظهرت كتب اختلاف الفقهاء، عرفت بعض المذاهب الأخرى كالمذهب الشافعي فبدأت بعض مظاهر التغير تحدث في الأندلس[١٢٩] .

٤- أنكر ابن حزم القياس وتعليل النصوص، واعتبره تقوّلاً على الله بغير علم، خاصةً وأنَّ بعض الفقهاء اتخذه مركباً للوصول إلى السلاطين، فابن حزم كان يشهد المهازل التي تجري على مسرح السياسة الأندلسية – بحكم اختلاطه بالشؤون السياسية - باسم الشريعة، ويعرف من أسرار المجتمع الذي يعيش فيه ما لا تُتاحُ معرفته، ويدركُ أن هذه الموبقات والمفاسد والظلمات إنَّما وقعت لتجاوز النصوص الشرعية، وتأويلها، والأخذ بالقياس والرأي الشخصي والفتاوى المغرضة .

٢- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦ هـ)، ديوان ابن حزم، جمع وتحقيق ودراسة: صبحي رشاد عبد الكريم، مصر: طنطا: دار الصحابة، ١٤١٠هـ، صـ٦٤ .
١- عبد الحليم عويس، مرجع سابق، صـ٨٥ .

وهذا مما دعاه إلى نبذ القياس وأهله، وفي ذلك يقول :

وإنني مولـعٌ بالنصِ لستُ إلى سـواه أنحو ولا في نصرهِ أهـنُ

لا أنثني نحـو آراءٍ يُقـالُ بـها في الدينِ بل حسبي القرآنُ والسننُ

دعهم يعضوا على صم الحصى كمداً مَن مات من قولة عندي له كفنُ[١٣٠]

٥- نفرة ابن حزم من تعصب بعض الفقهاء لآراء الأئمة وعدم تعويلها على الأدلة، مما أدَّى إلى الجفوة بين بعض الفقهاء وابن حزم وطعنهم فيه وتضليله في آرائه واختياراته الفقهية .

٦- ورع ابن حزم وخشيته أن يَنسبَ إلى دين الله ما ليس منه برأي أو قياس أو استحسان، فأقبل على ظواهر النصوص، وأعرضَ عمَّا سواها .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

يُعدُّ ابن حزم واحداً من أعلام الحضارة الإسلامية بوجه عام، ومن أبرز علماء الأندلس بوجه خاص، وقد تجلت في شخصية ذلك العالم الموسوعي سمةٌ واضحةٌ كانت لدى معظم علماء المسلمين، فقد صَنَّفَ في الفقه، وأصول الفقه، والحديث وعلوم القرآن، والأنساب، والتاريخ، والسير، والمنطق، واللغة، والتفسير، والعقيدة والفلسفة، والشعر والأدب .

وابن حزم صورةٌ للعزيمة الصادقة القوية التي لا تقبل الترددَ بحالٍ، يقول ياقوت الحموي : " إن ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي، صاحب المنتقى، والاستغناء، وغيرهما من التواليف وجرت بينهما مناظرةٌ، فلما انقضت، قال الفقيه أبو الوليد : تعذرني فإِنَّ أكثر مطالعتي كانت على سراج الحراس، قال ابن حزم : وتعذرني أيضاً فإِنَّ أكثر مطالعتي كانت على منابرٍ من الذهبِ والفضةِ، أراد أَنَّ الغنى أضيعُ لطلب العلم من الفقر "[١٣١]، لكن همة ابن حزم كانت أعلى من أن يمنعها الغنى ودواعيه من طلب العلم والعكوف عليه .

٢- ابن حزم، ديوان ابن حزم، مرجع سابق، صـ٦٣ .

١- ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج١٢، صـ٢٣٩ .

واشتهر ابن حزم بعلمٍ غزيرٍ، وثقافةٍ واسعةٍ، ولم ينكر تلك المنزلة أحدٌ سواءً أكان من المؤيدين أم من المعارضين، فهو بحق موسوعةٌ علميةٌ أحاطت بأكثر المعارف التي كانت في عصره في تمكنٍ وإحاطةٍ تذهل الألبابَ وتطلق ألسنةَ العلماءِ بالمدحِ والثناءِ .

فقد نال ابن حزم الثناءَ من فحول العلماء ممن عاصروه، وممن أتوا بعده لمكانته السامية في الفهم والحفظ والإتقان، ولغزارة علمه، ولِمَا خلَّفه من مؤلفات كثيرة في علوم متنوعة .

فيقول عنه تلميذه الحميدي : " كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث، وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم، وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين "[١٣٢] .

ويقول عنه عبد الواحد المراكشي : " وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فنال من ذلك ما لم ينله أحدٌ قبله بالأندلس "[١٣٣].

ويقول عنه ابن حيان : " كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة "[١٣٤] .

ويقول عنه الذهبي : " وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم "[١٣٥] .

فقد تضافرت كل الروايات والأخبار على عظم منزلة ابن حزم العلمية، فقد أقر بفضله وتفوقه الموافقُ والمخالفُ، وأشاد بسعة علمه وفرط ذكائه وفطنته علماء المشرق والمغرب قدماء ومعاصرين .

ويقول عنه اليسع بن حزم الغافقي : " أما محفوظ أبي محمد فبحر عجاج وماء ثجاج، يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بثجاج ألفاف النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى على أهل كل دين، وألف الملل والنحل "[١٣٦] .

١- الحميدي، مرجع سابق، صـ٣٠٨،٣٠٩ .
٢- عبد الواحد المراكشي، مرجع سابق، صـ٩٣ .
٣- ابن خلكان، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٢٥ .
٤- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٦ .
١- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق:عمرعبد السلام تدمري، لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ، صـ٤٠٨،٤٠٩.

وكان لابن حزم معرفة تامة في علم النحو واللغة والأدب، وكان يجيد الشعر ويصوغه صياغة حسنة، فله فيه نفس واسع، وباع طويل، وكان يقوله على البديهة وشعره كثير، وقد جمعه تلميذه الحميدي على حروف المعجم[١٣٧] .

ويقول ابن صاعد الأندلسي : " كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبةً لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار "[١٣٨] .

هذا مع تقدمه في معرفة الأديان والمذاهب، وسعة الإحاطة بها، لكنه كان شديد العبارة على العلماء، مطلقاً لسانه فيهم، الأمر الذي جعل الكثير ينفر عنه والعامة تهرب منه، ولسبب ظاهريته أيضاً أخذ العلماء في التحذير منه، والتنفير عنه، وأغروا به الأمراء، حتى أحرقت كتبه في إشبيلية ومُزِقَتْ، وطُرِدَ وأُبْعِدَ .

ويقول عنه ابن حيان : " وكان يحمل علمه هذا، ويجادل مَن يخالفه فيه، على استرسال في طباعه...فلم يكن يُلَطِّف صَدْعَه بما عنده بتعريض، ولا يزفُّ بتدريج، بل يصك به معارضه صك الجندل، وينشقه متلقيه إنشاق الخردل، فينفِّر عنه القلوب ويوقع بها الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه، وردوا قوله وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه، والأخذ عنه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به على منقطع أثره بتربة بلده، وبها تُوفيَّ "[١٣٩] .

ويقول الذهبي :ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليّه وخفيّه والأخذ بظاهر النص، وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتباً كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها ونفروا عنها وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقاداً واستفادةً وأخذاً ومؤاخذةً، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون، وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله غ "[١٤٠] .

فقد شهد لابن حزم علماءٌ كثيرون بكثرة علمه، وسعة آفاقه، حيث إنه طرق أبواب علوم كثيرة، وصار له في كل منها رأي واجتهاد، وترك في أكثرها مؤلفات عظيمة تدل على ثروته الواسعة فيها وتمكنه القوي منها

٢- عبد الواحد المراكشي، مرجع سابق، صـ٩٤ .
٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٨٧ .
١- ابن بسام، مرجع سابق، ج١، صـ١٦٨ .
٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٨٨ .

ويقول عنه ابن بسام : " البحر لا تكف غواربه ولا يروى شاربه، وكالبدر تحمد دلائله ولا يمكن نائله"[١٤١] .

ويقول عنه الذهبي : " ابن حزم رجل من العلماء الكبار، فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل محررة، والمسائل الواهية " [١٤٢] .

وإنه لمن الصعب جداً على الدارس استقصاء ثقافته، وتعيين شتى المجالات العلمية التي برع فيها فهو كما وصفه الدكتور/ زكريا إبراهيم : " المفكر الظاهري الموسوعي "[١٤٣] .

وقد وصفه المستشرقون الأوربيون بمؤسس علم الأديان المقارن من أجل كتابه (الفِصل في الملل والأهواء والنحل)[١٤٤] .

وهذا يوضح المنزلة والقيمة العلمية التي احتلها ابن حزم بشهادات العلماء من معاصريه، ومَن بعدهم إلى عصرنا الحاضر في أنواع العلوم المختلفة، فقلما يؤلف مؤلِفٌ بعد ابن حزم في فن من الفنون الكثيرة التي طرقها ابن حزم إلا ورجع إلى مؤلفاته واستشهد بأقواله .

ويقول عنه ابن تيمية : " كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف، والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء "[١٤٥] .

ويقول عنه الذهبي : " الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف...الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، وهو رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير "[١٤٦] .

ويقول الذهبي أيضاً : " كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن، وسعة العلم بالكتاب والسنة، والمذاهب والملل والنحل، والعربية، والآداب، والمنطق، والشعر، مع الصدق والديانة، والحشمة والسؤدد والرئاسة، والثروة وكثرة الكتب "[١٤٧] .

٣- ابن بسام، مرجع سابق، ج١، صـ١٤٠ .
١- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٥٣ .
٢- زكريا إبراهيم، ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي، مصر: القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م .
٣- عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه، لبنان: بيروت: مطابع معتوق إخوان، (د.ت)، صـ١٣٥
٤- ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن تقي الدين بن شهاب الدين ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، ١٣٩٨هـ، ج٤، صـ١٩ .
٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٨٤ .
٣- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ج٢، ص٣٠٦ .

ويسجل ابن حجر العسقلاني رأيه في ابن حزم بقوله : " ابن حزم الفقيه الحافظ الظاهري، صاحب التصانيف...كان واسع الحفظ جداً "[١٤٨] .

ويقول السيوطي : " الإمام العلامة، الحافظ، الفقيه...كان صاحب فنون وورع وزهد، وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ، وسعة الدائرة في العلوم، أجمع أهل الأندلس قاطبةً لعلوم الإسلام وأوسعهم، مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار "[١٤٩] .

ويقول عنه ابن كثير : " ابن حزم الظاهري الإمام الحافظ العلامة، اشتغل بالعلوم الشرعية النافعة وبرز فيها، وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المشهورة "[١٥٠]

ويقول أبو حامد الغزالي عنه : " وجدتُ في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم، يدل على عظيم حفظه، وسيلان ذهنه "[١٥١] .

ويقول عز الدين بن عبد السلام : " ما رأيت في كتب الإسلام مثل المحلَّى لابن حزم، والمغني للشيخ الموفق "[١٥٢] .

مما دفع البعض إلى القول بأن ابن حزم : " جاحظ الأندلس بلا منازع "[١٥٣] .

وقال ابن قَيِّم الجوزية : " ابن حزم منجنيق الغرب "[١٥٤] .

وبعد، فهذه مكانة ابن حزم عند علماء عصره، ومَن جاء بعدهم، أما في عصرنا الحديث فكان للكتَّاب والباحثين فيه رأي، وله عندهم منزلة تمثلت فيما كتبوا حوله من دراسات عديدة، تناولت شخصيته وعلومه وفكره ومذهبه وآراؤه وفقهه ومن هذه الكتابات :

١- أحمد بن ناصر الحمد، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم وموقفه من الإلهيات. عرض ونقد)، وقد نشره مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، السعودية، عام ١٤٠٦هـ .

٢- الطاهر أحمد مكي، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة)، وقد نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة، مصر، عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

٤- ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ج٤، صـ٢٢٩ .
٥- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، تحقيق: جماعة من العلماء، ط٢، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، صـ٤٣٥ .
١- ابن كثير، مرجع سابق، ج١٢، صـ٩١ .
٢- الذهبي، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٤٧ .
٢- ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ج٤، صـ٢٠١ .
٤- سعيد الأفغاني، مرجع سابق، صـ٤٨ .
٥- ابن قَيِّم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط٢٦، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ، ج١، صـ٢٣٩ .

٣- حسان محمد حسان، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي)، وقد نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة، مصر، عام ١٩٦٤م .

٤- زكريا إبراهيم، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي)، وقد نشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة، مصر، عام ١٩٦٦م .

٥- عبد الحليم عويس، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري)، وقد نشرته دار الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة، مصر، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٦- عبد الكريم خليفة، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه)، وقد نشرته مطابع معتوق إخوان ببيروت، لبنان، (د.ت).

٧- عمر فروخ، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم الكبير)، والذي نشرته دار لبنان ببيروت، لبنان، عام ١٤٠٠هـ .

٨- محمد أبو زهرة، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه)، والذي نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة، مصر، عام ١٩٧٨م .

٩- سعيد الأفغاني، الذي ألَّف عنه كتاباً سماه (ابن حزم الأندلسي ورسالة المفاضلة بين الصحابة)، والذي نشرته دار الفكر العربي ببيروت، لبنان،عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

إضافةً إلى عددٍ من الرسائل الجامعية، منها :

١- بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف، "آراء ابن حزم الظاهري في التفسير (ت٤٥٦هـ) جمعاً ودراسة من الآية ٢٠٤من سورة البقرة إلى نهاية السورة وعدد المسائل ١١٠ مسألة"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ .

٢- حنان بنت عيضه بن دوخي بن عثمان الثبيتي، "آراء الإمام ابن حزم الظاهري في التفسير ٣٨٤هـ-٤٥٦هـ من الآية ١٣٦ من سورة النساء إلى الآية ٥ من سورة المائدة جمعاً ودراسة"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ .

٣- عبد الله بن إسحاق سماورو، "آراء ابن حزم الظاهري (٣٨٤-٤٥٦هـ) في التفسير جمعاً ودراسة من سورة التوبة الآية ١٠٤إلى نهاية سورة النور ومجموع المسائل ١٠٥"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ .

٤- علي بن جريد بن هلال العنزي، "آراء ابن حزم الظاهري في التفسير جمع ودراسة من بداية سورة التوبة إلى نهاية آية ١٠٣ من السورة نفسها"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ .

٥- عماد جميل عبد الرحمن عبيد، "جهود ابن حزم في جدال اليهود"، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٧م

وفاته :

بعد تطّواف كبير دام أكثر من واحد وسبعين عاماً في طلب العلم، والسياسة، والذَّب عن الإسلام، ودفاعاً عن فكره ومذهبه " تُوفِّي الإمام ابن حزم في آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة (٤٥٦هـ)، في بادية وَلْبَة وقيل إنه تُوفيَّ في منت ليشم، وهي قرية ابن حزم رحمه الله "[١٥٥]، مات مشرداً عن بلده ببادية بقرية له[١٥٦] .

ويقول الذهبي عن تاريخ وفاة ابن حزم : " في عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنةً وأشهراً"[١٥٧]، وعليه فإنَّ ابن حزم قد توفيَّ يوم الأحد الخامس عشر من أغسطس عام ١٠٦٤م (١٠٦٤/٨/١٥م) .

وفي هذا التاريخ انتقل ابن حزم لجوار ربه، مفارقاً الدنيا بجسده، مُخَلِّداً علمه فيها، بعد أن أفنى حياته يدافع عن علمه وفكره ومنهجه ومذهبه، ولعلَّ أدل شيءٍ على بقاء أثره بيننا حتى الآن تلك المؤلفات الكثيرة التي تمَّت وتتم عنه، والتي يعدُّ هذا الكتاب واحداً منها

١- ابن خلكان، مرجع سابق، ج٣، صـ٣٢٨ .
٢- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصر: القاهرة: مكتبة القدس، ١٣٥١هـ، صـ٢٢٩ .
٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ٢١١ .

الفصل الثالث :
عصر الإمام ابن حزم الظاهري

تمهيد :

البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والأحداث التي يمر بها، لها أَثَرٌ كبير في حياته سواء أكانت تلك الأحداث المحيطة به سياسيةً، أم اجتماعيةً، أم علميةً .

" ولقد ثبت أن الظروف التي تحيط بالشخص والبيئة التي يعيش فيها لهما دخل كبير في تكييف حياته، وطبعها بطابع خاص، فالشخصية تتكون وتبرز متأثرة بالبيئة التي هي فيها ولا يلزم من هذا التأثر أن تتجاوب لروح العصر مجاوبة تامة بحيث لا تختلف عنها، بل إنَّ التأثر قد يكون بمخالفة الغير إذ أن البيئات تختلف بالنسبة للأشخاص الموجودين في عصر واحد "[١٥٨] .

فالإنسان ابن بيئته كما يقولون، يستمد منها مقومات شخصيته وعاداته وقيمه من المجتمع الذي يعيش فيه، لذا فإن دراسة العصر الذي عاش فيه ابن حزم من الأهمية بمكان لفهم شخصيته وتقويم إنتاجه، فليس من اليسير فهم ابن حزم منفصلاً عن عصره، فهو من أينع الثمرات التي جادت بها الأندلس .

فلقد عاش ابن حزم ما بين الربع الأخير من القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الخامس الهجري، حيث عاش ابن حزم في الحقبة الواقعة بين سنتي ٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ .

ونشأ ابن حزم وسط هذه التقلبات السياسية، وتيارات الانحلال الاجتماعي التي كان لها أثر عميق على فكره، وكتاباته، وطِباعه، ومزاجه .

وبطبيعة الحال فإن سطور هذا الفصل لا تدافع عن ابن حزم وعصره، وهي في الوقت نفسه لا تضعه في قفص الاتهام، بل هي محاولة للمعرفة والبحث والتقصي والتحليل، تهدف إلى الوقوف على صورة صحيحة حقيقية للمجتمع الأندلسي الذي نبت وتربي فيه ابن حزم، ومدى تأثر فكره التربوي في كتاب " المحلّى " بهذا المجتمع وتفاعلاته .

١- أحمد بن ناصر الحمد، مرجع سابق، صـ٩٥ .

ولأن كثيرين من الكتَّاب والباحثين قد سبقوا في عرض الجوانب التاريخية للحياة السياسية، والاجتماعية، والعلمية لعصر ابن حزم بما يكفي، لذا يرى الكاتبُ أن يكتفي بذكر أبرز سمات كل جانب من الجوانب السابقة، دون الدخول في التفاصيل، مع الالتزام بالحقبة الزمنية التي عاش فيها ابن حزم من حياة الدولة الأموية، وعهد ملوك الطوائف، والتي تقع بين عامي ٣٨٤هـ و ٤٥٦هـ، وذلك لتجنب تكرار ما ذكره السابقون .

١ ـ الحياة السياسية :

تترك الأوضاع السياسية التي تكون في زمن معين وفي مكان معين أثراً بالغاً في شخصية أولئك الأفراد الذين عاصروها وعايشوها .

وشَاءَ اللهُ سبحانه وتعالى أن يعيش ابن حزم في حقبة زمنية تموج أحوالها وتضطرب أوضاعها، وتتداخل حالاتها، وتكثر فتنها، وتتعدد أزماتها .

وكانت الأندلس قبل تلك الحقبة الزمنية تسودها حالة الاستقرار والسكون والبُعد عن القلاقل، وذلك في حكم المستنصر، ومَن كان قبله، وكانت نهاية حكم المستنصر بالله عام ٣٦٦هـ، فخلفه على الحكم ابنه هشام بن الحكم المؤيد بالله وكان صغيراً حين تسلم مقاليد الحكم، فقد كان عمره آنذاك إحدى عشرة سنة أو أقل، وحاكمٌ هذا عمره لا يستطيع القيام بأعباء دولته، وتحصينها من المخاطر التي تحيط بها[١٥٩].

وقبل الخوض في الحديث عن الحياة السياسية يشير الكاتبُ إلى أنه سيقدم نبذة مختصرة عن الوضع في الأندلس منذ الفتح الإسلامي وإلى عصر ابن حزم، مع التركيز على الحقبة التي عاشها ابن حزم، حتى يسهل ربط الأحداث وفهمها على نحو يسير .

فتاريخ دولة الإسلام في الأندلس يُعَدُّ من أطول وأخصب دول الإسلام عمراً وعبرةً، وأبلغها عظةً، وأكثرها دروساً وفوائد، فقد امتدت دولة الإسلام في الأندلس قرابة ثمانية قرون، مرت خلالها مراحل وأطوار بين قوة وضعف، ووحدة وتفرق، وقد قسَّمَ الباحثون حياة الدولة الأندلسية إلى عدد من المراحل، لكل مرحلةٍ سماتها وخصائصها الخاصة بها، والتي امتد أثرُها على حياة الدولة المسلمة، وقد كانت المحصلة النهائية لكل هذه المراحل، سقوط دولة الأندلس .

ويمكن تمييز سبع مراحل تغطي عصر ابن حزم، وهي :

أولاً : مرحلة الفتح (٩٢هـ ـ ١٣٨هـ) :

وفي هذه المرحلة فُتِحَتْ الأندلس عام ٩٢هـ على يد أبطال الفتح الأوائل، موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وعبد العزيز بن موسى، بعد معارك هائلة مع قوات القوط،

١- عبد الواحد المراكشي، مرجع سابق، صـ٧٢ .

فأصبحت الأندلس ولايةً إسلاميةً تابعةً للدولةِ الأمويةِ " غير أن النصارى آووا إلى ركن حصين في جنبها، فكان ذلك الركن كالشوكة في جنب الدولة، وحيث إن المسلمين لم يستأصلوه في قوتهم، فقد كان هؤلاء النصارى للمسلمين بالمرصاد، فإن رأوا فرصة انتهزوها للنيل من المسلمين

وقد تعاقب في هذه المدة الزمنية القصيرة على ولاية الأندلس عدد كبير من الولاة، مما يوضح أنها كانت فترة توتر وعدم استقرار، فلم يكن الأمر مضبوطاً في الجملة بيد حازمة من قِبل أولئك الأفراد لضعفهم بالإضافة إلى بُعدهم عن مقر الخلافة وكون الأندلسيين من عناصر متباينة، فكثرت الخلافات والاضطرابات والفتن بينهم .

ثانياً : قيام الدولة الأموية عصر الازدهار (١٣٨هـ - ٢٣٨هـ) :

وفي هذه المرحلة توحدت الأندلس تحت قيادةٍ واحدةٍ، وأصبح لها قائدٌ واحدٌ وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالداخل أو صقر قريش، وقد استطاع عبد الرحمن الداخل أن يؤسس الدولة الأموية من جديد ببلاد الأندلس، وقد كان مبدعاً ذكياً، فقد دخل الأندلس طريداً غريباً وحيداً فتمكن بصبره، وثباته وعزيمته، أن يضع لبنة دولة من أكثر دول الإسلام مجداً، وقد قام الداخل بعديد من الأعمال الكبيرة من أجل الحفاظ على دولة الإسلام الوليدة من أهمها قمع محاولات الصليبيين من الفرنسيين والأسبان في الهجوم على الأندلس، ثم أوجد حالةً من الاستقرار والبناء والازدهار سنة ١٧٠هـ فأسس مسجد قرطبة، والذي ظل فترة طويلة مسجداً قبل أن يحول إلى كنيسة[١٦٠] .

يقول عنه ابن حيان في نفح الطيب : " كان الإمام عبد الرحمن الداخل راجح العقل، راسخ الحلم، واسع العلم، كثير الحزم، نافذ العزم، لم ترفع له قط راية علي عدو إلا هزمه، ولا بلد إلا فتحه، شجاعاً، مقدَاماً، شديدَ الحذر، قليلَ الطمأنينة، لا يخلد إلي راحة، ولا يسكن إلي دعة، ولا يكل الأمر إلي غيره، كثير الكرم، عظيم السياسة، يلبس البياض، ويعتم به، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويصلي بالناس في الجمعة والأعياد، ويخطب بنفسه، جنَّد الأجناد، وعقد الرايات، واتّخذَ الحُجَّابَ والكُتَّابَ، وبلغت جنُوده مائةَ ألف فارس "[١٦١] .

ويبدو أن عبد الرحمن الداخل قد جمع كل مقومات القائد الفاتح العظيم، التي جعلته يؤسس دولة جديدة مستقرة في رحاب الأندلس، وبما فعله من أعمال عديدة من أجل الحفاظ على هذه الدولة، التي كان من أهمها حالة البناء التي قام بها في الأندلس .

١- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. الخلافة الأموية والدولة العامرية، ط٤، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، صـ٥٧٠ .

٢- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت١٠٤٠هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف البقاعي، لبنان: بيروت: دارالفكر، ١٩٩٨م، ج٤، صـ٥٠ .

ومن أهم الأعمال التي قام بها بناؤه لمدينة قرطبة، التي حرص علي جعلها صورة من دمشق في منازلها البيضاء ذات الأحواش الداخلية، المتزينة بالأزهار والورود ونافورات المياه، كما أرسل لجلب أشجار الفاكهة من الشام، مثل التين والرمان وأحاطها بسور ضخم عظيم، وحفر قناة تمدها بالماء العذب، وشيَّد بها المباني الضخمة والحمامات، وأكثر من البساتين على ضفة الوادي الكبير(١٦٢) .

وعلى نهجه سار ولده هشام الذي تولى الحكم (١٧٣هـ - ١٨٠هـ)، وقد كان رجلاً صالحاً فقيهاً، وفي عصره انتشر مذهب الإمام مالك بالأندلس كلها، وكان الجهاد والتدين هما طابع عهد هشام بن عبد الرحمن، تبع هشام بن عبد الرحمن ولده الحكم، وكان يحب حياة الترف، وجعل من حوله حاشيةً متكبرةً متعاليةً جعلته قاسياً عنيفاً مهملاً لشؤون الرعية، لذلك قامت عليه عدة ثورات، ومن بعده جاء أمراء ضعاف انحدرت الأمور على أيديهم من سيئ إلى أسوأ(١٦٣) .

ثالثاً : عصر التدهور الأول (٢٣٨هـ - ٣٠٠هـ) :

في هذا العصر تعاقب على حكم الأندلس ثلاثة من الأمراء، وهم محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨هـ - ٢٧٣هـ والمنذر بن محمد (٢٧٣هـ - ٢٧٥هـ)، وعبد الله بن محمد (٢٧٥هـ - ٣٠٠هـ)، واتَّسَمَ هذا العهد بكثرة الفتن والاضطرابات، وكثرة الخارجين على السلطة المركزية، حيث كوَّن العربُ دويلات داخل الدولة الأم أهمها: دولة بني حجاج في إشبيلية وكوَّنها أباء قبيلة لخم اليمنية، وقد بنى إبراهيم بن حجاج هذه الدولة على منوال الدولة الأموية، من قصر إمارة، وبلاط، وحاشية وحراسة، وجيش، كما قام البربر بخلع طاعة أمراء بني أمية واستقلوا بالولايات الغربية، وقد مهدت هذه الفتن الداخلية السبيلَ لقيام ثورة ضخمة في الأندلس عرفت بثورة المولدين؛ وهم الذين ولدوا في دولة الإسلام بالأندلس، ولكن كانت أصولهم أسبانية نصرانية، وهؤلاء وإن كانوا قد نشأوا وترعرعوا في ديار الإسلام بالأندلس، ودانوا به، إلا أن قوميتهم القديمة ظلت ملء قلوبهم، وظل حلم أسبانيا القديمة يراودهم حتى أتتهم الفرصة، فثاروا ثورة عنيفة يقودهم رجلٌ شديدُ البأس عظيم الكفر والحقد، اسمه : عمر بن حفصون، وكان قد ارتدَّ عن الإسلام، وقاد جموع المولدين طيلة ثلاثين عاماً يحارب المسلمين، ويمزق في دولة بني أمية التي انحصرت في قرطبة وجوارها فقط(١٦٤) .

١- أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٣، مصر: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م، صـ٩٠ .
٢- محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، صـ٥٧٢ .
١- عبد الرحمن علي الحجي، مرجع سابق، صـ١٦٣ .

لذا سُمي هذا العصر بعصر التدهور الأول؛ لأنه شهد انتكاسةً كبرى في شتى شؤون الحياة، فساد التفرق والانقسام والتقاتل والفساد، وكثرت الاضطرابات وتكوَّنت الدويلات، فكان هذا العصر عصر تدهور بمعنى الكلمة .

رابعاً : عودة القوة وإعلان الخلافة (٣٠٠هـ - ٣٦٦هـ) :

وقد حكم هذه المرحلة رجلان لا غير، أولهما : عبد الرحمن الناصر – وهو ثامن أمراء بني أمية –، وقد دامت خلافته نصف قرن من الزمن بلغت فيها بلاد الأندلس الذروة من العز والسؤدد والرفعة، قضى فيها عبد الرحمن الناصر على الاضطرابات، وأدَّبَ الخارجين عليه وقهر أعداءه، وأرهب الأسبان، فعمَّ الرخاء والأمن أرجاء الأندلس وما تبعها من بلاد المغرب إلى أن توفي سنة خمسين وثلاثمائة[١٦٥] .

وكان من حظ الأندلس أن دامت ولايته خمسين سنة نست ما أصابها من الشدائد والاضطرابات، فقد أعاد خلالها الهيبة والقوة لدولة الإسلام بالأندلس، وقضى على الأخطار الداخلية، المتمثلة في الإمارات المستقلة فأعاد الجميع للدولة الأم .

أما الخطر الخارجي والمتمثل في العدوان الصليبي القادم من الشمال، فقد أبدى الناصر قدرةً فائقةً في التصدي لكل المحاولات التوسيعية من جانب الأسبان، وظل يواجههم من سنة ٣٠٥هـ حتى سنة ٣٣٩هـ إلى أن دان له الجميعُ، بالتحالف تارةً، وبالإجبار تارةً أخرى[١٦٦] .

وبهذا أصبح عبد الرحمن الناصر " أميراً على الأندلس وضبط الأمور ووحد الكلمة، وكان يلقب بالأمير وعلى هذا جرى بنوه من بعده فلم يُدعَ أحدٌ منهم بأمير المؤمنين تأدباً مع الخلافة بمقر الإسلام في المشرق، حتى كان عبد الرحمن الناصر هو ثامن أمراء بني أمية بالأندلس فتسمَّى بأمير المؤمنين لما رأى من خلفاء بني العباس وغلبة الأعاجم عليهم، وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم، وذلك في عام عشر وثلاثمائة تقريباً "[١٦٧] .

وكان عبد الرحمن الناصر هو أول مَن أعلن نفسه خليفةً شرعياً من أمراء الأندلس، وكان ما دفعه لذلك ظهور الدولة الخبيثة العبيدية الفاطمية بالمغرب، وقد تلقَّبَ حكامها بالخلفاء، وهم يطمعون في الاستيلاء على العالم الإسلامي بأسره، بما في ذلك الأندلس، وكانت الخلافة العباسية وقتها تمر بحالة صراع على السلطة، وضعف شديد بسبب تسلط الأتراك عليها، ومن أجل ذلك أعلن عبد الرحمن الناصر نفسه

٢- الحميدي، مرجع سابق، صـ٢١ .
١- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٢٨٤ .
٢- الحميدي، مرجع سابق، صـ١٣،١٢ .

خليفةً للمسلمين في رمضان سنة ٣١٦هـ، ومن أبرز أعمال الناصر الحضارية والعمرانية بناؤه لمدينة الزهراء سنة ٣٢٥هـ [١٦٨] .

وثانيهما : الحكم بن عبد الرحمن الذي تولى الحكمَ بعد أبيه، وتلقب بالمستنصر، وكان محباً للعلم والعلماء، وقد ورثَ دولةً قويةً ثابتةَ الأركان من أيام أبيه، فتفرغ للعلمِ وقراءةِ الكتب، وحرص على شرائها من شتى بقاع الأرض، وكان يرسل للعلماء من كل الأمصار، ويستقدمهم إلى قرطبة التي تحولت إلى منارة وجامعة عالمية من كثرة مَن قصدها من العلماء، وقد جمع الحكم من الكتب ما لم يجمعه أحد من قبله من الملوك، والتي تقدر بأربعمائة ألف مجلد[١٦٩] .

وكان حسن السيرة وسار على نهج وسيرة أبيه ولكن مدته لم تطل كأبيه، "حيث تُوفيَّ سنة ٣٦٦هـ"[١٧٠]، وبوفاته انقضى العصرُ الذهبي للأندلس وبدأ عصر الفوضى والاضطراب والتغلب على الخليفة، ولم يأتِ بعده من الأمويين خلفاء كالسابقين إلا اسماً فقط .

خامساً : عصر الدولة العامرية (٣٦٦هـ - ٣٩٩هـ) :

بعد وفاة الحكم بن عبد الرحمن تولى الأمر بعده ابنه هشام المؤيد[١٧١]وكان دون البلوغ فمن الطبيعي أن يستبدَ بالأمرِ أحدُ الأوصياء على الخليفة الصغير فظهر المنصور بن أبي عامر، وضبط الأمور بقوة شخصيته ودهائه، ونجح في السيطرة على مقاليد الأمور، ورسم لنفسه خُطةً بارعةً للقضاء على الخصوم والمنافسين، واستبد بالأمر عن هشام وتسمى بالحاجب، وأَجْبَرَ الأندلسيين على الخضوع لهذه الحكومة العسكرية الاستبدادية التي اعتمد في تكوينها على عناصر من غير العرب واتخذ منهم الوزراء، وكان منهم أحمد بن سعيد والد علي ابن حزم[١٧٢] .

وكان أحمد بن سعيد والد ابن حزم من أقدر وزراء المنصور وآثرهم لديه، وقد استوزره المنصور قبل سائر أصحابه في سنة ٣٨١هـ[١٧٣]، وكان المنصور من أعظم السلاطين دهاءً وحزماً وهيبةً في القلوب، فكان يُجَهِّز الجيوش ويغزو بنفسه حتى إن غزواته تجاوزت الخمسين غزوة في سائر أيام ملكه، ولم تُنكَّسْ له رايةٌ ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية[١٧٤] .

٣- عبد الرحمن علي الحجي، مرجع سابق، صـ٣٠٣،٣٠٤ .
١- عبد الحليم عويس، مرجع سابق، صـ٣٦ .
٢- الحميدي، مرجع سابق، صـ١٦ .
٣- في عهده وُلِدَ ابن حزم، حيث كان مولده عام ٣٨٤هـ .
٤- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٣٧٤ .
٥- محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، صـ٥٧٨ .
١- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٣٧٥ .

بهذه السياسة استطاع المنصور أن يؤسس لنفسه سلطاناً ويعزز صولجاناً[١٧٥] إلى أن تُوفيَّ سنة ٣٩٢هـ وقد دامت أيامه سبعاً وعشرين سنة[١٧٦]، ثم آلت الأمور بعد المنصور إلى ولده المظفر، فجرى في الغزو والسياسة والنيابة عن هشام المؤيد وحجابته مجرى أبيه، وفي عهد المظفر كانت أول تجارب ابن حزم في المجتمع الأندلسي، حيث استمر والده وزيراً للمظفر وقد اصطحب ابنه عليَّاً (ابن حزم) إلى حفل استقبال أَعَدَّهُ المظفر بمناسبة عيد الفطر، وكان عمر ابن حزم آنذاك ١٢ عاماً، وقد كانت أيام المظفر أعياداً دامت سبع سنين إلى أن مات[١٧٧]سنة ٣٩٨هـ .

فخلفه على الحجابة أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر، وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه، ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة، فحمل الخليفة المستضعف هشاماً المؤيد على العهد له بالخلافة بعده، فنقم عليه أهل الدولة، ذلك وثارت ثائرةُ الأمويين، وكانت فتنةً خُلع فيها هشام المؤيد وسجن وبويع محمد بن هشام بن عبد الجبار بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أعقاب الخلفاء، ولقبوه المهدي بالله، وكان عبد الرحمن (الناصر) – الحاجب – في إحدى غزواته، فلمَّا عاد لتلافي الأمر وجد أنصاره قد انصرفوا عنه وثار به جندُه وقتلوه سنة ٣٩٩هـ[١٧٨]، وعند هذا التاريخ انتهى أمر الدولة العامرية .

ويبدو أن بوفاته انقلبت أفراح أهل الأندلس إلى أتراح، ووقعت الأندلسُ مرةً أخرى في شرك العصبيات المقيتة التي كانت السببَ الأولَ لانهيارها، وتشرذمتْ الدولةُ الأم لعدة دويلات صغيرة، يقود كلَّ دويلةٍ متغلبٌ أو طامعٌ لا يبالي إلا بمصالح نفسه وعائلته، وهذا مَهَّدَ السبيلَ لمرحلةٍ هي الأسوأ والأخطر في تاريخ الأندلس .

فكانت وفاة عبد الرحمن الناصر – الحاجب – فاتحةً لفترة من أعجب فترات التاريخ الأندلسي وأشدها غموضاً واضطراباً، وبذلك دخلت الأندلسُ في المرحلة الثانية من مراحل الضعف والتدهور، وهي الفترة التي غلبت عليها الاضطرابات والفتن، وكان أول الفتن سقوط دولة بني عامر .

سادساً : سقوط الخلافة الأموية (٣٩٩هـ - ٤٢٢هـ) :

بدأ المهدي يشدِّد الوطأةَ على البرابرةِ؛ لأنَّ الدولة الأموية كانت تعتد عليهم مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلبهم إليهم، فأمر أن لا يركبوا ولا يتسلحوا، ورَدَّ بعضَ رؤسائهم من باب القصر وألحق بهم ما أزعجهم عن المدينة، فثاروا وهاجموها وخلعوا المهدي فَفَرَّ، وبايعوا من بعده سليمان بن الحكم بن الناصر الذي تَلَقَّبَ

٢- الحميدي، مرجع سابق، صـ١٣٢،١٣١ .
٣- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٤٠٠ .
٤- الحميدي، مرجع سابق، صـ١٣٢ .
٥- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٤٠٢ .

بالمستعين سنة ٤٠٠هـ، ولكن المهدي لم يستكن فذهب إلى ملك قسطيلة الأسباني واستعان به، فاسترد ملكه وخرج المستعين من قرطبة، وقامت موقعة أخرى بين البربر ومعهم المستعين، والمهدي ومعه النصارى فانهزم المهديُّ وقُتِلَ فأخرجوا هشاماً المؤيد، وأعادوا الأمر له مرةً ثانية سنة ٤٠٣هـ، فناوأه المستعينُ فعاد إلى قرطبة بجيش من البربر من نفس السنة وقتل هشام المؤيد سراً، فبدأت المهازل تترى بين المتقاتلين على الإمارة فتوزع الملكَ البرابرةُ، وجعلوه قسمةً بينهم واستقل كلٌّ منهم بإقليم[١٧٩] .

حتى استطاع بنو حمود البربر أن ينتزعوا الخلافة، وأن يتزعموا حكومة قرطبة لفترة قصيرة، ثم تطورت الحوادث بسرعة وعاد بنو أمية لاسترداد الخلافة وكان ذلك بظهور عبد الرحمن بن محمد ببلنسية سنة ٤٠٨هـ وتلقب بالمرتضى وخرج لقتال بني حمود، وكان ابن حزم من المؤيدين له، وقد سار مع جيش المرتضى لكن الجيش انهزم في موقعة غرناطة[١٨٠]، ونجا المرتضى، ثم قُتِلَ غيلةً، وَأُسِرَ ابن حزم، ثم أُخْلِيَ سبيلُه فلجأ إلى شاطبة[١٨١] .

وبقيتْ قرطبة في يد بني حمود حتى قام عبد الرحمن بن هشام أخو المهدي يطلب الخلافة لنفسه، واستطاع الحصول عليها سنة ٤١٤هـ وتسمى بالمستظهر[١٨٢] واستقدم ابن حزم وأقامه وزيراً له، ولم تَدمْ خلافته أكثر من شهرين، ثم تعاقب على الخلافة من بعده خلفاء مستضعفون من بني أمية تارةً، ومن العلويين تارةً أخرى إلى أن بُويعَ هشام بن محمد المعتد بالله سنة ٤١٨هـ، فاستوزر ابن حزم مرةً أخرى[١٨٣]، وهذا كان الخليفة الأخير الذي وزر له ابنُ حزم، وهذه المرة كانت آخر عهده بالسياسة، فلم يعمل بها بعد ذلك أبداً، واتجه إلى العلم ودروسه .

ترك ابن حزم السياسة يائساً من اجتماع الأمر لأحدٍ آخر، لقد زهَّده فيها في شبابه فتن البربر، وكثرة الاضطرابات، وفشل محاولته هو في إصلاح الأمر وعودة الاستقرار بمعاونته بعض الأمراء الأمويين، فانصرف عن السياسة إلى العلم، فكان للعلم وحده أكثر من سبع وثلاثين سنة .

١- الحميدي، مرجع سابق، صـ١٨ .
٢- لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ت٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٤، صـ١١١ .
٣- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألآف، مرجع سابق، صـ١٣٢ .
٤- الحميدي، مرجع سابق، صـ٢٤ .
٥- ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج١١، صـ٢٣٧ .

وبموت المعتد بالله سنة ٤٢٢هـ أعلن وزيرُهُ أبو حزم بن جهور انتهاء الخلافة الأموية وسقوطها لعدم وجود من يستحقها، وأنه سيحكم الدولةَ جماعةٌ من الوزراء على نظام شبه جمهوري، وبانتهاء هذه الفترة انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة واستقل كلُّ أميرٍ بمقاطعته وأعلن نَفْسَهُ ملكاً عليها، ودخلت الأندلسُ النفقَ المظلمَ الذي لم تخرج منه بعدها أبداً[١٨٤].

وبعد أن كان نجم الأمويين في صعود صار إلي أفول، تغرب شمسهم عن الأندلس، ويُسدل الليلُ خيوطه علي أضوائهم، يتصدع بنيان الدولة، وينخر الخلاف فيأكل أساسها ويقوِّضُ تماسكها، فتمسي أثراً بعد عين، وتصمت حضارةٌ دامت سبعة قرون، وتركن إلي سكون أبدى تظلله أصداء ماضٍ غابر بغير رجعة .

سابعاً : عصر ملوك الطوائف (٤٢٢هـ - ٤٨٣هـ) :

لم تكد الخلافةُ الأمويةُ تسقط حتى انفرط عقدُ الدولةِ الأمِ، وانقسمت إلى دويلات صغيرة، وتقاسم العربُ والبربرُ والصقالبةُ أوصالَ الأندلس، وتفككت الأواصر بين كلِّ دويلة وأخرى، حتى صارت أقاليم يتصارع كل إقليم مع بقية الأقاليم، ونشبت الصراعات والخلافات وعادت الفتن والاضطرابات، وقد حكم تلك الحقبة العصيبة نحو عشرين أسرة مستقلة يطلق عليهم ملوك الطوائف .

من أشهرهم [١٨٥]:

أ- دولة بني جهور في قرطبة .

ب- دولة بني عباد[١٨٦]في إشبيلية .

ج- دولة بني مناد في غرناطة .

ولقد كان ملوك الطوائف ملوكاً ضعافاً، غلبت عليهم الأهواء الشخصية إلى أبعد الحدود، كلُّ ملك لا همَّ له سوى السيطرة على إقليم يظفر به، ونسوا في غمار هذا دينهم ووطنهم، إضافةً إلى كونهم طغاةً مستبدين في منتهى القسوة مع رعيتهم .

في ظل هذا العصر المضطرب المليئ بالأحداث السياسية عاش ابن حزم فشاهد انحلالَ الدولة الأموية واستقلال كلِّ والٍ بولايته، وشاهد الفترة الأولى من ملوك الطوائف، فرأى بعينيه شدةَ أحوالها، وكثرة اضطرابها وتقلبها، وعظم فتنتها فكلما انطفئت نارٌ أوقدت أخرى، هذا مما أثَّر تأثيراً عظيماً على جميع أبناء قرطبة، والذين كان من جملتهم ابن حزم .

١- عبد الرحمن علي الحجي، مرجع سابق، صـ٣٢٣ .
٢- عبد الرحمن علي الحجي، مرجع سابق، صـ٣٢٤ .
١- أحرق ثانيهم المعتضد بن عباد كتب ابن حزم، راجع : الطاهر أحمد مكي، مرجع سابق، صـ٩٥.

ومن ثَمَّ تركتْ هذه الأوضاع آثاراً، يتضح من خلالها الأثر العميق الذي تركه الإخفاق السياسي الذي منيت به الأندلسُ في نفس ابن حزم، فكان البديل عن كل ذلك، تلك النظرة الزاهدة المعتدلة التي وجهت خطواته، وحددت غاياته، على نحوٍ واضحٍ، وهي التوجه الكلي إلى الآخرة، والانكباب على دراسة ومدارسة العلم وتسخير جميع القوى والروافد في خدمته .

٢ ـ الحياة الاجتماعية .

الحياةُ السياسيةُ في أيِّ شعبٍ صورةٌ صادقةٌ للحالة الاجتماعية التي تنعكس عليها، لأن عناصر تكوين المجتمع لها دورٌ بارزٌ ومهمٌ في مسرح السياسة وتقرير مصير المجتمع إلى الاستقرار أو الانهيار في كثير من الحالات .

ويرى الكاتبُ تناول الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال تناوله للعناصر الآتية :

أولاً : وصف الأندلس .   ثانياً : فضل أهل الأندلس .

ثالثاً : زي أهل الأندلس .   رابعاً : طبع أهل الأندلس .

خامساً : المرأة في المجتمع الأندلسي .

سادساً : طبقات المجتمع في الأندلس .

سابعاً : عناصر السكان في الأندلس .   ثامناً : لغة أهل الأندلس .

وفيما يلي يحاول الكاتبُ إلقاءَ الضوءِ على هذه العناصر بشيءٍ من الإيجاز على النحو الآتي :

أولاً : وصف الأندلس :

أسهب الواصفون عند وصفها، وتلجلج لسانهم أمام حسن صفاتها، فلو تغنيت بطيب هوائها، فما بالك بجناتٍ غرست في أرضها، وعمارة شهدت بسموقٍ سماواتها، وحضارة بسطت في جوانبها، فزادتها بهاءً، وتألقت ظلال أضوائها، فهي الجمال المصفى والحسن المشتهى .

وُصفت الأندلس بحسن هوائها، واعتدال مزاجها، ووفرة خيراتها، فقد " خصَّ اللهُ الأندلس من الريع، وغدق السقيا، ولذاذة الأقوات، وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه، وتبحر العمران، وجودة اللباس، وصحة الهواء...وشهامة الطباع، وابيضاض ألوان الإنسان "[١٨٧].

١- المقري، مرجع سابق، ج٢، صـ٨.

ثانياً : فضل أهل الأندلس :

ولا يخفي علي لبيب ما لأهلِ الأندلس من فضائلَ يصعب - مع التحري - الإحاطة والإلمام بها؛ فهُم إلي العرب يمتون صلةً ونسباً، وعنهم أخذوا عربية اللسانِ فلا يلحدون إلي عُجمةٍ ولا يركنون إلي لكنةٍ، وهم إلي طبعهم أقرب وإلي خصالهم أنسب، تجاوزوا العرب إلي غيرهم من الأمم فأخذوا ما عند الهنديين من ولع إلي العلوم، ولم يتركوا ما عند البغداديين من ظرفٍ وذكاءٍ عُرفوا به، فقرائحهم متوهجةٌ وأذهانهم بنور المعرفة متقدةٌ، هذا مع أخذهم ما عند اليونانيين من ضروب المعرفة بالزراعة والفلاحة فأجادوا فيها وأحسنوا الصنيع، فكانوا في أخذهم عن تلك الأمم ما جعلهم يحوزون قصب السبق ففاقوهم علماً ومعرفةً وفضلاً .

يقول المقري : " أهل الأندلس عربٌ في الأنسابِ، والعزةِ، والأنفةِ، وعلوِ الهمم وفصاحةِ الألسن، وطيبِ النفوسِ، وإباءِ الضيم، وقلة احتمال الذل، والسماحة بما في أيديهم، والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هنديّون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها، وضبطهم لها، ورواياتهم، بغداديّون في نظافتهم، وظرفهم، ورقة أخلاقهم ونباهتهم، وذكائهم، وحسن نظرهم، وجودة قرائحهم، ولطافة أذهانهم، وحدة أفكارهم، ونفوذ خواطرهم، يونانيّون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر، وتحسينهم البساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، أحذق الناس بالفروسية، وأبصرهم بالطعن والضرب.إنَّ أهل الأندلس صينيّون في إتقان الصنائع العلمية، وإحكام المهن الصورية أي الآلية، تركيّون في معاناتهم الحروب، ومعالجات آلاتها، والنظر في مهماتها "[١٨٨].

ثالثاً : زي أهل الأندلس :

وتميز الأندلسيون بزيٍ يحقق لهم خصوصية موطنهم ويميزهم عن غيرهم فكان اللباس علامة ومزيَّة علي أهل الأندلس وإشارة تدل قاطني أرجائها سواء شرقها أم غربها، وفي ذلك يقول المقري : وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لاسيما في شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقهياً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك[١٨٩]، وقد كان اليهود يلبسون نفس الثياب التي يلبسها المسلمون حتى عصر الموحدين، حيث ألزموا أن يلبسوا ثياباً مميزةً لدواعي أمنية، بعد أن أثاروا الكثيرَ من الإساءاتِ والفتنِ ضد المسلمين[١٩٠].

١- المقري، مرجع سابق، ج٤، صـ١٤٧،١٤٦.
١- المرجع سابق، ج١، صـ١٨٢.
٢- خالد الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ)، فلسطين: غزة: دار الأرقم، ٢٠٠٠م، صـ٢١٣.

وذلك دليل توخيهم الأمن في بلادهم ففرقوا في اللباس بينهم وبين غير المسلمين، فبه عُرفوا وعن طريقه وُسِموا.

رابعاً : طبع أهل الأندلس :

من طبع الأندلسيين نبذهم لظاهرة التسول ومحاربتهم لها، وفي ذلك يقول المقري : " وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب، سبُّوه وأهانوه، فضلاً عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد في الأندلس سائلاً إلا أن يكونَ صاحبَ عذرٍ "[١٩١].

فقد اشتهر الأندلسيون بالاحتياط وتدبير المعيشة والمروءة، فهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال، فلذلك قد ينسبون إلى البخل أحياناً .

ومن طبعهم أيضاً محافظتهم على نظافة ملابسهم، يقول المقري : " وأهل الأندلس من أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يغرسون.وفيهم مَن لا يكون عنده إلا ما يقوته في يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبؤ العين "[١٩٢] .

فعاش المجتمع الأندلسي حياة عز وجاه ورفعة لمدة طويلة، طغت فيها مظاهر البذخ والنعيم على المجتمع، فشُيِّدَتْ القصور، وجُمِّلَتْ المنتزهات، واتَّسَعَتْ الطرقات، وغيرها . ويخص المقري قرطبةَ بقولِهِ : " ومن مظاهر الحياة في قرطبة وهي إحدى مدن الأندلس، ظرف اللباس، والتظاهر بالدين، والمواظبة على الصلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم، وكسر أواني الخمر حينما تقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات، والتفاخر بأصالة البيت والجندية والعلم، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، وصار ذلك من آلات الرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة ليقال : فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره "[١٩٣].

فكانت قرطبة مركزاً مهماً للتقدم العلمي والفني والحضاري، فكانت ملتقى الشعراء والأدباء والفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث، كما كانت في الوقت نفسه أكثر بلاد الأندلس كتباً ومكتبات .

٣- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ١٨١.
١ - المرجع السابق، ج١، صـ١٨٣.
٢- المرجع سابق، ج٢، صـ٨ .

خامساً : المرأة في المجتمع الأندلسي :

كان للمرأة مكانتها في المجتمع الأندلسي، وشأنها شأن الرجل بلا أي تفاوت من الناحية الإنسانية، وذلك في حدود ما أوجبه الإسلام، على أساس طبيعة المرأة وفطرتها، وكان بعضهن يتمتعن بنفوذ كبير في الحياة العامة السياسية والمدنية .

يقول محمد أبو زهرة : " وقد ظهر في حياة الأندلس عنصرٌ مهم ألا وهو بروز نساء في مجالات العلوم المختلفة الشرعية منها وغيرها، فكان منهن العالمات والأدبيات والشاعرات، فالشعر يجري على ألسنةِ النساء كما يجري على ألسنة الرجال، بل لقد كان من الجواري الشاعرات عددٌ كثيرٌ، كان من بينهن مَن يُجدن العلوم، ويتكلمن فيها كلام المتخصصين المتفرغين لها "[١٩٤].

وقد تأثرت المرأة عامةً بهذه الأجواء مما جعلها تتحرر من القيود المهينة، التي قد تمنعها من التعليم في المدارس، فالآباء في الأندلس يهتمون أنفسهم بتعليم بناتهم

لكن هذه المكانة المرموقة للمرأة كانت قبل عصر ملوك الطوائف، غير أن هذه المكانة امتهنت في عصر الطوائف باسم الفن، حيث كانت قصور الأثرياء مثوًى لفنون الغناء، والرقص والموسيقى، وما يدخل في بابهما من صور الترف، حيث كان هؤلاء الأثرياء يتنافسون في اقتناء الفتيات الحسان البارعات في العزف والغناء ويبذلون في ذلك الأموال الطائلة[١٩٥].

سادساً : طبقات المجتمع في الأندلس :

إن المتصفح للكتب التي دونت تاريخ المجتمع الأندلسي يجد أمراً جلياً في ذلك المجتمع، ألا وهو تكوينه من طبقات عديدة، مع تباين الملل واختلاف النحل .

والمجتمع الأندلسي ينقسم إلى ثلاث طبقات، وهي : الطبقة العليا، والطبقة الوسطى، والطبقة الدنيا، وقد كانت متمثلةً في مدينة قرطبة، حيث كانت هناك أحياء ثلاثة مخصصة للطبقة العليا وهي : الرُصافة، والزاهرة، والزهراء، أما بقية الأحياء فكانت للطبقتين الوسطى والدنيا، وتقوم عظمة قرطبة - مسقط رأس ابن حزم - الحقيقية على أهل الطبقة الوسطى المُكوَّنة من الصنَّاع، والعمّال، والطلاب، وصغار الفقهاء، والموظفين، والكتَّاب[١٩٦].

١- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ١٠٨ .
٢- خالد الخالدي، مرجع سابق، صـ٤٦.
١- عبد الحليم عويس، مرجع سابق، صـ٤٥ .

لكن هذه الطبقات ليست منفصلةً انفصالاً كلياً عن بعضها البعض، فهذا يخالف طبيعة الإنسان، فالإنسان كائنٌ اجتماعي يحتاج إلى الآخرين أيَّاً كانت طبقاتهم، وهذا الاحتياج يتمثل في وجود الاختلاط بين الطبقات كلها، سواء أكان هذا الاختلاط بالمصاهرة أو بالتبادل التجاري أو بغيره من مظاهر الاختلاط .

سابعاً : عناصر السكان في الأندلس :

كان المجتمع الأندلسي يعج بالسكان من الأجناس المختلفة، لكن الشيءَ المَمَيِّزَ لهذا المجتمع أَنَّ كلَّ سلالة أو عنصر من عناصر السكان كان له خصائصه وسماته الخاصة .

فكان هذا المجتمع يموج بعناصر مختلفة جمعها المكان، فكان فيهم العرب الخُلَّصُ، وهم الذين كان لثقافتهم وللغتهم ولأخيلتهم ولصورهم البيانية السلطان الكامل، لذا كان للأندلس مظهرٌ أدبي وفكري واحد وحدّته تلك اللغةُ الساميةُ لغة القرآن الكريم(١٩٧).

وكان فيهم البربر، وكانوا غالبيةَ الجيش حين الفتح الإسلامي للأندلس(١٩٨) وقد كان منهم من له مقام مذكور في الفتح، وفيهم حدة طباع، وفيهم نفرة شديدة أحياناً(١٩٩)، ولذلك كانوا هم وقود الفتن والاضطرابات وموقديها .

وكان في ذلك المجتمع الصقالبة، ومَن اعتنق الإسلام من سكان البلاد الأصليين، ومن بقي على ديانته ذميّاً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم(٢٠٠)، وأُطلق عليهم المُعاهدون أو أهل الذمة وكان لهم دورٌ مهمٌ في الأندلس، حتى كانوا يقاربون المسلمين في الحياة الاجتماعية، إذ تمتعوا بكثير من التسامح الديني والسياسي(٢٠١).

وكان فيهم السود، وهو أقل الأجناس تقريباً، وقد اتخذ منهم الخلفاء حرسهم الخاص، فتزايدوا في البلاد، وقد أكثر منهم المنصور بن أبي عامر لاشتهارهم بالقوة والاحتمال(٢٠٢).

ثامناً : لغة أهل الأندلس :

قد كان للغة القرآن الكريم الدورُ البارزُ والمهمُ في صياغة الوجه الحضاري الراقي للأندلس، حيث انصهرت كل عناصر سكان أهل الأندلس، وأنتجت مجتمعاً أندلسياً رائعاً مميزاً، مهتمين باللغة العربية فقهاً، وفهماً، وشعراً، ونثراً .

١- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ١٠٦ .
٢- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٢١٥ .
٣- الطاهر أحمد مكي، مرجع سابق، صـ١٣.
٤- أحمد بن ناصر الحمد، مرجع سابق، صـ١٠٤ .
٥- عبد الرحمن علي الحجي، مرجع سابق، صـ٢٨٤ .
٦- عبد الله بن إسحاق سماورو، "آراء ابن حزم الظاهري (٣٨٤-٤٥٦هـ) في التفسير جمعاً ودراسة من سورة التوبة الآية ١٠٤إلى نهاية سورة النور ومجموع المسائل ١٠٥"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ، صـ١٦ .

يقول ابن بسام : " ومازال في أفقنا هذا الأندلس القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين، وأئمة النوعين، هم ما هم : طيب مكاسر، وصفاء جواهر، وعذوبة موارد ومصادر، لعبوا بأطراف الكلام المشقق، لعب الدُّجى بجفون المؤرَّق، وحَدَوا بفنون السحر المنمق، حداء الأعشى ببيان المحلق، فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم، وباهوا غرر الضحى والأصائل بعجائب الأشعار والرسائل؛ نثر لو رآه البديع لنسي اسمه، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه، ونظم لو سمعه كُثيّر ما نسب ولا مدح، أو تتبعه جرو ما عوى ولا نبح "(٢٠٣).

ومن أجل إعجاب ابن بسام بمحاسن أهل الأندلس الكثيرة ومآثرهم الحميدة ألَّف كتابه " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة "، وقد ذكر فيه أيضاً قدوم أبي علي القالي وتعجبه من ذكاءِ الأندلسيين، بل وتركه المباحثة والمناقشة معهم بقوله لهم : " إن علمي علم رواية، وليس بعلم دراية، فخذوا عني ما نقلت "(٢٠٤).

" ولذلك فنحن نجد أن الكتب التي اختصت بتراجم الأندلسيين تذكر لنا كماً هائلاً من أدبائهم وشعرائهم ومثقفيهم على تباينهم واختلافهم، فبينما تجد الأمير الشاعر، وتجد الوزير العارف، تجد الفقير المعدم لا يقل عنهم شيئاً، ولا ينقص عنهم قدراً "(٢٠٥)، وذلك لأن من المعلوم أن الاهتمام باللغة العربية له أكبر الدور في وعي المجتمع، ونضج تفكيره، كما أن بعده عن لغته سبب رئيسي في انعدام الثقافة واضمحلال المعرفة .

وهكذا كانوا أهل الأندلس ذلك المزيج الذي ازدهرت به الحضارة فأحيا الآداب والفنون والعلوم، وكانت اللغة العربية وعاء ذلك الازدهار الحضاري .

وفي ظل هذا الوسط الاجتماعي الذي جمع بين العناصر المختلفة، والمظاهر المتضاربة، والطبقات المتباينة، نشأ ابن حزم، فقد تأثر بهذا الجو الاجتماعي وما به من تفاعلات، " يقول المتخصصون في دراسة شخصيته : إن ذلك الجو الاجتماعي كان له أثر في نفس ابن حزم وفي فكره، فقد كان من آثاره في نفسه أن اجتمع فيه جفوة اللفظ أحياناً مع رقة الطبع، وإن كان منها الشاعر الذي يذكر الغزل والمحبين، ويكتب تلك الرسالة القيمة في الحب كتابةَ مَن ذاق وطعم، لا وصف من رأى فقط، وإن كان عفيفاً نزيهاً إلا عن الحلال "(٢٠٦).

١- ابن بسام، مرجع سابق، ج١، صـ١٢،١١ .
٢- المرجع السابق، ج١، صـ١٥ .
٣- علي بن جريد بن هلال العنزي، "آراء ابن حزم الظاهري في التفسير جمع ودراسة من بداية سورة التوبة إلى نهاية آية ١٠٣ من السورة نفسها"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، صـ٢١ .
١- عبد الله بن إسحاق سماورو، مرجع سابق، صـ١٧ .

وكان لذلك المجتمع أثره في تفكيره، فقد اتخذ مادة للدراسة والتحليل والموازنات، وإن رسالتيه (طوق الحمامة) و(مداواة النفوس) مملوءتان بنتائج دراساته النفسية لذلك المجتمع الذي كان يموج بالعناصر المختلفة، والمنازع المتباينة، والمظاهر المتضاربة(٢٠٧).

٣ ـ الحياة العلمية :

امتاز العصر الذي عاش فيه ابن حزم بالازدهار العلمي، والنهضة الفكرية وكثرة الإنتاج الأدبي وغزارته، فقد وجد في ذلك العصر عدد كبير من العلماء الأجلاء ذوي الآفاق الواسعة الذين لا يقتصرون في دراساتهم على المذاهب الفقهية فحسب، بل كانوا مع ذلك أدباء ومؤرخين، كل ذلك رغم الزعازع والاضطرابات السياسية .

فما حلَّ ببلاد الأندلس من الاضطراب السياسي والفتن لم يكن عاملاً في ذهاب العلم وقلة العلماء، فإن عصر ابن حزم كان عصرَ العلمِ حقاً في بلاد الأندلس فإن بني أمية اهتموا بالعلم ونشره، والناس على دين ملوكهم، فأقبل الناس في تلك البلاد على العلم والجد في تحصيله .

فقد كان عصر الخلافة الأموية في الأندلس، يمثل الانطلاقة الواسعة في ميادين الحضارة والبناء الفكري، وكان للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي أثرٌ واضحٌ في انصراف الرعية نحو ميادين النشاط الحضاري بمختلف وجوهه، فلم يقتصر دور الأندلسيين في حفظ العلوم على ترديد ما أخذوه عن المشارقة، بل تعدَّى ذلك إلى مرحلة النمو والتطوير، وبرهنوا أنهم لا يمتلكون روح المثابرة والاستنباطِ والجدة والابتكار، في مختلف ميادين المعرفة، وأثبتوا لغيرهم من المسلمين في مختلف الأقطار أنهم لا يقلون في عطائهم العلمي عنهم(٢٠٨) .

فالكثير من خلفاء بني أمية في الأندلس من أهل العلم والأدب...فعبد الرحمن الداخل كان عالماً وأديباً شاعراً، ومحمد بن عبد الرحمن كان محباً للعلوم ومؤثراً لأهل الحديث، وقد ناصَرَ بقيَّ بن مخلد لما دخل الأندلس بكتاب مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، وأنكر جماعة من أهل الرأي على بقيٍّ ما فيه من الخلاف واستشنعوه ومنعوا من قراءته، فاتصل بقيٌّ بالأمير محمد فاستحضره وإيَّاهم واستحضرَ الكتابَ كلَّه، وجعل يتصفحه جزءاً جزءاً إلى أن أتى على آخره، وقد ظنوا أنه يوافقهم في الإنكار عليه، ثم قال لخازن الكتب هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخةٍ لنا، ثم

٢- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ١٠٣ .

١- سعيد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، السعودية: مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، صـ٣٩١ .

قال لبقيٍّ : انشر علمك واروِ ما عندك من الحديث واجلس للناس حتى ينتفعوا بك، ونهاهم أن يتعرضوا له(٢٠٩).

وهذا دليلُ علمٍ واهتمام وعناية من الخلفاء بالعلم وأهله وحَثٍّ على طلبه فالعالمُ عندهم معظمٌ ومقدرٌ ومكرمٌ .

وامتاز الحكام الأمويون بقربهم للعلماء والأدباء والشعراء، وأجزلوا لهم العطايا، مما نَشَّطَ الحركة العلمية، وجعل كثيراً من العلماء المشرقيين ينتقلون إلى بلاد المغرب والأندلس، وخاصةً في عهد عبد الرحمن الناصر وولده الحكم الذي أنشأ المكتبات، وأحضر الكتب التي ظهرت في المشرق، والتي كانت بدار بني مروان، حيث بلغ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعاً وأربعين فهرسةً، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء لدواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافعة جلبت إليه بضائعه من كل قطر، حتى اجتمعت في الأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله، ولا من بعده، وبقيت محفوظة حتى سنة ٤٠٣هـ، وهو وقت الفتنة التي اجتاحت قرطبة، فنُهِبَتْ هذه المكتبةُ، وتناثرت في أيدي الناس إلا أنها لم تحرق بنار ولم تغرق بنهر، وقد اطلع ابن حزم على هذه المكتبة الضخمة مما أثرى من ثقافته في شتى العلوم التي كانت نتاج عصره(٢١٠) .

وفي وصف حال أهل الأندلس في العلم يقول المقري: وأما حال أهل الأندلس في فنون العلم، فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرصُ الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس؛ لأن هذا عندهم في غاية القبح، والعالم عندهم معظم من العامة والخاصة، يشار إليه، ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة، وما أشبه ذلك...وقراءة القرآن بالسبع، ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونقٌ ووجاهةٌ، والمنتشر عندهم من المذاهب هو مذهب مالك، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، والشعر عندهم له حَظٌّ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة(٢١١)

٢- الحميدي، مرجع سابق، صـ١١ .

١- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ١١٢ .

١- المقري، مرجع سابق، ج١، صـ٢٠٥ .

ولعلَّ أبلغ تعبير وأصدق تصوير لذلك ما كتبه ابن حزم في رسالته فضائل الأندلس وأهلها، فعلى الرغم مما اتسمت به هذه الرسالة من إيجاز، فإنها قد انطوت على تاريخ شامل للفكر الأندلسي، والآداب الأندلسية حتى أوائل القرن الخامس الهجري(٢١٢) .

والحقُ أَنَّ الفضلَ في تلك الروح العلمية التي أظلت الأندلس يرجع إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان عهدُهُ بدايةً مجيدة لعصرٍ عظيمٍ ازدهرت فيه العلومُ والمعارفُ والآدابُ، وانصرف العلماء فيه إلى تحصيل العلم وتصنيف الكتب في شتى حقول المعرفة .

فهو الذي رفع للعلم صرحاً باذخاً فأغدق العطايا على العلماء، وأوسع لهم مجالِسَه وشجَّعهم على دراسة سائر العلوم الدينية وغيرها كالرياضيات والفلك، كما أشرك بعضاً من علماء اليهود في الثقافة الأندلسية فبدأت في عهده دراسة التوراة والتلمود، وتكوَّنت في قصر الخليفة الأندلسي العظيم مكتبةٌ كبرى كانت هي الدليل الواضح على الدرجة العليا التي بلغتها الثقافةُ الأندلسيةُ في عهده، وكان من حظ الأندلس أن دامت خلافته خمسين سنة(٢١٣) .

ثم إنَّ أكثر الفضل يرجع إلى ابنه الحكم الذي كان محباً للعلوم، مكرماً لأهلها، جمَّاعاً للكتب في أنواعها مما لم يجمعه أحدٌ من الملوك مثله، وفيه يقول ابن حزم : " كان رفيقاً بالرعية، محباً للعلم، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم، وأخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط "(٢١٤) .

وعنه يقول ابن خلدون : " وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه، وبعث في كتاب " الأغاني " إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بين أمية، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرج إلى العراق، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر بن عبد الحكم، وأمثال ذلك، وجمع في داره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كله، واجتمعت بالأندلس خزائن من

٢- زكريا إبراهيم، مرجع سابق، صـ٢١٢ .
٣- سعيد الأفغاني، مرجع سابق، صـ١٠ .
١- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦ هـ)، جمهرة أنساب العرب، نشر وتحقيق وتعليق: إ.ليفي بروفنسال، مصر: القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م، صـ١٠٠ .

الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده "[٢١٥]، فلا مبالغةَ إذا اعتبر هذا الخليفة بجهوده العلمية رائداً للنهضة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس .

ثم لَمَّا تغلب المنصور بن أبي عامر على الدولة في عهد هشام المؤيد، كان من حسن الطالع أن المنصور بنشأته وخلاله العلمية اللامعة، كان من أعظم رواد الحركة الفكرية، وكان عالماً متمكناً في الشريعة والآداب بارعاً في النثر والنظم[٢١٦] فكان محبَّاً للعلم طالباً له مُقَدِّراً لأهله .

وقد بلغت الحركة الأدبية في عهده منزلةً رفيعةً، إذ كان يوليها رعايته واهتمامه، ثم خلفه ابنه عبد الملك الذي كان خيرَ حافظ لقيادة المسيرة العلمية بعد والده[٢١٧] .

وقد استمر الازدهار العلمي في عصر ملوك الطوائف بالرغم من الاضطرابات السياسية وفساد الحياة الاجتماعية، فإن كل عاصمة من عواصم الملوك تمتعت بمميزات لم تنعم بها غيرها، حسب قدرة كل ملك فأخذ يجتذب لعاصمته من الفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء[٢١٨]، " ولعل من أبرز المظاهر التي يمكن تسجليها في عصر ملوك الطوائف، أن ملوك الطوائف بالرغم من طغيانهم المطبق واستهتارهم وانخذالهم أمام النصارى، فكانوا من حماة العلوم والآداب، وكان معظمهم من أكابر الأدباء والشعراء، وكانت قصورهم منتديات زاهرة، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون "[٢١٩]، فإذا كان هذا حال ولاة الأمور مع تحملهم أعباء الملك، وتوليهم أمور القيادة، فكيف كان حال عامة الناس ؟! .

ومن المعلوم أن ابن حزم وُلِدَ وعاش في مدينة قرطبة، وقرطبة هي دار ثقافة الأندلس، حيث الموقع الرائع الذي تمتاز به، وحضارتها الساحرة، وجمالها الباهر، وجوها الآسر .

يقول عنها ابن بسام : " وحضرة قرطبة، منذ استفتحت الجزيرة، هي كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أهل الفضل والتقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض، وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها انتشأت التأليفات الرائعة، وصنفت التصنيفات الفائقة "[٢٢٠] .

٢- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن ولي الدين بن محمد ت ٨٠٨ هـ)، العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مصر: القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت)، ج٤، صـ١٤٦.

٣- محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، صـ٧٠٣ .

١- سعيد عبد الله صالح البشري، مرجع سابق، صـ٨٠ .

٢- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس،مصر:القاهرة:دار الفكر العربي، ١٩٨٢م، صـ٤١١ .

٣- عماد جميل عبد الرحمن عبيد، مرجع سابق، صـ١٥ .

١- ابن بسام، مرجع سابق، ج١، صـ٣٣ .

وهذا نصٌ يوضح ما كانت عليه حال قرطبة، وحال الناس الذين كانوا يسكنونها، فقد كانت أرض ذلك القطر الأندلسي وكل بلاد وأراضي الأندلس مليئةً بالعلماء الذين كانوا على درجة كبيرة من النضج والتفكير العلمي، فقرطبة منبع العلماء، ومنها تنفجر أنهار العلوم، والعلم في قرطبة أصيل له ماضي تليد، ممتد الجذور منذ أن فتح الله سبحانه وتعالى على أهل الإسلام الأندلسَ، فكانت مرسى لأصول العلم وقائدةً لدفةِ المعارفِ والعلومِ .

فكان بها جمع من العلماء في القرنين الرابع والخامس الهجريين، قد أوجدوا فيها بيئة علمية ممتازة، وصفهم ابن حزم بأنهم ليسوا أقل من العلماء الموجودين في المشرق، حيث لا يوجد عالم من مفاخر الشرق إلا كان له نظير من مفاخر الأندلس(٢٢١) .

ويذكر ابن بسام أبرز الأسباب التي أثرت ذاك المجتمع علمياً بقوله : "والسبب في ذلك، وتبريز القوم قديماً وحديثاً هنالك على مَن سواهم؛ أن أفقهم القرطبي لم يشتمل قط إلا على أهل البحث والطلب لأنواع العلوم والأدب، وبالجملة فأكثر أهل بلاد هذا الأفق أشراف عرب المشرق افتتحوها، وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها، فبقي النسل فيها بكل إقليم، على عرقٍ كريم "(٢٢٢) .

فهذه البلاد كانت مصدر العلم والثقافات، والبلاد إنما تسمو بأهلها، فلما انتقل أصحاب هذه الفضائل، انتقلت فضائلهم معهم، وانتشرت خصالهم بانتشارهم، وهذا سببٌ رئيسي في رقيّ وازدهار هذه البلاد، إضافةً إلى اهتمام ولاة الأندلس أنفسهم بالعلم والعلماء .

وإذا علمنا حال ذلك المجتمع واهتمامه بالعلم والمعارف، علمنا يقيناً أثره على شخصية ابن حزم العلمية، وهذا واضحٌ بيّنٌ في جُلِّ مؤلفاته .

٤- أثر ظروف عصره في تكوين فكره .

لم يكن من الغريب على ابن حزم أن يتأثر في تفكيره وأسلوب حياته بما اعتور بلاده من تقلبات وما اختلف عليها من أحداث جعلته لا يستقر بمكان، وقد انعكس ذلك على حياته الفكرية فاتسعت أفاقه فألَّمَ بالكثير من العلوم والمعارف فهو الإمام المحدث والفقيه المجتهد وهو الأديب الشاعر الفلسفي المنطقي والمؤرخ العالم بالأنساب، فكان دوحةً وارفةَ الظلال قد بسقت في مهد العلم ونمت في معدنه وتغذت من ينبوعه، وبذلك نستطيع أن نقول إنه توافرت له أسباب المعرفة كاملة، وكان لما عاني من التشريد والنفي والاشتراك في المؤامرات والتدبيرات التي لم تنجح من جراء

٢- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، صـ٩٨ .
٣- ابن بسام، مرجع سابق، ج١، صـ٣٣ .

الخيانات من ذلك المجتمع عضب اللسان ينازل العلماء والفقهاء ويتحدى بجدله العنيف آراء وعقائد في الفقه والفلسفة والدين فقوبل ذلك من خصومه بالاضطهاد ورموه بالضلال، فلم يثنِ ذلك عزمه ولم يحد من إقدامه، فهو المفكر الذي يتحمس لدينه لا تأخذه في الله لوْمَةُ لائمٍ إلى أن مضى لسبيله(٢٢٣) .

أ- تأثره بالأوضاع السياسية :

بعد أن استعرض الكاتبُ الأوضاع السياسية في عصر ابن حزم بشكل موجز، يمكن الإشارة إلى مدى تأثر ابن حزم بهذه الأوضاع، وذلك في النقاط الآتية :

١- اصطدم ابن حزم بالسياسة من صغره، فقد وُلِدَ في الثلث الأخير من أيام وزارة أبيه .

٢- ولأنه كان من أسرة لها شأن عظيم في السياسة، فقد تولى ابن حزم الوزارة ثلاث مرات لثلاثة من خلفاء بني أمية، هم :

أ/ عبد الرحمن بن محمد، الملقب بالمرتضى، في عام ٤٠٨هـ .

ب/ عبد الرحمن بن هشام، الملقب بالمستظهر، في عام ٤١٤هـ .

ج/ هشام بن محمد، الملقب بالمعتد، في عام ٤١٨هـ .

٣- تعرض ابن حزم للأَسْرِ والسجن نتيجةً للحروب التي خاضها مع خلفاء بني أمية .

٤- انتهى حكم الدولة الأموية في الأندلس بموت هشام بن محمد سنة ٤٢٢هـ، وتوالى ملوك الطوائف على قرطبة، وكان منهم المعتضد بن عباد الذي أحرق كتب ابن حزم .

٥- المحن السياسية التي عصفت بالأندلس، وأطاحت ببني أمية لصالح الطوائف، انعكست على حياة ابن حزم فكراً وسلوكاً، ووظائف ومراتب .

٦- لقد تأثر ابن حزم بالحالة السياسية في كتاباته ومؤلفاته، حيث إنه ألَّف مؤلفات تتناول عرضاً للحياة السياسية في الأندلس، مثل : رسالة نقط العروس من تواريخ الخلفاء، وفي أمهات الخلفاء، وفي جمل فتوح الإسلام .

١- زكريا إبراهيم، مرجع سابق، صـ٢٥ .

ب- تأثره بالأوضاع الاجتماعية :

بعد أن استعرض الكاتبُ الأوضاع الاجتماعية في عصر ابن حزم بشكل موجز، يمكن الإشارة إلى مدى تأثر ابن حزم بهذه الأوضاع، وذلك في النقاط الآتية :

١- أدى اختلاط المسلمين بالنصارى إلى وجود الجدل بينهم، خاصةً عندما ضعف شأن الأمراء المسلمين، ولقد كان لذلك أثره في فكر ابن حزم ومؤلفاته .

٢- وجود كثير من العناصر المختلفة في المجتمع الأندلسي من عرب، وبربر، وصقالبة، ومَن اعتنق الإسلام من سكان البلاد الأصليين، ومَن بقي على ديانته ذميّاً، والسود، أدَّى إلى تنوُّع الحضارات والثقافات وإثراء المجتمع الأندلسي، مما أثر على أبناء الأندلس جمعيهم ومن بينهم ابن حزم .

٣- نبغت روح الإصلاح في ابن حزم إثر معايشته للمتناقضات الاجتماعية، فكان يحاول البحث عن حلول لعلاج الأمراض الاجتماعية، وإصلاح ما فسد من الأخلاق، كما جاء في كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس)

٤- وجود عنصر اجتماعي في الأندلس لم يكن في غيرها من البلاد الإسلامية بمقدار ما كان فيها، وهو ظهور نساء كثيرات أديبات وشاعرات، فكان لهذه البيئة الناعمة تأثيرُها في تربيته وتوجيهه؛ فقد كان يفيض بالأحاسيس نحو الجمال ولكن في دائرة الحلال لا يعدوها .

٥- على الرغمِ من كثرة وتنوُّع سكان الأندلس، فإنَّ اللغة العربية كانت هي العنصر الموحد بين الشعوب، وكان لذلك تأثيرُه الواضحُ في كتابات ابن حزم التي تمتاز بسلامة التعبير وبلاغة وفصاحة العبارة .

٦- كانت منتزهات قرطبة كمثيلاتها من مدن الأندلس تغصّ باللهو الماجن، والعبث المنحرف[٢٢٤]، ولم يكن لذلك أثره على ابن حزم، بل كان صاحبَ همةٍ عاليةٍ، وسيّر جاد، وهذه هي صورةٌ صادقةٌ لفضيلةٍ قويةٍ في مجتمعٍ مائجٍ بالأهواءِ والمنكراتِ .

ج- تأثره بالأوضاع العلمية :

بعد أن استعرض الكاتبُ الأوضاع العلمية في عصر ابن حزم بشكل موجز، يمكن الإشارة إلى مدى تأثر ابن حزم بهذه الأوضاع، وذلك في النقاط الآتية :

١- عناية الأمراء الأمويين بالعِلم، وظهر ذلك في :

أ. إكرام العلماء وتوقيرهم، وإغداق الأموال عليهم، مما جعل كثيراً من علماء المشرق ينتقلون إلى الأندلس؛ نشراً للمعارف وطمعاً في العطايا .

١- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مرجع السابق، صـ١٢٥ .

ب. الاهتمام ببناء المكتبات، وتوفير الكتب في مختلف مدن وأقاليم الدولة، ووجود منافسات علمية بين المدن الأندلسية المختلفة، وأيها أكثر علماً ومعرفةً .

٢- ازدهار العلوم، وكثرة العلماء، ووفرة التأليف، فكان من نتائج تلك الحركة العلمية بروز علماء أجلاء كان على رأسهم ابن حزم الذي أثرى المكتبة الإسلامية بغزير علمه، وتنوع مؤلفاته .

٣- اعتناء كثير من الأسر في الأندلس بجمع الكتب على اختلاف أهدافهم فمنهم من يجمعها لا لما اشتملت عليه، بل لملء فراغ في الخزانة (المكتبة) ومنهم مَن يجمعها للقراءة والنقد والتمحيص كابن حزم، ومنهم مَن يجمعها كي يذيع خبره بين الناس .

٤- وجود الخزانة التي أنشأها عبد الرحمن الناصر، الذي تولى الحكم نحو خمسين سنة، وقد حوت أعظم الكتب، ولا ريبَ أن ابن حزم اطلع على ما فيها من كتب، ونهل من مواردها العذبة، لأنها بقيت محفوظة إلى أيام الفتن التي قامت في قرطبة من سنة ٣٩٩هـ إلى سنة ٤٠٣هـ[٢٢٥] .

٥- وجود الصراع بين المسلمين والفرق الأخرى أدى إلى تنشيط الحركة الفكرية في الأندلس .

٦- لم تتأثر الحركة العلمية في الأندلس عند مجيء ملوك الطوائف، بل نهجوا منهاج الأمويين فنهض الأدب والعلم في عصرهم، وكثر الإنتاج الأدبي والعلمي .

٧- تلقى ابن حزم العلم بكل الوسائل المعروفة في تربية الحضارة الإسلامية فقد تعلَّم من المسجد، والمكتبة، والمناظرة والمساجلة، والمنتديات، وقصور الأمراء، وانعكس هذا الثراء المعرفي في قرطبة والأندلس بعامة على فكره وانسكب داخل شخصيته .

١- المرجع سابق، صـ١١٢ .

الفصل الرابع :
الآراء التربوية في كتاب المُحَلَّى

تمهيد :

لمَّا كان الكتاب الحالي يقوم على تحليل مصدرٍ فقهي لإمامٍ فقيه حجة؛ بهدف الوصول إلى الآراء التربوية التي بثَّها من خلال هذا السِّفرِ العظيم، وجب القول بأنَّ العلاقة بين الفقه والتربية علاقة طبيعية، فإذا كانت التربية معنية بدراسة السلوك الإنساني، فإن الفقه هو الذي يوفر لعملية التربية القواعد الموجهة للسلوك الإنساني، بما يضمن اتفاقه مع مراد الله من خلقه.

فالكتاب الحالي يستهدف التعرف إلى الآراء التربوية في كتاب " المُحَلَّى " لابن حزم الظاهري، وعليه فقد أفرد الكاتب عدة فصول لمحاولة استنباط وبيان وتحليل الآراء التي جاءت متناثرة في هذا الكتاب، ونتناول هذا التحليل من خلال المحاور الآتية :

الأهداف التربوية، والتربية الأخلاقية، والتربية الاجتماعية، والتربية العقلية والتربية الإيمانية، والمسجد كمؤسسة تربوية، ورعاية الطفل وحقوقه، وأهم قضايا العلم والتعليم، بما يعكس النظرة التربوية لابن حزم التي تشكلت عنده من خلال مسيرته العلمية، لكن قبل الخوض في تناول الآراء التربوية وتحليلها، يفرد الكاتبُ مساحةً خاصةً للتعريف بكتاب "المُحَلَّى" موضوع الكتاب.

كتاب المُحَلَّى وقيمته :

أ- نسبته لابن حزم الظاهري :

يُنسب كتاب " المحلى " إلى ابن حزم الظاهري، وهذا مشهور متداول، ويؤكد هذا ما كتبه ابنه أبو رافع الفضل عند تكملته للمُحَلَّى، فقال : " من كتاب الإيصال تكملة لما انتهى إليه أبو محمد من كتاب المحلى ونسبه أيضاً إلى ابن حزم كثيرون من العلماء[٢٢٦] .

ب- الباعث إلى تأليفه :

سطَّرَ ابن حزم الباعث إلى تأليفه كتاب " المُحَلَّى " في مقدمته للكتاب قائلاً: " أَمَّا بَعْدُ، وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِطَاعَتِهِ، فَإِنَّكُمْ رَغِبْتُمْ أَنْ نَعْمَلَ لِلْمَسَائِلِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي جَمَعْنَاهَا فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ " بِالْمُجَلَّى " شَرْحًا مُخْتَصَرًا أَيْضًا، نَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى قَوَاعِدِ الْبَرَاهِينِ بِغَيْرِ إكْثَارٍ، لِيَكُونَ مَأْخَذُهُ سَهْلاً عَلَى الطَّالِبِ وَالْمُبْتَدِئِ، وَدَرَجًا لَهُ إلَى التَّبَحُّرِ فِي الْحِجَاجِ

٣- راجع في ذلك : الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٤، وتذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج٣، صـ١١٤٧، والمقري، مرجع سابق، ج٢، صـ٥١٥ .

وَمَعْرِفَةِ الِاخْتِلاَفِ وَتَصْحِيحِ الدَّلاَئِلِ الْمُؤَدِّيَةِ إلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِمَّا تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ وَالإِشْرَافِ عَلَى أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالْوُقُوفِ عَلَى جَمْهَرَةِ السُّنَنِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَمْيِيزِهَا مِمَّا لَمْ يَصِحَّ، وَالْوُقُوفِ عَلَى الثِّقَاتِ مِنْ رُوَاةِ الأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَسَادِ الْقِيَاسِ وَتَنَاقُضِهِ وَتَنَاقُضِ الْقَائِلِينَ بِهِ، فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَمَلِ ذَلِكَ، وَاسْتَعَنْته تَعَالَى عَلَى الْهِدَايَةِ إلَى نَصْرِ الْحَقِّ، وَسَأَلْته التَّأْيِيدَ عَلَى بَيَانِ ذَلِكَ وَتَقْرِيبِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصًا وَفِيهِ مَحْضًا آمِينَ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلْيَعْلَمْ مَنْ قَرَأَ كِتَابَنَا هَذَا أَنَّنَا لَمْ نَحْتَجَّ إلاَّ بِخَبَرٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ الثِّقَاتِ مُسْنَدٍ، وَلاَ خَالَفْنَا إلاَّ خَبَرًا ضَعِيفًا فَبَيَّنَّا ضَعْفَهُ، أَوْ مَنْسُوخًا فَأَوْضَحْنَا نَسْخَهُ "[٢٢٧] .

ج- مكانة كتاب المُحَلَّى :

إنَّ المطلع على كتاب " المُحَلَّى " يدرك أنَّه من الكتب العظيمة التي ينبغي العناية بها، والحرص عليها وعلى دراستها، وقد امتدح هذا الكتابَ سلطان العلماء العز بن عبد السلام في قوله : " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلَّى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفَّق الدين "[٢٢٨] .

ويتميز كتاب " المُحَلَّى " بعدة مزايا تجعله ذا قيمة مستحقاً للدراسة، منها :

١- أَنَّ كتاب "المحلَّى" جاء بعد خلاصة اجتهاد الفقهاء لأكثر من أربعة قرون .

٢- أَنَّ تدوين كتاب " المحلَّى " كان آخر حياة ابن حزم الظاهري، مما زاد في قيمة الكتاب، إذ أنه كُتِبَ في المرحلة التي بلغ فيها ابن حزم قمة عطائه، وأوج ثرائه الفكري .

٣- أَنَّ الكتاب يعد واحداً – إن لم يكن الأوحد – من المصادر التي جمعت بين دفتيها الفقه الظاهري بشكل كامل .

٤- أَنَّ هذا الكتاب ثروة عظيمة نقلت لنا علوم السابقين، ودارت معارفه بين أحكام القرآن وأحكام الحديث، كما حوى فقه الصحابة، وفقه التابعين، وفقه الأئمة الأربعة، وفقه تابعي التابعين إلى منتصف القرن الخامس الهجري.

د- وفاة ابن حزم قبل إتمام المُحَلَّى :

لم يُتِمّ ابن حزم تأليفه للمُحَلَّى؛ لأنَّ الله اختاره لجواره، فقد وصل إلى المسألة (٢٠٢٣)، في المجلد السابع، الجزء العاشر، وبعده أَتَمَّ المُحَلَّى ابنه أبو رافع الفضل، فقد بدأ من المسألة (٢٠٢٤)، إلى المسألة (٢٣٠٨)، في المجلد الثامن، الجزء الحادي عشر، وهي المسألة الأخيرة، وعندها انتهى الكتاب .

١- ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد١، الجزء١، المقدمة صـ٢ .
٢- الذهبي، سير أعلام البلاء، مرجع سابق، ج١٨، صـ١٩٣ .

الأهداف التربوية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى:

الأهداف وتحديدها يساعد على وضوح الرؤية، فأيُّ عمل ناجح لابد أن يكون موجهاً نحو تحقيق أهداف محددة ومقبولة، وإلا أصبح العمل نوعاً من المحاولة والخطأ التي تعتمد على العشوائية والارتجال بما فيها من ضياع للوقت والجهد والمال، وتشكل الأهداف التربوية الغايات الأساسية التي يرغب المربون من المتعلمين بلوغها عند مرورهم بالخبرات التعليمية التعلمية .

الأهداف تزود الفرد بإمكانيات تؤهله لممارسة أسلوب من الملاحظة الدقيقة لكافة الجوانب التي يشملها المسرح المحدد لنشاطه، حتى يتسنى له انتقاء أفضل الوسائل التي يمكنه اتباعها لبلوغ غاياته بالإضافة إلى تحديد مواطن المعوِّقات المتواجدة في هذا المجال، ومن جانب ثانٍ، فهي تلعب دوراً في رسم أسلوب العمل واقتراح كيفية استخدام الوسائل والإمكانيات التي في متناول يد الفرد، بمعنى أنها تساعد على التنظيم والاختيار بما يوفر في الجهد والوقت، ومن جانب ثالثٍ، فهي تلعب دوراً مهماً يتبلور في تسهيل عملية الاختيار بالنسبة للفرد، وذلك فيما يتعلق بنوعية المتغيرات التي يذخر بها الموقف التعليمي، وذلك أن بلوغ الهدف إنما يرتبط بالقدرة على استيعاب المتغيرات المتعددة ومدى النفاذ من خلالها تحقيقاً للغاية المنشودة [٢٢٩] .

فالهدف هو الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه وينظم سلوكه من أجل تحقيقها[٢٣٠]، أو هو اتجاه يبحث عنه المربون لتوجيه أولئك الذين يقعون تحت رعايتهم[٢٣١]، وهناك عديد من المفاهيم حول الهدف التربوي، منها أن الهدف هو التفسير المرغوب الذي يسعى الجهد التربوي إلى تحقيقه سواء في سلوك الفرد أو حياته الشخصية أو في حياة المجتمع وفي البيئة التي يعيش فيها الفرد أو في العملية التربوية نفسها[٢٣٢].

وعليه يحاول الكاتبُ أن يستنبط الأهداف التربوية التي ذكرها ابن حزم في ثنايا كتابه " المحلّى "، لأنَّ الإرث الثقافي يعد مصدراً من مصادر اشتقاق الأهداف التربوية، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة أن يوافق هذا الإرث الثقافي مصدري الأهداف التربوية الإسلامية الرئيسين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

١- سعيد إسماعيل علي، " أهداف المدارس الإسلامية "، أبحاث مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، مصر: القاهرة ٢٩-٣١ يوليو ١٩٩٠م، ص١٨٠،١٨١ .

٢- محمد المرصفي، وآمال المرزوقي، التربية الإسلامية وأشهر المربين المسلمين، مصر: المنصورة: مطابع الوفاء، ١٤١٠هـ ، ص٦٤ .

٣- فيليب هـ .فينكس، فلسفة التربية، مصر: القاهرة: دار النهضة العربية للكتاب، ١٩٨٢م ، ص٨٢٢ .

٤- عمر محمد الشيباني، مرجع سابق، ص٢٨٢ .

ومن هذه الأهداف ما يلي :

١- الهدف الديني :

الهدف الديني أسمى أهداف التربية الإسلامية، وهو تنمية وتكوين العابد الصالح، والهدف الديني للتربية الإسلامية تنطوي تحته مجموعة من الأهداف الخاصة[٢٣٣]، وإذا كانت العبادة لله وحده لا شريك له محور الهدف الديني للتربية الإسلامية، فإن مفهوم العبادة في التربية الإسلامية ليس قاصراً على إقامة الشعائر الدينية فقط، بل تبلغ العبادة أكملها من خلال المعرفة والعلم المؤديين إلى العمل والتطبيق .

ومما سبق تتضح أهمية الهدف الديني، الذي يتمثل في تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، والامتثال لأوامر الله ورسوله، وهذا هو هدف التربية النهائي وغايتها .

وابن حزم لم يذكر الهدف الديني صراحةً في كتابه " المحلّى "، لكن الكتاب مليئٌ بآرائه التي تحمل هذا الهدف داخلها، فهو يقول :"وَلَيْسَ الطَّلاَقُ، وَلاَ النِّكَاحُ، وَلاَ الْعِتَاقُ، وَلاَ الْبَيْعُ، وَلاَ الْهِبَةُ، وَلاَ الصَّدَقَةُ، وَلاَ تَعَلُّمُ الْقُرْآنِ مُعَلَّقًا بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا، وَلاَ مَأْمُورًا فِيهِ بِهَيْئَةٍ مَا، وَلاَ بِجُلُوسٍ، وَلاَ بُدَّ، وَلاَ بِقِيَامٍ عَلَى صِفَةٍ، وَلاَ بِمَكَانٍ مَوْصُوفٍ، لَكِنْ كُلُّ هَذِهِ الأَعْمَالِ أَيْضًا مُحْتَاجَةٌ، وَلاَ بُدَّ إلَى أَلْفَاظٍ مَوْضُوعَةٍ، أَوْ أَعْمَالٍ مَحْدُودَةٍ، وَأَوْقَاتٍ مَحْدُودَةٍ، فَكُلُّ مَنْ أَتَى بِالصَّلاَةِ، أَوْ النِّكَاحِ، أَوْ الطَّلاَقِ، أَوْ الْبَيْعِ، أَوْ الْهِبَةِ، أَوْ الصَّدَقَةِ، عَلَى خِلاَفِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ كُلُّهُ بَاطِلٌ لاَ يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ لاَ طَلاَقٌ، وَلاَ نِكَاحٌ، وَلاَ عَتَاقٌ، وَلاَ هِبَةٌ، وَلاَ صَدَقَةٌ، كَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، وَلاَ فَرْقَ "[٢٣٤] .

فلا طلاق ولا نكاح ولا عتاق ولا بيع ولا هبة ولا صدقة ولا تعلم قرآن يصح إلا بما أمر الله به وفقاً لشريعته، ليس هذا فحسب بل كل شيء من أعمال الشريعة لابد أن تتم وفق لأوامر الله المشرع سبحانه وتعالى .

ويعبر ابن حزم في موضع آخر عن الهدف الديني قائلاً : " وَمَا نَدْرِي كَيْفَ يَسْمَحُ ذُو عَقْلٍ أَنْ يُشَرِّعَ فِي دِينِ اللَّهِ هَذِهِ الشَّرَائِعَ الْفَاسِدَةَ فَيَصِيرُ مُحَرِّمًا مُحَلِّلاً مُوجِبًا دُونَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا هُوَ إلاَّ مَا جَاءَ النَّصُّ بِإِبَاحَتِهِ فَهُوَ مُبَاحٌ، قَلَّ أَمَدُهُ أَوْ كَثُرَ أَوْ مَا جَاءَ النَّصُّ بِتَحْرِيمِهِ فَهُوَ حَرَامٌ قَلَّ أَمَدُهُ أَوْ كَثُرَ أَوْ مَا جَاءَ النَّصُّ بِإِيجَابِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَ نَصٌّ بِتَحْدِيدٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَسَمْعًا وَطَاعَةً "[٢٣٥] .

١- علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط٣، السعودية: المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٨ هـ، ص١٤١ .

٢- ابن حزم، المُحَلَّى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٣٩٤، ص٣٤-٣٥ .

١- المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٦٢٨، ص١٩١ .

فابن حزم يستنكر على كل ذي عقل أن يشرع في دين الله سبحانه وتعالى شرائع فاسدة دون نص، " لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ق كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، فَصَحَّ أَنَّهُ لَيْسَ لأحَدٍ أَنْ يَلْتَزِمَ غَيْرَ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى "[٢٣٦] .

ويعبر ابن حزم أيضاً عن الهدف الديني في قوله : " بَلْ إذَا تَنَازَعَ النَّاسُ رَدَدْنَا ذَلِكَ إلَى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا الرَّدَّ إلَيْهِ مِنْ الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ لاَ نُرَاعِي مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مَعَ وُجُودِ بَيَانِ السُّنَّةِ فِي أَحَدِ أَقْوَالِ الْمُتَنَازِعِينَ "[٢٣٧]، فالمرجوع إليه عند التنازع في رأي ابن حزم هو القرآن الكريم، لأن الله تعالى لم يقل لنا قط ولا رسوله ق : لا تقولوا بما في القرآن والسنة، بل هذا القول ضلال وبدعة وكبيرة من أكبر الكبائر.

" وَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّدِّ عِنْدَ التَّنَازُعِ إلاَّ إلَى كَلاَمِهِ، وَكَلاَمِ رَسُولِهِ عليه الصلاة والسلام لاَ إلَى كَلاَمِ صَاحِبٍ، وَلاَ غَيْرِهِ، فَمَنْ رَدَّ عِنْدَ التَّنَازُعِ إلَى غَيْرِ كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلاَمِ رَسُولِهِ ق فَقَدْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ"[٢٣٨]

وأفضل العلوم من وجهة نظر ابن حزم هو علم الشريعة، لأنه الطريق الذي يصل من خلاله المسلم إلى الفوز برضاء الله تعالى والسعادة في الدنيا والآخرة فالغرض من خلق الإنسان في هذه الدنيا والغرض من تعلمه العلم أن يتعلم علم ما أراد الله منا وما يكون الخلاص في الدار الآخرة، وهو المعرفة بالشريعة والإعلان بها والعمل بموجبها[٢٣٩] .

وإذا كان ابن حزم قد اهتم بالعلوم الشرعية؛ لأنها الطريق المؤدي إلى تحقيق الهدف الديني، فإنه في الوقت نفسه لم يهمل العلوم الدنيوية أو ما يسميه بعلوم الأوائل، مثل علم العد والمساحة والطبيعة ونحو ذلك، وهذا يعني أن ابن حزم اهتم بالعلوم الدينية والدنيوية معاً، وإن كان يرى أهمية العلوم الشرعية وأفضليتها على علوم الأوائل في تحقيق النفع الدنيوي والأخروي[٢٤٠]، وهذا يدلل على أن التربية عند ابن حزم تربية متوازنة تهتم بالحياتين الدنيا والآخرة، وهذه إحدى خصائص ومميزات التربية الإسلامية.

ومن هنا رفض ابن حزم أن يكون الهدف المادي (الدنيوي) هو الغاية، إنما الغاية عنده هي الامتثال لأوامر الله عز وجل .

٢- ابن حزم، المُحَلَّى، مرجع سابق ، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٧٤٣، ص٢٠٠ .
٣- المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٦، ص ١٦٥-١٦٦ .
٤- المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٦٤، ص ٣٣٦ .
١- ابن حزم، رسائل ابن حزم، مرجع سابق، ج٤، ص٨١،٨٢ .
٢- المرجع السابق، ج٣، ص١٣١،١٤١ .

٢- الهدف العقلي :

يحتل العقل مكانة خاصة في الفكر التربوي الإسلامي، فبالعقل تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، والفكر الإسلامي يؤمن بالجانب العقلي عند الإنسان، وما له من مطالب وطاقات، ويؤكد هذه المكانة أن أول ما نزل من آيات القرآن الكريم آية تخاطب العقل، وتحث الإنسان على العلم والقراءة.

وعلى الرغم من أَنَّ ابن حزم يعتنق المذهب الظاهري الذي ينظر إلى ظاهر النص دون تأويل فقد اهتم بتوضيح فضل قوة إدراك العقل على إدراك الحواس لأنَّ العقل يشارك الحواس في جميع مدركاتها، وينفرد عنها بأشياء كثيرة، فلولا العقل ما عرفنا الغائب عن الحواس ولا عرفنا الله عز وجل، "ولهذا يرجع ابن حزم معرفة صحة الديانة، وصحة العمل الموصل إلى الجنة، ومعرفة حقيقة العلم وما به من مصلحة العالم والمعاش والجسد، يرجع ذلك إلى الإدراك العقلي"[٢٤١].

يقول ابن حزم : " وَلَوْ حَقَّقَ كُلُّ ذِي قَوْلٍ قَوْلَهُ، وَحَاسَبَ نَفْسَهُ بِأَنْ لاَ يَقُولَ فِي الدِّينِ إلاَّ مَا جَاءَ بِهِ قُرْآنٌ أَوْ سُنَّةً؛ لَقَلَّ الْخَطَأُ، وَلَكَانَ أَسْلَمَ لِكُلِّ قَائِلٍ "[٢٤٢]، وهنا يحث ابن حزم على ضرورة أن يتحقق كل إنسان من قوله وأن يحاسب نفسه ولا يقول إلا بما جاء به الدين .

إذا كان العقل الإنساني هو مناط التكليف وأداة التفكير، فإن الإسلام احترم مبدأ الحرية الفكرية، وأحقية الإنسان في التفكير المستقل[٢٤٣]، والبحث عن الحقيقة يمثل المحور الذي يدور حوله الهدف العقلي، يقول ابن حزم : " لَيْسَ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَ "[٢٤٤].

وابن حزم ينكر على كل ذي عقل أن يُعمل عقله مع وجود نص قرآني أو نص من سنة الرسول ق قائلاً : أُفٍّ لِكُلِّ عَقْلٍ يَتَعَقَّبُ حُكْمَ رَسُولِ اللَّهِ ق "[٢٤٥] ويقول : " وَالنَّظَرُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُعَارَضَ بِهِ كَلاَمُ رَسُولِ اللَّهِ ق "[٢٤٦]، لكن إذا تجنب الإنسان التفكير فيما شهدت بصحته المصادر الشرعية، فإنه يستطيع التفكير في جميع ما يقع تحت عقله وحواسه، غير مبالٍ بكثرة خصومه، ولا بقدم أزمانهم، ولا بتعظيم الناس لهم، ولا بعزتهم، لأن الحق أكثر منهم وأعز وأعظم، وأولى بالتعظيم عند كل أحد .

١- ابن حزم، رسائل ابن حزم، مرجع سابق، ج٤، ص٣١٢-٣١٧ .
٢- ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١١٩٩، ص٨١ .
٣- علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، لبنان: بيروت: دار النهضة العربية، ١٤١١هـ، ص٣٤٢
٤- ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٤٣، ص٩ .
١- المرجع السابق، الجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١١١ .
٢- المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٧٣، ص١٧١ .

ومن هنا يتضح أن طلب الحقيقة هو غاية الأهداف العقلية، ذلك لأن الحقيقة جوهرة عالمية ملك بين الناس جميعاً، فمَن عرفها ابتكاراً أو اقتباساً فهو أحق بها .

٣ – الهدف الأخلاقي :

من خصائص الفكر الإسلامي أنه أعطى الإنسان مكانة خاصة، لتميزه عن سائر المخلوقات، فلقد أنعم الخالق سبحانه وتعالى على الإنسان وكرمه، ثم حمَّله أمانة الخلافة في الأرض، ولذلك فقد اهتم الإسلام بتربية الإنسان وإعداده، لحمل هذه الأمانة، وأكثر ما اهتم به الإسلام في تربية الإنسان سمة الأخلاق، فنجد الخالق تبارك وتعالى يصف نبيه ق الإنسان والقدوة لبني جنسه.

كما يوضح الرسول ق نفسه الهدفَ من رسالته بقوله : "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق "[٢٤٧].

ومن هنا تتضح أهمية التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة لطلاب العلم، حتى تنمو شجرة العلم الطاهرة في تلك التربة الطيبة، ومما لاشك فيه أن الأخلاق والدين في الإسلام حقيقتان لا تنفصلان، لأن الأصل في الأخلاق الإسلامية أنها ترجع إلى سلطة خارجية قاهرة هي سلطة الدين[٢٤٨].

وهذا يعني أن مصدر الأخلاق الإسلامية هو نفسه مصدر الدين الإسلامي وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هذا المنطلق فإن الهدف الأخلاقي للتربية عند ابن حزم يعتمد في أساسه على الشرع الإلهي، وما أمر به الله وما نهى عنه، حيث يقول ابن حزم : "وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُلْزَمَ أَحَدٌ إلاَّ مَا نَحْنُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْزَمَهُ إيَّاهُ "[٢٤٩].

فالوحي الإلهي يقرر الإلزام من خلال إقراره بالقوة النفسية الداخلية التي تدفع الإنسان نحو عمل الخير وتردعه عن الإتيان بالشر، وهذه الحرية الإرادية وما يترتب عليها من مسئولية تستوجب مجموعة من الجزاءات الأخلاقية[٢٥٠].

وإذا كان الهدف الأخلاقي عند ابن حزم مرتبط بأوامر الله عز وجل ونواهيه، فإن العقوبة المترتبة على عدم الالتزام بالأخلاق الإسلامية تشمل العقوبة الدنيوية والعقوبة الأخروية، وهذا يحقق بُعداً أكبر للالتزام بالأخلاق الإسلامية.

٣– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب المفرد، باب حسن الخلق، ج١، صـ١٠٤، رقم الحديث٢٧٣

١– أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، مصر: القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م، ص١١٧،١١٦ .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٨٠، ص١٨٤ .

٣– علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص١٧٥.

وحينما سُئِلتْ السيدة عائشة عن خلق الرسول ق قالت : "كان خلقه القرآن "[٢٥١].

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما أجمع عليه علماء الأمة هي مصادر الأخلاق عند ابن حزم، فإن الرسول ق هو الصورة الحية لتلك الأخلاق، ولهذا يرى أهمية الاقتداء بالرسول ق فيما يتعلق بالتربية الأخلاقية، فيقول في كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) مَن أراد خير الآخرة، وصحة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتدِ بمحمد ق ، ويستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاقتداء به آمين "[٢٥٢].

ومن الأمثلة الواردة في كتاب (المحلّى) التي تدلل على إيمان ابن حزم بالاقتداء بالرسول ق أنه يقول : " كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ق نُحَرِّمُ مَا نَهَى عَنْهُ، وَنَعُدُّ مِنْ الْقُرْبِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ؛ فَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ حَقٌّ، وَفِعْلُهُ حَقٌّ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَبَاطِلٌ "[٢٥٣]، وفي موضع آخر يقول ابن حزم : " وَخَيْرُ الأَعْمَالِ مَا ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ق عَمِلَهُ وَمَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ،وَذَلِكَ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ بُرْهَانُ ذَلِكَ: ونخلص مما سبق أن الهدف الأخلاقي عند ابن حزم يتمثل في تربية الإنسان المسلم على الالتزام بالأخلاق الإسلامية، باعتبارها أوامر ونواهي من الله عز وجل، فهي بذلك ربانية المصدر، يفعلها المسلم طلباً لثواب الله عز وجل ويتركها خوفاً من عقابه .

٤- الهدف الاجتماعي :

الإنسان مدني بطبعه،ولذلك فإنه يسعى للعيش في مجموعة من الناس، يساهم معهم فيما يحتاجونه ويستعين بهم في قضاء حوائجه، ومن هنا كان الإنسان مخلوقاً متحضراً له تاريخه وله قيمه الاجتماعية[٢٥٤].

ومن خصائص هذا الفكر في تربية الإنسان أنه فكر يجمع بين النظرية والتطبيق، يتمثل شقه النظري في القرآن الكريم وأحاديث الرسول وسيرة أصحابه الكرام، أما الشق التطبيقي فيتمثل في أفعال وسلوك النبي الإنسان محمد

كما يحرص الإسلام على التوازن في جوانب نمو الإنسان المختلفة، ويجعلها أساساً في تربيته، فهو ينظر إلى الطبيعة الإنسانية نظرة بسيطة سمحة، فيها ثنائية، لكن فيها تكامل وتوازن، ورغم هذه الثنائية فإنه لم يعطِ امتيازاً للروح على الجسد أو العكس، وإنما عُني الإسلام بالجسد والعقل والروح والنفس في وسطية واعتدال، بلا إفراط ولا تفريط، كما يوازن بين الفردية والنزعة الجماعية، وبين حقوق الإنسان وواجباته[٢٥٥].

٤– أخرجه أحمد، في مسنده، ج٤٢، صـ١٨٣، رقم الحديث٢٥٣٠٢ .

١– ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ)، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٦٧،٦٨ .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٣٩٣، ص٣٢ .

١– عبد الغني عبود، وحسن عبد العال، التربية الإسلامية. تحديات العصر، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٠م، ص٣٥٠ .

٢– محمد سيف الدين فهمي، النظرية وأصولها الفلسفية والنفسية، مصر: القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ص ٦٥ .

يقول ابن حزم : " وَمَنْ سَبَقَ إلَى مَكَانٍ مِنْ الْمَسْجِدِ لَمْ يَجُزْ لِغَيْرِهِ إخْرَاجُهُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ إنْ قَامَ عَنْهُ غَيْرَ تَارِكٍ لَهُ فَرَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ؛ لأنَّ الْمَسْجِدَ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ق أَنْ يُقَامَ أَحَدٌ عَنْ مَكَانِهِ، حدثنا عبد الله بن ربيع، حدثنا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، حدثنا أَبُو دَاوُد، حدثنا مُوسَى بْنُ إسْمَاعِيلَ، حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ق قَالَ : إذَا قَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ "[٢٥٦]، وهنا مثال لتعامل الإنسان المسلم مع أخيه المسلم داخل المسجد، وكيف له أن يحترم حق أخيه في الحفاظ على مكانه، وأيضاً يقول ابن حزم : " وَيَجِبُ عَلَى الإمَامِ التَّخْفِيفُ إذَا أَمَّ جَمَاعَةً لاَ يَدْرِي كَيْف طَاقَتُهُمْ وَيُطَوِّلُ الْمُنْفَرِدُ مَا شَاءَ، وَحَدُّ ذَلِكَ مَا لَمْ يَخْرُجْ وَقْتُ الصَّلاَةِ الَّتِي تَلِي الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَإِنْ خَفَّفَ الْمُنْفَرِدُ فَذَلِكَ لَهُ مُبَاحٌ "[٢٥٧] ، وهنا يؤكد ابن حزم على ضرورة مراعاة الإمام حال المأمومين في الصلاة .

وعليه فإن واجب التربية الإسلامية في المجتمع المسلم هو تربية الإنسان المسلم على كل ما يحتاج إليه من القيم الاجتماعية الإسلامية، وتنشئته تنشئةً اجتماعية إسلامية، ليتكيف مع نفسه أولاً وبيئته ومجتمعه ثانياً في إطار ما يحقق له أهدافه التربوية المختلفة .

ولهذا فإن الهدف الديني والهدف العقلي والهدف الأخلاقي للتربية لا يمكن أن تنعكس بكل ما فيها من المغازي الحقيقية إلّا من خلال تجسيدها الحي في الواقع الاجتماعي في صورة علاقات بين الناس وتفاعلات بين النظم، وتعاون ونمو في مختلف جوانب الحياة[٢٥٨].

٥- الهدف السياسي :

حثتْ التربية الإسلامية الناس على التعاون على البر والتقوى، قال رسول الله ق : " المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً "[٢٥٩].

وفي ذلك يقول الجاحظ : " على أن المرء ليس بوسعه التخلي عن الناس من حوله، وإذا كان الأمر كذلك فليكن التقليل من المخالطة "[٢٦٠]، ويقول الأصفهاني : " لابد من اجتماع الناس ببعضهم، وأنه لا يمكن أن يستغني بعضهم عن بعض ما داموا أحياء، أما التفرد عن الأخيار الذين يفيدون فإنه مكروه، وأما التفرد عن الأنذال الذين

١– ابن حزم ، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٢٠، ص٦٦ .
٢– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٤٤، ص٩٨ .
٣– محمود السيد سلطان، الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام، مصر: القاهرة: دار الحسام: ١٤٠١هـ، ص٩٧ .
١– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤، صـ١٩٩٩، رقم الحديث٢٥٨٥ .
٢– الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب بن طرارة الكناني البصري ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٥م، ص١٣٤ .

يُتدنس بمصاحبتهم فإنه محمود، وإن من حق العاقل أن يجتمع مع العامة في ظواهر أحكام الشرع وإقامة وظائف العبادات وإنابتهم من الفضيلة بقدر الوسع "[٢٦١].

فالإنسان يميل إلى الاجتماع بغيره، وهذا الاجتماع يتسبب في اصطدام رغبات الأفراد بعضهم مع بعض، ولهذا قامت الحاجة إلى وجود السلطة لتحكيم شرع الله بين الناس داخل المجتمع الإسلامي .

يقول ابن حزم : " وَلاَ يَحِلُّ أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ وَالْحُكْمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ : إلاَّ مُسْلِمٌ، بَالِغٌ، عَاقِلٌ، عَالِمٌ بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ق وَنَاسِخِ كُلِّ ذَلِكَ، وَمَنْسُوخِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ النُّصُوصِ مَخْصُوصًا بِنَصٍّ آخَرَ صَحِيحٍ؛ لأَنَّ الْحُكْمَ لاَ يَجُوزُ إلاَّ بِمَا ذَكَرْنَا لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَا لاَ يَجُوزُ الْحُكْمُ إلاَّ بِهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِجَهْلِهِ بِالْحُكْمِ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ إذَا كَانَ جَاهِلاً بِمَا ذَكَرْنَا أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ يَرَى أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمًا ثُمَّ يَحْكُمَ بِقَوْلِهِ؛ لأَنَّهُ لاَ يَدْرِي أَفْتَاهُ بِحَقٍّ أَمْ بِبَاطِلٍ.

فَمَنْ أَخَذَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فَقَدْ قَفَا مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَعَصَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلَةِ الْجَاهِلِ مِنْ الْعَامَّةِ تَنْزِلُ بِهِ النَّازِلَةُ فَيَسْأَلُ مَنْ يُوصِفُ لَهُ بِعِلْمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ بَعْدَ أَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَنَّ الْعَامِّيَّ مُكَلَّفٌ فِي تِلْكَ النَّازِلَةِ عَمَلاً مَا قَدْ افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُفْسَحْ لَهُ فِي إهْمَالِهِ فَعَلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَبْلُغَ فِي ذَلِكَ حَيْثُ بَلَغَ وُسْعُهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَلْزَمْهُ وَأَمَّا الْحَاكِمُ فَبِضِدِّ هَذَا؛ لأَنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ مَا لاَ يَدْرِي مِنْ الْحُكْمِ بَيْنَ غَيْرِهِ مِنْ النَّاسِ، بَلْ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَلَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ "[٢٦٢].

ومما سبق يتضح أن ابن حزم يحدد شروطاً وصفات للإمام، وهي :

أن يكون مسلماً .

أن يكون بالغاً .

أن يكون عاقلاً .

أن يكون عالماً بأحكام القرآن الكريم والسنة الثابتة .

ويرى ابن حزم وجوب الإمامة على جميع أفراد المجتمع المسلم لإقامة أحكام الله فيهم وسياستهم بما شرع الله، وذلك من أجل تحقيق قيام أفراد ذلك المجتمع بما أوجبه الله عليهم من الأحكام في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام، ومنع الظلم والجور، وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص[٢٦٣].

٣ـ الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ت٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مصر: القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٢٣هـ/١٩٧٣م، ص٣٦٩ .

١ـ ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٧٥، ص٣٦٣ .

١ـ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، ج٤، ص٨٧ .

ويضيف ابن حزم : " وَصِفَةُ الإِمَامِ أَنْ يَكُونَ مُجْتَنِبًا لِلْكَبَائِرِ، مُسْتَتِرًا بِالصَّغَائِرِ، عَالِمًا بِمَا يَخُصُّهُ، حَسَنُ السِّيَاسَةِ؛ لأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كُلِّفَ، وَلاَ مَعْنَى لأنْ يُرَاعَى أَنْ يَكُونَ غَايَةَ الْفَضْلِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ قُرْآنٌ، وَلاَ سُنَّةٌ "[٢٦٤].

مجتنباً للكبائر .

مستتراً بالصغائر .

حسن السياسة .

ومن هنا تتضح أهمية الشريعة الإسلامية بالنسبة للنظام السياسي، وضرورة أن يطبق الحاكم شرع الله، لأنه السبيل الوحيد لجلب المصالح للناس، ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة .

ولا يجوز أن يكون في الناس إمامان البتة، ولا يحل أن يكون في شرق الأرض وغربها إلا إمام واحد، " وَلاَ يَحِلُّ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا إلاَّ إمَامٌ وَاحِدٌ، وَالأَمْرُ لِلأَوَّلِ بَيْعَةً: لِمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا إسْحَاقُ بْنُ إبْرَاهِيمَ، هُوَ ابْنُ رَاهْوَيْهِ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، كِلاَهُمَا سَمِعَ جَرِيرًا، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ الصَّائِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْت عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ : إنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ق يَقُولُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ : وَمَنْ بَايَعَ إمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ "[٢٦٥].

ونخلص مما سبق إلى أن الهدف السياسي للتربية عند ابن حزم يتمثل في تطبيق الشريعة الإسلامية في كل ما يتعلق بالنظام السياسي، وتربية المجتمع في عمله السياسي على ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف في مختلف مناحي الحياة.

٦- الهدف العسكري :

إن ارتباط الهدف العسكري بالهدف السياسي ارتباط حتمي، لأن حماية الرعية في الداخل والخارج هو من أولى مسؤوليات الحاكم، وفي نفس الوقت فإن النظام السياسي يحتاج إلى القوة العسكرية اللازمة لبسط سلطته على أفراد المجتمع، ومن هنا ينادي ابن حزم بأهمية توفير الأمن الداخلي عن طريق تعيين الإمام لمن يقوم بأعمال الشرطة والحسبة، وتوفير الحماية الخارجية عن طريق جهاد الكفار وإعداد العدة وتحصين الثغور بالعدة المانعة[٢٦٦].

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٧٣، ص٣٦٢ .
١– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٧٠، ص٣٦٠ .
٢– عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص٢٦٧،٢٦٨ .

يقول ابن حزم : " فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْبُغَاةِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ إلَى أَنْ يَفِيئُوا، ثُمَّ حَرَّمَ قَتْلَهُمْ إذَا فَاءُوا، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ مَنَعَ حَقًّا مِنْ أَيِّ حَقٍّ كَانَ وَلَوْ أَنَّهُ فِلْسٌ وَجَبَ عَلَيْهِ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ لأَدَمِيٍّ، وَامْتَنَعَ دُونَ أَدَائِهِ فَإِنَّهُ قَدْ حَلَّ قِتَالُهُ؛ لأَنَّهُ بَاغٍ عَلَى أَخِيهِ، وَبَاغٍ فِي الدِّينِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ عَمَلٍ لِلَّهِ تَعَالَى لَزِمَهُ وَامْتَنَعَ دُونَهُ، وَلاَ فَرْقَ، فَإِذَا قُدِرَ عَلَيْهِمْ أُجْبِرُوا عَلَى أَدَاءِ مَا عَلَيْهِمْ بِالتَّعْزِيرِ وَالسَّجْنِ، كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ق فِيمَنْ أَتَى مُنْكَرًا فَلاَ يُزَالُ يُؤَدَّبُ حَتَّى يُؤَدِّيَ مَا عَلَيْهِ أَوْ يَمُوتَ غَيْرَ مَقْصُودٍ إلَى قَتْلِهِ وَحَرُمَتْ دِمَاؤُهُمْ بِالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ، وَتَارِكُ الصَّلاَةِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهَا وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلاَءِ، إنْ امْتَنَعَ قُوتِلَ، وَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ لَمْ يَحِلَّ قَتْلُهُ؛ لأَنَّهُ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ نَصٌّ، وَلاَ إجْمَاعٌ، بَلْ يُؤَدَّبُ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا أَوْ يَمُوتَ كَمَا قلنا غَيْرَ مَقْصُودٍ إلَى قَتْلِهِ، وَلاَ فَرْقَ "[٢٦٧]، وهذا يوضح أهمية عمل المجاهد في المجتمع المسلم، وما يعود به الجهاد في سبيل الله من الأجر على مَن يجاهد بنفسه .

ويوضح ابن حزم ضرورة التربية الجهادية في الإسلام بقوله إنه لولا المجاهدين لهلك الدين، واستولى الكفار على بلاد الإسلام[٢٦٨].

ومن جملة الآراء التي نادى بـها ابن حزم فيما يتعلق بالتربية الجهادية، ما يلي:

يرى ابن حزم ضرورة التمسك بالآداب الإسلامية فيما يتعلق بالحرب مع الكفار، فلا يحل عقر شيء من حيواناتهم البتة، ويجوز تحريق أشجارهم وأطعمتهم وزروعهم ودورهم، كما فعل الرسول ق بنخل بني النضير فأحرقه، ولا يجوز قتل نساء الكفار ولا مَن لم يبلغ الحلم منهم إلا أن يقاتلوا المسلمين[٢٦٩].

يرى ابن حزم أن عهود الكفار لا تصح إلّا إذا وافقت تعاليم الإسلام، فكل شرط أو عهد مع الكفار ليس في نص القرآن أو السنة أو الإجماع فهو غير صحيح ولا يجوز إنفاذه، " فَكَيْفَ وَالسُّنَّةُ قَدْ جَاءَتْ بِذَلِكَ نَصًّا وَشَغَبَ بَعْضُهُمْ بِالْخَبَرِ الثَّابِتِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ "[٢٧٠].

يرى ابن حزم أنه لا يجوز دخول دار الحرب لغير جهاد أو أداء رسالة من أمير، كما لا تحل التجارة بها، ولا يحل أن يحمل إليهم سلاح ولا شيء يتقوون به على المسلمين[٢٧١].

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٢٩٨، ص٣٧٨-٣٧٩ .
٢– ابن حزم، رسائل ابن حزم، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٤ .
٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٢٤،٩٢٥، ص٢٩٤-٢٩٦ .
٤– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١١٦ .
١– محمد منتصر الكتاني، معجم فقه ابن حزم الظاهري، سوريا: دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٥ هـ، ج٢، ص٣٤٩ .

ويمكن القول إن ما ذكره ابن حزم في الهدف العسكري للتربية عنده يتفق تماماً مع واجب التربية الإسلامية في التربية الجهادية، وهو يتمثل في تربية الجيل المسلم بعواطفه وتفكيره، وسلوكه الفردي والجماعي على ضرورة نصرة دولة الإسلام وإعزازها وإعلاء شأنها، وتعويد الأجيال المسلمة على ما في الجهاد من ابتلاء وقطع للملذات الدنيوية، لأن هذا الابتلاء فيه حكمة لله تعالى، وهي اختبار عبيده، من يطيعه ممن يعصيه، وفي مقابل ذلك ينال المطيع النعيم الدائم في الآخرة، وينال العاصي العذاب الشديد في الآخرة، ويضاف إلى ذلك ضرورة تربية الأجيال المسلمة على فنون الحرب وتحمل المشاق واستخدام جميع وسائل الحرب الحديثة، وتعود العيش في جو القتال والجهاد لتكون كلمة الله هي العليا[٢٧٢].

ونخلص مما سبق إلى أن الهدف العسكري للتربية عند ابن حزم هو تربية الإنسان على الإيمان بأهمية وظيفة المجاهد في المجتمع الإسلامي، فبالجهاد نحافظ على ديننا وشريعتنا الإسلامية الغرّاء .

التربية الأخلاقية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى :

التربية الأخلاقية جانبٌ من جوانب التربية الإسلامية المهمة والضرورية لكل فرد مسلم، لأنها هي الأساس في بناء الفرد وإصلاح المجتمع، فسلامة المجتمع وقوة بنيانه وسمو مكانته وعزة أبنائه في تمسكه بالأخلاق الحميدة، فالأخلاق العالية هي روح الإسلام ولُبه، وأساسه وغايته، لأن الدين ليس في كثرة العبادات من صلاة وصيام وزكاة وصدقة، بل إن الدين هو المعاملة، فالمعاملة الحسنة للناس قد يفوق ثوابها كثيراً من العبادات المعروفة، ويوضح الرسول ق حينما سُئِلَ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : " تقوى الله وحسن الخُلق "[٢٧٣]

وأيضاً حينما قال له رجلٌ: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتـها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانـها بلسانـها، قال : هي في النار، قال يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتـها، وإنـها تصدّق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانـها بلسانـها، قال : هي في الجنة[٢٧٤].

ولقد أولى ابن حزم هذا الجانب عناية عظيمة، لأنه يرى أن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، وأن أهل العقول يختلفون في تحديد طبيعة الأخلاق، وما الحسن منها

٢– عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط٢، السعودية: الرياض: مكتبة أسامة، ١٤٠٥ هـ، ص١٨٦-١٨٩ .

١– أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ج٤، صـ٣٦٣، رقم الحديث٢٠٠٤ .

٢– أخرجه أحمد، في مسنده، ج١٥، صـ٤٢٢، رقم الحديث٩٦٧٦ .

وما القبيح، وهذا يتضح من قول ابن حزم : فإذا ثبت ضرورة أنه لا قبيح بعينه ولا حسن بعينه البتة، وأنه لا قبيح إلا ما حكم الله تعالى بأنه قبيح، ولا حسن إلا ما حكم بأنه حسن "[٢٧٥] .

التربية الأخلاقية وأهميتها :

مفهوم التربية الأخلاقية :

عرَّف كثيرٌ من الباحثين في مجال التربية الإسلامية، التربية الأخلاقية بتعريفات متعددة، منها :

التربية الأخلاقية : هي " تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملاً من الناحية الأخلاقية بحيث يصبح في حياته مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر في كل الظروف والأحوال، ويسارع إلى الخيرات ويتسابق فيها كما يسارع إلى إزالة الشرور"[٢٧٦] .

التربية الأخلاقية : هي " مجموعة من المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تميزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض خضم الحياة "[٢٧٧] .

التربية الأخلاقية : هي " تعويد الناشئ على الأخلاق الفاضلة والشيم الحميدة حتى تصير له ملكات راسخة وصفات ثابتة يسعد بها في الدنيا والآخرة وتخليصه من الأخلاق السيئة "[٢٧٨] .

أهمية التربية الأخلاقية :

تتمثل أهمية التربية الأخلاقية فيما يلي :

١- أنها امتثال لأمر الله عز وجل، وطاعة للرسول، فلقد جمع الله سبحانه وتعالى مكارم الأخلاق في هذه الآية، وأمر بالأخذ بها، والتحلي بما ورد فيها، وكذلك فإن التحلي بالأخلاق الكريمة طاعة للرسول ق ، قال الرسول وخالقْ الناسَ بخلقٍ حسن "[٢٧٩] .

٢- حسن الخلق عبادة، بل إن ثواب بعضه قد يفوق كثير من العبادات المعروفة، فمثلاً التبسم في وجه المسلم عبادة، والكلمة الطيبة عبادة، وزيارة الأخ في الله عبادة، وعيادة المريض عبادة، ومصافحة المسلم عبادة، وصلة الرحم عبادة، وقضاء حوائج الناس عبادة .

٣– ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، ج٣، ص١٠١ .

١– مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، لبنان: بيروت: دار الريحاني، ١٤٠٦هـ، ص٣٠١ .

٢– عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط٣، سوريا:دمشق: دار السلام، ١٤٠١هـ، ص١٧٧.

٣– حسن بن علي الحجاجي، مرجع سابق، ص٢١٤ .

٤– أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ج٤، صـ٣٥٥، رقم الحديث١٩٨٧ .

٣- أخلاق العبد السيئة وسلوكياته المشينة تأكل خيراته وتهدم حسناته وتجعله مفلساً من الصالحات، وتحمله من الأوزار والسيئات، وتقذف به في الدركات، ولو قام وصام وعمل الصالحات، سأل النبي ق يوماً أصحابه، فقال : " أتدرون مَن المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع، فقال : إنَّ المفلس من أمتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار "[٢٨٠].

٤- كسب القلوب، فحسن الخلق من أعظم الأسباب الداعية لكسب القلوب فهو يحبب صاحبه للبعيد والقريب، فالناس على اختلاف مشاربهم يحبون ويُقَدِّرون محاسن الأخلاق، ويألفون أهلها، ويرغبون في مجالستهم ويبغضون مساوئ الأخلاق، وينفرون من أهلها ،ويرغبون عن مجالستهم ومخالطتهم.

نماذج من آراء ابن حزم في التربية الأخلاقية :

يمكن القول إن ابن حزم يقسم الأخلاق إلى قسمين لا ثالث لهما، وهما :

١- الأخلاق الفاضلة الحميدة .

٢- الأخلاق السيئة الرزيلة .

وذلك لأنه يرى أن الطاعة مرادفة للفضيلة وأن المعصية مرادفة للرزيلة، وهذا يرجع إلى أن ابن حزم ينظر إلى الأخلاق الإسلامية باعتبارها أوامر ونواهي فامتثال أوامر الله عز وجل يسمى طاعة، وارتكاب ما نهى الله عز وجل عنه يسمى معصية، وهذا الربط والترادف يعطي الأخلاق الإسلامية والتربية الأخلاقية في الإسلام قدراً من الالتزام الديني، له باعثه الديني والعقلي وغايته الدينية التي تصل به إلى ما بعد الحياة الدنيا، وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار، " وَالْمَعْصِيَةُ الْمُحَرَّمَةُ الْمُبْعِدَةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لاَ تَنُوبُ عَنِ الطَّاعَةِ الْمُفْتَرَضَةِ الْمُقَرِّبَةِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ " [٢٨١].

وإذا كان الهدف الأخلاقي للتربية عند ابن حزم يعتمد في أساسه على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع، فإن الغاية من الأخلاق عند ابن حزم هي تحقيق السعادة والخير في الدنيا والآخرة، وهذا يتضح من قول ابن حزم : إنَّ الإنسان إذا تفكر في جميع أمر الدنيا فإنه سيجد أن كل أمر ظفر به من أمور الدنيا فعاقبته الحزن، إمَّا بذهاب الإنسان عنه أو بذهابه عنك، إلّا العمل للآخرة طلباً لمرضاة الله فإن عاقبته على كل حال سرور في العاجل والآجل[٢٨٢].

١– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤، صـ١٩٩٧، رقم الحديث٢٥٨١ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤١٧، ص٦٣ .
٢– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٤٧،٤٨ .

فالسعادة في الدنيا والآخرة هي الغاية الحقيقية من الأخلاق عند ابن حزم، ومَن أراد خير الدنيا والآخرة فليقتدِ بمحمد ق الذي يمثل الصورة الحية لتلك الأخلاق الإسلامية على مرِّ العصور إلى يوم النشور .

ومن نماذج التربية الأخلاقية عند ابن حزم ما يلي :

أ- من الأخلاق الفاضلة الحميدة :

١- الاعتدال والتوسط :

لقد ميَّز الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بأنها أمة وسطية، يقول ابن حزم : "وَيَجِبُ عَلَى الإِمَامِ التَّخْفِيفُ إذَا أَمَّ جَمَاعَةً لاَ يَدْرِي كَيْف طَاقَتُهُمْ وَيُطَوِّلُ الْمُنْفَرِدُ مَا شَاءَ، وَحَدُّ ذَلِكَ مَا لَمْ يَخْرُجْ وَقْتُ الصَّلاَةِ الَّتِي تَلِي الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَإِنْ خَفَّفَ الْمُنْفَرِدُ فَذَلِكَ لَهُ مُبَاحٌ "(٢٨٣). وهنا يؤكد ابن حزم على ضرورة الاعتدال والوسط ومراعاة أحوال الجماعة، فلا يطيل الإمام إذا أمَّ جماعةً لا يعرف مدى طاقتهم، لكن عليه الاعتدال والتوسط مراعاةً لكبير سنٍ يصلي أو مريض أو صغير .

وفي موضع آخر يقول : " شَهِدْت ابْنَ مَعْدَان فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ قَدْ أَطَالَ الْخُطْبَةَ، حَتَّى أَخْبَرَنِي بَعْضُ وُجُوهِ النَّاسِ أَنَّهُ بَالَ فِي ثِيَابِهِ، وَكَانَ قَدْ نَشِبَ فِي الْمَقْصُورَةِ "(٢٨٤). وهنا ينكر ابن حزم على خطيب أطال الخطبة دون مراعاة طاقات وأحوال الناس، حتى إن بعضهم بال في ثوبه .

٢- فعل الخيرات :

الخُلق الحسن نوع من أنواع العبادة، وخصلة من خصال الخير والسعادة، ولقد رغّب الشرع وحثَّ على التحلي بالمكارم والفضائل، والتخلي عن المساوئ والرذائل، يقول ابن حزم : " وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ فَعَلَ الْخَيْرَ أَفْضَلُ مِنْ آخَرَ مَنَعَهُ الْعُذْرُ مِنْ فِعْلِهِ، وَهَذَا مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْخَبَرِ الَّذِي فِيهِ : إنَّ الْفُقَرَاءَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، فَعَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ق الذِّكْرَ الَّذِي عَلَّمَهُمْ، فَبَلَغَ الأَغْنِيَاءَ فَفَعَلُوهُ زَائِدًا عَلَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ الْعِتْقِ وَالصَّدَقَةِ، فَذَكَرَ الْفُقَرَاءُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ "(٢٨٥). وهنا يؤكد ابن حزم على أفضلية فاعل الخير ممن منعه العذر، ويؤكد هذا المعنى بقوله : " وَلاَ خِلاَفَ فِي أَنَّ مَنْ حَجَّ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَمْ ي

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٤٤، ص٩٨ .
٢– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٢٨، ص٦٠-٦١ .
١– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٨٥، ص١٩٣ .

ِحُجَّ مِمَّنْ أَقْعَدَهُ الْعُذْرُ، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الأَعْمَالِ وَقَدْ جَاءَ فِي الأَثَرِ الصَّحِيحِ : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، فَعَمَّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْهَا بِعُذْرٍ أَوْ غَيْرِ عُذْرٍ "[٢٨٦]، وهذا لا يتم إلّا بمجاهدة النفس وحملها على التخلق بالخلق الحسن، والبعد عن سيئ الأخلاق والأفعال، "فَالْخَيْرُ يَنْبَغِي الْبِدَارُ إِلَيْهِ "[٢٨٧].

٣- حُسن الخُلق :

حثَّ النبي ق على حسن الخُلق قائلاً : " إنَّكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط وجه وحسن خُلق "[٢٨٨]. وإنَّ مَن حسن خلقه أو ساء فإنما هذا دليل على حسن دين أو سوء دين، ومن فوائد حسن الخلق ما أفصح عنه رسول اللهق حين قال : " حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان الأعمار "[٢٨٩] ومن الأمثلة الموجودة في كتاب المحلّى التي ساقها ابن حزم قوله : " وَعِيَادَةُ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ فَرْضٌ وَلَوْ مَرَّةً عَلَى الْجَارِ الَّذِي لاَ يَشُقُّ عَلَيْهِ عِيَادَتُهُ، وَلاَ نَخُصُّ مَرَضًا مِنْ مَرَضٍ "[٢٩٠]، وفي هذا القول يتحقق قول النبي ق السابق، فقد ذكر ابن حزم حسن الخلق وحسن الجوار .

٤- إعطاء الحق لأهله :

إنَّ معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها وتمثلها والسعي إليها، ومعرفة سيئات الأشياء، واستحضار قبح عواقبها من أكبر الدواعي إلى تركها والرغبة عنها، فلقد أكد الله سبحانه وتعالى على المؤمنين وجوب إعطاء الحق لأهله قائلاً : وقال النبي ق :"اعطِ كل ذي حق حقه "[٢٩١]، وفي هذا يقول ابن حزم : " فَإِنَّ مَطْلَ ذِي الْحَقِّ لِحَقِّهِ ظُلْمٌ، وَتَعْجِيلَ إعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَرْضٌ.

٥- آداب المجالس :

يقول ابن حزم : "وَمَنْ شَرِبَ فَلْيُنَاوِلْ الأَيْمَنَ مِنْهُ فَالأَيْمَنَ، وَلاَ بُدَّ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَلاَ يَجُوزُ مُنَاوَلَةُ غَيْرِ الأَيْمَنِ إلاَّ بِإِذْنِ الأَيْمَنِ، وَمَنْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُنَاوِلَ أَحَدًا فَلَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ فَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ أَمَامَهُ أَوْ خَلْفَ ظَهْرِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ : فَلْيُنَاوِلْ الأَكْبَرَ فَالأَكْبَرَ، وَلاَ بُدَّ "[٢٩٢]. وهنا يضع ابن حزم بعض الآداب التي يتخلق بها المسلم في مجالسته الناس، فيوضح أن الإنسان إذا شرب وأراد أن يسقي جلساءه

٢– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٨٥، ص١٩٣ .
٣– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٣١، ص٧٠ .
٤– أخرجه ابن راهويه، في مسنده، ج١، صـ٤٦١، رقم الحديث٥٣٦ .
١– أخرجه أحمد، في مسنده، ج٤٢، صـ١٥٣، رقم الحديث٢٥٢٥٩ .
٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٦١٢، ص١٧٢ .
٣– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم يرَ عليه قضاء إذا كان أوفق له، ج٣، صـ٣٨، رقم الحديث١٩٦٨ .
١– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة١١١١، ص٥٢١ .

فليبدأ بالأيمن فالأيمن، وإذا كانوا كلهم أمامه أو خلف ظهره أو عن يساره فليبدأ بالأكبر فالأكبر، وهذا الخلق من الأخلاق التي تغيب عن واقعنا بما يجلبه سوء الخلق من أخلاق دخيلة على مجتمعنا الإسلامي، وسوء الخلق هذا لا يأتي إلّا بالأسف الدائم والهم الملازم والحسرة والندامة والبغض في قلوب الخلق .

٦- العفة :

العفة قاعدة قرآنية، وقد حذّر أبو بكر الرازي من الشهوة فقال : " اعلم أن الشهوة مادة كل فتنة، ومنبع كل فساد، وهي بذرة شجرة الحيوانية، وهي من حبائل الشيطان، وهي الدركة السفلى من صفات البشرية "[٢٩٣].

يقول ابن حزم : " لاَ يَجُوزُ مَالُ أَحَدٍ إلاَّ بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ وَرِضَاهُ، وَلاَ يَكُونُ الرِّضَا وَطِيبُ النَّفْسِ إلاَّ عَلَى مَعْلُومٍ وَلاَ بُدَّ، عَلَى مَجْهُولٍ "[٢٩٤]، وفيه يوضح ابن حزم عدم جواز أخذ مال أحد إلا برضاه، وذلك لأن شهوة الاستئثار قد تدخل الإنسان النار .

٧- الرفق :

حثَّ دينُنا الإسلامي على الرفق، قال النبي ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه ولا عزل عنه إلا شانه "[٢٩٥]. وفي هذا يقول ابن حزم : " إنْ وُجِدَ صَغِيرٌ مَنْبُوذٌ فَفَرْضٌ عَلَى مَنْ بِحَضْرَتِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ وَلاَ بُدَّ، وَلاَ إثْمَ أَعْظَمَ مِنْ إثْمِ مَنْ أَضَاعَ نَسَمَةً مَوْلُودَةً عَلَى الإِسْلاَمِ صَغِيرَةً لاَ ذَنْبَ لَهَا حَتَّى تَمُوتَ جُوعًا وَبَرْدًا أَوْ تَأْكُلَهُ الْكِلاَبُ هُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ عَمْدًا بِلاَ شَكٍّ. وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ق : مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ لاَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ"[٢٩٦]، ويقول أيضاً : " وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ يَتْرُكُ الْعَمَلَ هُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمَّتِهِ أَوْ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ "[٢٩٧].

٨- الولاء :

يقول ابن حزم : " وَلاَ يَحِلُّ بَيْعُ الْوَلاَءِ، وَلاَ هِبَتُهُ : لِمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ، وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَمَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، كُلُّهِمْ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ق عَنْ بَيْعِ الْوَلاَءِ وَهِبَتِهِ "[٢٩٨].

٢– الرازي (أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن شاهور الأسدي ت٦٥٤هـ)، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مصر: القاهرة: دار سعاد الصباح، ١٩٣٣م، ص٢٢٤ .

٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٢٠٣، ص٨٣ .

١– أخرجه أحمد، في مسنده، ج٤٢، صـ٤٦٧، رقم الحديث٢٥٧٠٨ .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٨٤، ص٢٧٣-٢٧٤ .

٣– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٢٠، ص٦٩ .

٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٥٢٧، ص٢١ .

٩- شكر المحسن :

وقال رسول الله ق : "مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله "[٢٩٩]. ويقول ابن حزم حاثاً على تقديم الشكر لكل مَن أسدى معروفاً : " وَأَمَّا مَنْ نَصَرَ آخرَ في حَقٍ أَوْ دَفَعَ عَنْهَ ظُلْمَاً وَلَمْ يَشْترِط عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ عَطَاء فَأَهَدى إِلِيهِ مُكَافَأة فَهَذَا حَسَنٌ لا نَكْرَهَهُ لأَنَّهُ مِن جُمْلَةِ شُكْرِ المُنْعِمِ وَهَدية بِطِيبِ نَفْسٍ وَمَا نَعْلَم قُرْآناً وَلا سُنَّة فِي المنْع مِن ذَلِكَ وَقَدْ رُوينَا عَن عَلِي وَابنِ مَسْعُود المنْع مِن هَذَا وَلا نَعْلَمُ بُرْهَاناً يَمْنَعُ مِنْه "[٣٠٠]، ويقول أيضاً : " وَالشُّكْرُ لِكُلِّ مُحْسِنٍ وَاجِبٌ "[٣٠١].

١٠- أداء الشهادة :

يقول ابن حزم : " وَأَدَاءُ الشَّهَادَةِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلِمَهَا، إلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ حَرَجٌ فِي ذَلِكَ لِبُعْدِ مَشَقَّةٍ، أَوْ لِتَضْيِيعِ مَالٍ، أَوْ لِضَعْفٍ فِي جِسْمِهِ، فَلْيُعْلِنْهَا فَقَطْ، فَهَذَا عَلَى عُمُومِهِ إذَا دُعُوا لِلشَّهَادَةِ، أَوْ دُعُوا لأَدَائِهَا، وَلاَ يَجُوزُ تَخْصِيصُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ نَصٍّ، فَيَكُونُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَائِلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ "[٣٠٢].

١١- مراعاة غير المستطيع :

الإسلام دينٌ جاء لكل أفراد المجتمع مراعياً أحوال المستطيع منهم وغير المستطيع، ومن الأخلاق التي نادى بها ابن حزم في هذا السفر العظيم، مراعاة غير المستطيع، فهو يقول : وَيُطَلِّقُ مَنْ لاَ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ بِلُغَتِهِ بِاللَّفْظِ الَّذِي يُتَرْجَمُ عَنْهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ بِالطَّلاَقِ وَيُطَلِّقُ الأَبْكَمُ وَالْمَرِيضُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ الصَّوْتِ أَوْ الإِشَارَةِ الَّتِي يُوقِنُ بِهَا مَنْ سَمِعَهَا قَطْعًا أَنَّهُمَا أَرَادَا الطَّلاَقَ وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَصَحَّ أَنَّ مَا لَيْسَ فِي وُسْعِ الْمَرْءِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُهُ فَقَدْ سَقَطَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ يُؤَدِّي مِمَّا أُمِرَ بِهِ مَا اسْتَطَاعَ فَقَطْ

ويقول : " وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ "[٣٠٣]، وأيضاً يقول : " وَيَمِينُ الأَبْكَمِ وَاسْتِثْنَاؤُهُ لاَزِمَانِ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِ مِنْ صَوْتٍ يُصَوِّتُهُ أَوْ إشَارَةٍ إنْ كَانَ مُصْمَتًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى أَكْثَرَ، لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ الأَيْمَانَ إخْبَارٌ مِنْ الْحَالِفِ،

٥– أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمَن أحسن إليك، ج٤، صـ١٣٩، رقم الحديث١٩٥٥ .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٣٧، ص١٥٨ .

٢– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٦، ص٣٣٤ .

٣– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٩٨، ص٤٢٩ .

٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٥، ص١٤٤ .

عَنْ نَفْسِهِ، وَالأَبْكَمُ، وَالْمُصْمَتُ، مُخَاطَبَانِ بِشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ كَغَيْرِهِمَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمَا مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مَا اسْتَطَاعَاهُ، وَأَنْ يُسْقِطَ عَنْهُمَا مَا لَيْسَ فِي وُسْعِهِمَا، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمَا مَا يُخْبِرَانِ بِهِ، عَنْ أَنْفُسِهِمَا حَسْبَ مَا يُطِيقَانِ وَيَلْزَمُهُمَا مَا الْتَزَمَاهُ "[٣٠٤].

١٢- الاعتراف بالذنب :

يقول ابن حزم : " فَصَحَّ أَنَّ اعْتِرَافَ الْمَرْءِ بِذَنْبِهِ عِنْدَ الإِمَامِ أَفْضَلُ مِنْ السَّتْرِ بِيَقِينٍ، وَأَنَّ السَّتْرَ مُبَاحٌ بِالإِجْمَاعِ "[٣٠٥] .

١٣- إنكار المنكر :

يقول ابن حزم : " وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ إنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَهَذَا الْحَدِيثُ بَيَانُ مَا قَدَّمْنَا نَصًّا؛ لأَنَّ فِيهِ أَبَاحَ تَغْيِيرَ الْمُنْكَرَاتِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، فَمَنْ بَكَّتَ آخَرَ بِمَا فَعَلَ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ مُحْسِنٌ، وَمَنْ ذَكَّرَهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فَقَدْ أَتَى مُنْكَرًا فَفَرْضٌ عَلَى النَّاسِ تَغْيِيرُهُ؛ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ "[٣٠٦] .

١٤- طاعة ذوي العدل :

يقول ابن حزم : "وَاَللَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ مَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ ذَوَا عَدْلٍ مِنَّا فَإِذَا حَكَمَ اثْنَانِ مِنْ السَّلَفِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّاعَةَ لِمَا حَكَمَا بِهِ فَاسْتِئْنَافُ تَحْكِيمِ آخَرَيْنِ لاَ مَعْنَى لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوجِبْهُ قُرْآنٌ، وَلاَ سُنَّةٌ، وَلاَ إجْمَاعٌ : فَهُوَ عَمَلٌ فَارِغٌ فَاسِدٌ لاَ فَائِدَةَ فِيهِ أَصْلاً "[٣٠٧] .

١٥- التيسير :

يقول ابن حزم : " وَعَنْ وَكِيعٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ إبْرَاهِيمَ مِثْلُ قَوْلِ الْحَكَمِ، وَحَمَّادٍ، وَقَتَادَةَ، قَال فِي الْعَدُوِّ يُصَلِّي رَاكِبًا وَرَاجِلاً يُومِئُ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، وَالرَّكْعَةُ الْوَاحِدَةُ تُجْزِئُهُ، وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ قال علي : وهذانِ الْعَمَلاَنِ أَحَبُّ الْعَمَلِ إلَيْنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَرْغَبَ، عَنْ سَائِرِ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَمَعَاذَ اللَّهِ مِنْ هَذَا، لَكِنْ مِلْنَا إلَى هَذَيْنِ لِسُهُولَةِ الْعَمَلِ فِيهِمَا عَلَى كُلِّ جَاهِلٍ، وَعَالِمٍ، وَلِكَثْرَةِ مَنْ رَوَاهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِكَثْرَةِ مَنْ قَالَ بِهِمَا مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَلِتَوَاتُرِ الْخَبَرِ بِهِمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِمُوَافَقَتِهِمَا الْقُرْآنَ "[٣٠٨] .

٣– المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١١٣٨، ص٤٨ .

٤– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٧٧، ص١٥١ .

١– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٢٣٢، ص٢٨٢ .

٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٧٨، ص٢٢١ .

٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥١٩، ص٣٦ .

ب- من الأخلاق السيئة الرذيلة :

١- السرقة :

يقول ابن حزم : " لاَ نَعْلَمُ خِلاَفًا فِي أَنَّ مَنْ سَرَقَ عَبْدًا صَغِيرًا لاَ يَفْهَمُ أَنَّ عَلَيْهِ الْقَطْعَ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِيمَنْ سَرَقَ عَبْدًا كَبِيرًا يَتَكَلَّمُ، وَفِيمَنْ سَرَقَ حُرًّا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، فأما الْعَبْدُ الصَّغِيرُ الَّذِي لاَ يَفْهَمُ، فَإِنَّ الَّذِي سَرَقَهُ سَارِقُ مَالٍ، فَعَلَيْهِ الْقَطْعُ، وَأَمَّا مَنْ سَرَقَ الْعَبْدَ الَّذِي يَفْهَمُ، فَإِنَّمَا أَسْقَطَ عَنْهُ الْقَطْعُ مَنْ أَسْقَطَهُ؛ لأَنَّهُ لَوْلاَ أَنَّهُ أَطَاعَهُ مَا أَمْكَنَهُ سَرِقَتَهُ إِيَّاهُ، قال أبو محمد رحمه الله : وَهَذَا لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ إِطْلاَقًا؛ لأَنَّ فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَسْرِقَهُ وَهُوَ نَائِمٌ، أَوْ سَكْرَانُ، أَوْ مُغْمًى عَلَيْهِ، أَوْ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِ مُتَهَدِّدًا بِالْقَتْلِ، فَلاَ يَقْدِرُ عَلَى الامْتِنَاعِ، وَلاَ عَلَى الاسْتِغَاثَةِ، فَإِذَا كَانَ هَكَذَا، فَهِيَ سَرِقَةٌ صَحِيحَةٌ قَدْ تَمَّتْ مِنْهُ، وَإِذْ هِيَ صَحِيحَةٌ فَالْقَطْعُ عَلَيْهِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ "[٣٠٩] .

٢- المجاهرة بالباطل والكذب :

يقول ابن حزم :لَوْ اتَّقَى اللَّهَ قَائِلُ هَذَا الْهَوَسِ أَوْ اسْتَحْيَا مِنْ الْكَذِبِ، لَمْ يَنْصُرْ الْبَاطِلَ بِمَا هُوَ أَبْطَلُ مِنْهُ، وَلَوْ عَرَفَ قَدْرَ الصَّحَابَةِ وَمَنْزِلَتَهُمْ فِي الْعِلْمِ : لَمْ يَقُلْ هَذَا؛ لأَنَّنَا نَجِدُ الزِّنْجِيَّ وَالتُّرْكِيَّ وَالصَّقْلَبِيَّ وَالرُّومِيَّ وَالْيَهُودِيَّ يُسَلِّمُونَ، فَلاَ تَمْضِيَ لَهُمْ جُمُعَةٌ إلاَّ وَقَدْ تَعَلَّمَتْ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ، وَالرَّجُلُ أُمَّ الْقُرْآنِ وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَمَا يُقِيمُونَ بِهِ صَلاَتَهُمْ، وَلَمْ يَسْتَحِ هَذَا الْجَاهِلُ الْوَقَّاحُ أَنْ يَنْسُبَ إلَى حَيٍّ عَظِيمٍ مِنْ أَحْيَاءِ الأَنْصَارِ، وَحَيٍّ آخَرَ صَغِيرٍ مِنْهُمْ، وَهُمْ بَنُو سَلَمَةَ، وَبَنُو أَدَى قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِعَامَيْنِ وَأَشْهُرٍ ثَلاَثَةُ رِجَالٍ، وَأَسْلَمَ جُمْهُورُهُمْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِدَهْرٍ أَنَّهُمْ بَقُوا الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ الَّتِي ذَكَرْنَا بَعْدَ إسْلاَمِهِمْ لَمْ يَبْتَهِلُوا بِصَلاَتِهِمْ، وَلاَ تَعَلَّمُوا سُورَةً يُصَلُّونَ بِهَا، وَهُمْ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَصَائِرِ فِي الدِّينِ اللَّهُمَّ الْعَنْ مَنْ لاَ يَسْتَحْيِي مِنْ الْمُجَاهَرَةِ بِالْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ الْمَفْضُوحِ "[٣١٠] .

ويستنكر ابن حزم بقوله : " وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ شَرْطِ التَّمَتُّعِ لَمَا أَغْفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيَانَهُ حَتَّى نَحْتَاجَ فِي ذَلِكَ إلَى بَيَانٍ بِرَأْيٍ فَاسِدٍ، وَظَنٍّ كَاذِبٍ "[٣١١]، وأيضاً يقول : "فَكَيْفَ بِأُكْذُوبَاتٍ كَنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي هُوَ أَوْهَنُ الْبُيُوتِ "[٣١٢] .

٢- المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١،المسألة٢٢٧٢، ص٣٣٦ .
١- المرجع السابق، المجلد٢، الجء٤، المسألة٤٩٤، ص٢٣٤ .
٢- ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٦، ص١٦٣ .
٣- المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١٠٩ .

٣- التمادي في الخطأ :

يقول ابن حزم عن ركعتي تحية المسجد : "إِنْ كَانَتَا حَقًّا فَلِمَ لاَ يَبْتَدِئُ بِهِمَا فَالْخَيْرُ يَنْبَغِي الْبِدَارُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَتَا خَطَأً وَغَيْرَ جَائِزَتَيْنِ فَمَا يَجُوزُ التَّمَادِي عَلَى الْخَطَأِ وَفِي هَذَا كِفَايَةٌ "[٣١٣] .

٤- الجهل :

يقول ابن حزم : "لَيْسَ إِنْكَارُ أَهْلِ الْجَهْلِ حُجَّةً عَلَى سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ"[٣١٤] .

ويقول : " لَيْسَ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَ "[٣١٥]، ويقول : وَالْمُثْبِتُ الْعَالِمُ أَوْلَى مِنْ النَّافِي الَّذِي لَمْ يَعْلَمْ "[٣١٦]، ويقول : " وَمِنْ طَرَائِفِ الْمَصَائِبِ قَوْلُ بَعْضِ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ "[٣١٧]، ويقول : " وَلَيْسَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَلِمَ "[٣١٨] .

التربية الاجتماعية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى :

لكل مجتمع من المجتمعات فلسفته وأهدافه الخاصة به، التي يسعى لتحقيقها، بإعداد أفراده إعداداً مناسباً، وتزويدهم بكل ما يعينهم على المشاركة في تحقيق تلك الأهداف، من خلال التربية الاجتماعية، لذلك تختلف التربية الاجتماعية من مجتمع إلى مجتمع، بحسب أهداف كل مجتمع، وتصوراته للحياة[٣١٩] .

والمجتمع المسلم يختلف عن غيره من المجتمعات البشرية، في كونه مجتمعاً ربانياً، يستمد مقوماته من الكتاب والسنة[٣٢٠]، فلقد اهتم الإسلام بالتربية الاجتماعية اهتماماً عظيماً؛ وذلك لأن الدين الإسلامي دين اجتماعي يقوم على أساس التعاون والتكافل بين جميع عناصر المجتمع بهدف تحقيق نمو اجتماعي، لذلك كان من الضروري تربية كافة أفراد الأمة تربيةً اجتماعية سليمة معتدلة منذ ولادتهم .

فالتربية الاجتماعية في مفهوم الإسلام تختلف عن غيرها من الفلسفات الأخرى، فهي تهدف إلى تنشئة أفرادها وتوجيه سلوكهم وفقاً للتوجهات الإسلامية المستنبطة من

٤– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٣١، ص٧٠ .
٥– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١٠٣ .
٦– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٤٣، ص٩٨ .
٧– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٥٩، ص١٤٥ .
٨– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٧٩٠، ص١٣ .
٩– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٦، ص١٥١ .
١– مقداد يالجن، دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، ط٢، السعودية: الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١١ هـ، ص٨٧ .
٢– علي أحمد مدكور، مرجع سابق، ص١٨٤.

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على نحو يستطيع معه الفرد أن يكون عضواً فعّالاً في مجتمعه، يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، وهذا يعني أن التربية الاجتماعية نابعةٌ من التربية الأخلاقية، لأن القيم الأخلاقية ثابتة، ولابد من تنشئة الفرد على تلك القيم والآداب .

ومن مبادئ الدين الإسلامي العظيمة أنه دينٌ يدعو أتباعه إلى الترابط والتعاون على البر والتقوى، ليحقق بينهم الإخوة الإسلامية فيصبحوا جسداً واحداً، وقلباً واحداً، ولساناً واحداً، وكما قال النبي ق : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً "[٣٢١]، وأيضاً قوله ق : "مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى"[٣٢٢].

وإذا كان ميدان التربية الإسلامية هو المجتمع المسلم، وهدفها أفراده، فإن مهمة التربية في المجتمع المسلم تنصب حول تنمية الشخصية الفردية، لتتكيف مع نفسها ومجتمعها المسلم، من خلال تشريب أفراد المجتمع القيم الاجتماعية الإسلامية، وتطبيقها في واقع الحياة الاجتماعية .

ولقد حاول ابن حزم من خلال بعض كتبه ورسائله تقديم بعض الآراء المتعلقة ببعض جوانب التربية الاجتماعية، في إطار ثقافته الإسلامية ومذهبه الظاهري فيقول مشيراً إلى أهمية مخالطة الناس والتودد إليهم : " وأمّا إحكام أمر الدنيا والتودد إلى الناس بما وافقهم، وصلحت عليه حال التودد من باطل أو غيره أعيب أو ما عداه، والتحيل في إنماء المال وبعد الصوت، وتسبب الجاه بكل ما أمكن من معصية أو رذيلة، فليس عقلاً ولقد كان الذين صدقهم الله في أنهم لا يعقلون وأخبرنا بأنهم لا يعقلون، سائسين لدنياهم، مثمرين لأموالهم، مدارين لملوكهم، حافظين لرياستهم، لكن هذا الخلق يسمى الدهاء، وضده العقل والسلامة، وما إذا كان السعي في ما ذكرنا بما فيه تهاون وأنفه، فهو يسمى الحزم، وضده المنافي له التضييع، وأما الوقار ووضع الكلام موضعه، والتوسط في تدبير المعيشة، ومسايرة الناس بالمسألة، فهذه الأخلاق تسمى الرزانة وهي ضد السخف "[٣٢٣].

١ـ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج١، صـ١٠٣، رقم الحديث٤٨١ .

٢ـ أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج٤، صـ١٩٩٩، رقم الحديث٢٥٨٥ .

١ـ ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص ٥٨ .

التربية الاجتماعية وأهميتها :

مفهوم التربية الاجتماعية :

عُرِّفتْ التربية الاجتماعية بتعريفات عدة، منها :

التربية الاجتماعية : هي " التي تودع النفس الإنسانية محبة الجماعة وحسن التبادل العادل بينها، ويبدأ ذلك بالأسرة، لأن العناية بالأسرة عناية بالجماعة، وأنَّ الوطن لا تتربى محبته إلا في بناء الأسرة والنزوع الجماعي، وقد أراد بعض الفلاسفة – وسارت وراءهم بعض النظم – أن يمحو الأسرة، ويربى الأطفال مع غير آبائهم ليكونوا جميعاً منتمين للجماعة، فنمت أجسامهم ولكن من غير عواطف إنسانية"[٣٢٤].

التربية الاجتماعية : هي " توضيح موقف الإنسان وتحديده بدقة من الجماعة التي يعيش معها، صغيرة كانت هذه الجماعة كالأسرة، أو كبيرة كالمجتمع، أو كبرى كالعالم كله "[٣٢٥].

التربية الاجتماعية : هي " تأديب الولد من نعومة أظفاره على الالتزام بآداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة، تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة والشعور الإيماني العميق،ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل والأدب، والاتزان والعقل الناضج، والتصرف الحكيم "[٣٢٦].

التربية الاجتماعية : هي " إقرار النظم في المجتمع، وإلزام الناس بها تقرباً بذلك إلى الله تعالى، وحصولاً على مصالح الدنيا والآخرة "[٣٢٧].

أهمية التربية الاجتماعية :

تتمثل أهمية التربية الاجتماعية من خلال التمهيد السابق، وكذلك تبرز أهمية التربية الاجتماعية من خلال ما يلي :

١- أنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد وردت آيات كثيرة وأحاديث عن الرسول ق تحث على حسن الأدب مع الوالدين وبرهما، وحقوق الأولاد، وحقوق الزوج والزوجة، وحسن التعامل مع الجيران، وآداب السلام والاستئذان، وآداب التعامل مع الناس، وآداب الأكل والشرب، وغير ذلك من الآداب الاجتماعية التي تتكون منها التربية الاجتماعية للطفل في الإسلام .

٢– محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧م، ج١،ص٩١،٩٢ .
٣– عبد الرحمن بن عبد الوهاب البابطين، مرجع الآباء في تربية الأبناء، ط٢، السعودية: الرياض: دار القاسم، ١٤٢٨هـ، ص١٧٦ .
١– عبد الله ناصح علوان، مرجع سابق، ص٣٥٣.
٢– علي محمود، تربية الناشئ المسلم، ط٢، مصر: المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٣هـ، ص٣١٧ .

٢- التربية الاجتماعية مهمة؛ لأنها النواة لتكوين الأسرة المسلمة الصالحة، والأسرة تكون المجتمع الإسلامي، والمجتمع يكون العالم الإسلامي، وإذا صلح الفرد المسلم الذي تربى على الآداب الإسلامية، وكانت العلاقات الاجتماعية التي تربطه مع الأفراد الآخرين تقوم على المودة والإخاء والمحبة والتعاطف تكون هذه العلاقات الاجتماعية حققت هدف التربية الاجتماعية الإسلامية، وصلاح الفرد المسلم ينتج عنه صلاح المجتمع الإسلامي، وكذلك صلاح العالم الإسلامي، والهدف الأسمى للتربية الاجتماعية في الإسلام هو ترسيخ الآداب الاجتماعية المنبثقة من الكتاب والسنة التي بتطبيقها يتحقق رضا الله عز وجل .

٣- التربية الإسلامية تعمل على تنشئة الأفراد اجتماعياً، وتكوينهم تكويناً صالحاً في سبيل تنمية الإنسان العابد، وذلك عن طريق تنمية صفاته الفردية، بحيث يعرف حقوقه وواجباته، ولا يطغى بفرديته على المجتمع، ولا يطغى المجتمع عليه، وتتيحُ الفرصةَ لكل فردٍ بالنمو طبقاً لقدراته الفردية.

فمن أهم أهداف التربية الإسلامية تنشئة الأجيال طبقاً لمعايير المجتمع المسلم، وهي تعطي الأفراد في هذا السبيل اللغة وحسن التصرف في المواقف الاجتماعية مع مراعاة إعدادهم للمستقبل القريب والبعيد، مع مرونة لاحتمالات التغيير[٣٢٨] .

٤- التربية الاجتماعية مهمة لكونها تهتم بتنمية الجانب الاجتماعي لدى الفرد المسلم، وعن طريقه تحدد تصرفاته وسلوكيات الفرد الاجتماعية من آداب اجتماعية مثل الأدب مع الوالدين، وآداب معاملة كبار السن، والأدب مع الجيران، وغير ذلك من الآداب الاجتماعية الأخرى .

نماذج من آراء ابن حزم في التربية الاجتماعية :

لكل نشاط إنساني داخل المجتمع غايته التي يسعى جميع أفراده إلى تحقيقها وقد بذل ابن حزم جهداً كبيراً في تحديد الغاية التي يمكن أن تندرج تحتها جميع الغايات الأخرى، وتوَّصل إلى أن الغاية التي يتفق جميع الناس على طلب الحصول عليها هي (طرد الهمِّ)، وفي هذا يقول : " طلبتُ غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه، فلم أجد إلا واحداً وهو طرد الهم، فلما تدبرته علمت أن الناس كلهم لم يستووا في استحسانه فقط ولا في طلبه فقط، ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم، وتباين هممهم وإراداتهم لا يتحركون حركةً أصلاً إلا فيما يرجون به طرد الهم "[٣٢٩] .

١– علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٢١٢ .
١– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٤٩ .

فطرد الهم هو الغاية التي يتفق جميع الناس على طلبها، وهو الغاية من أي نشاط إنساني، وهذا يتضح من الأمثلة التالية :

النشاط الذي يقوم به الإنسان للحصول على المال مثلاً يكون الغرض منه طرد هم الفقر، والنشاط الذي يقوم به من يطلب الصيت يكون لغاية طرد هم الاستعلاء عليه، والنشاط الذي يقوم به من يطلب اللذات يكون لغرض طرد هم فواتها عنه والنشاط الذي يقوم به من يطلب العلم يكون لغاية طرد هم الجهل عن نفسه(٣٣٠).

ومما سبق يتضح أن طرد الهم يمكن قبوله كغاية جامعة لمختلف الأنشطة التي يقوم بها أفراد المجتمع، لأن طرد الهم هو جماع الانسجام الداخلي مع السلوك الخارجي للإنسان(٣٣١).

ومن نماذج التربية الاجتماعية عند ابن حزم ما يلي :

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يحتل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانة عظيمة في المجتمع المسلم، فهو من أهم الركائز التي يقوم عليها صلاح المجتمع المسلم، ويتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم مميزات المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات البشرية، كما أنه يمثل أهم وسائل التربية الاجتماعية، الأوسع انتشاراً، والأكثر احتكاكاً بأفراد المجتمع .

وعلى قدر أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون أهمية إعداد الأفراد الذين يتعين عليهم القيام بهذا العمل بشكل مباشر، والأمر بالمعروف يكون بما استحسنه الشرع والعقل، والنهي عن المنكر يكون عمّا استقبحه الشرع والعقل .

وفي هذا يقول ابن حزم : " وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ، عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إنْ قَدَرَ بِيَدِهِ فَبِيَدِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ بِيَدِهِ فَبِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ بِلِسَانِهِ فَبِقَلْبِهِ، وَلاَ بُدَّ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلاَ إيمَانَ لَهُ، وَمَنْ خَافَ الْقَتْلَ أَوْ الضَّرْبَ، أَوْ ذَهَابَ الْمَالِ، فَهُوَ عُذْرٌ يُبِيحُ لَهُ أَنْ يُغَيِّرَ بِقَلْبِهِ فَقَطْ وَيَسْكُتَ، عَنِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَعَنِ النَّهْيِ، عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَطْ، وَلاَ يُبِيحُ لَهُ ذَلِكَ : الْعَوْنُ بِلِسَانٍ، أَوْ بِيَدٍ عَلَى تَصْوِيبِ الْمُنْكَرِ أَصْلاً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضٌ على كل مسلم مطيق بيده، فإن عجز فبلسانه، فإن عجز فبقلبه وهذا المعنى يؤكد على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مقصوراً على فئةٍ بعينها، أو هيئة رسمية بعينها، وإنما هو وظيفة اجتماعية مطلوبة من كل فرد من أفراد المجتمع ومفروضة عليه، ولكن يحتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأسلوب الحسن واستخدام الحكمة في ذلك .

٢– المرجع السابق، ص٥١ .

١– عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص٢٨٨ .

وفي موضع آخر يقول : " وَكَذَلِكَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ إِنْ اسْتَطَاعَ فَمَنْ قَدَرَ عَلَى كَفِّ الظُّلْمِ وَقَطْعِهِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ قَدَرَ عَلَى إنْكَارِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَخَالَفَ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلا أَنْ يُحَلِّلَهُ مِنْ حَقِّ نَفْسِهِ فَقَدْ أَحْسَنَ بِلاَ خِلاَفٍ "(٣٣٢).

وقد ورد عن الرسول ق الوعيد الشديد لمَن تقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال : " مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم "(٣٣٣)، ومَن يرتكب المعاصي أحوج ما يكون إلى أن يستجيب الله دعاءه بأن يعجل له بالتوبة من جميع الذنوب .

٢- الإحسان إلى الأهل والجيران :

لقد بيّن الله سبحانه وتعالى أهمية صلة الأرحام، وحث عليها في مواضع كثيرة عن أبي هريرة ا قال: قال رسول الله ق: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه "(٣٣٤)، وعنه اقال : قال رسول الله ق: " إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ؟، قال : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟، قالت : بلى يارب، قال : فهو لكِ "(٣٣٥)، وعن أنس بن مالك اأن رسول الله ق قال : " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه "(٣٣٦) .

ولقد حثَّ ابن حزم على الإحسان إلى الأهل والجيران بقوله : " من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم "(٣٣٧)

وهنا يُوَجِّه ابن حزم نظر الفرد المسلم إلى ضرورة عدم الإساءة إلى جاره، وإذا تعرض لإساءة أحد جيرانه فإنه لا يعاملهم بالمثل، حتى لا يصبح مثل جاره المسيئ، يقول الغزالي : " إن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذر عيش إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة، ولكل مخالط في مخالطته أدب، والآداب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته التي وقعت المخالطة والرابطة

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٢٨٤، ص١٨١ .

٣– أخرجه ابن ماجة، في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، ج٢، صـ١٣٢٧، رقم الحديث٤٠٠٤ .

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إيّاه بنفسه، ج٨، صـ٣٢، رقم الحديث٦١٣٨ .

٢– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله، ج٨، صـ٥، رقم الحديث٥٩٨٧

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، ج٣، صـ٥٦، رقم الحديث٢٠٦٧ .

٢– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٢ .

أما القرابة هي أخصها، أو إخوة الإسلام وهي أعمها، وينطوي في معنى الإخوة الصداقة والصحبة، وأما الجوار، وأما صحبة السفر، والمكتب، والدرس، وأما الصداقة، أو الإخوة، فلكل واحد من هذه الروابط درجات، فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم أكد والرحم أحق ولكن حق الوالدين أكد وكذلك حق الجار، ولكن يختلف حسب قربه من الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النية حتى إنَّ البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى الغريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات، فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع، بل أكد منه، والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة "(٣٣٨).

ولقد بين رسول الله ق ما للجار من حقوق بقوله : " الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو المشرك، له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق وهو مسلم له رحم، له حق الجوار والإسلام والرحم "(٣٣٩).

فالمجتمع المسلم يتميز عن بقية المجتمعات الأخرى، بالتزام أفراده بالآداب الاجتماعية الإسلامية، لأن التزامهم بتلك الآداب الإسلامية تكسبهم الثناء الحسن من بقية أفراد المجتمع المسلم، والأجر من المولى عز وجل إذا قصدوا من التزامها وجه الله .

لأن للجار على جاره حقوقاً منها كف الأذى عنه وعدم الإساءة إليه في نفسه أو في ماله أو عرضه أو كرامته حتى تسود المحبة بين الجيران في المجتمع المسلم(٣٤٠).

وقد حث الرسول ق على بر الجار، فقال : " مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه "(٣٤١).

وإذا كان الواجب على الجار ألا يؤذي جاره فإن الواجب عليه أيضاً أن يقدم له ما يحتاج إليه من المنافع الدنيوية، وهذا ما يعرف بالعارية، حيث يرى ابن حزم أن العارية جائزة وفي بعض المواضع تكون فرضاً، وهي إباحة منافع بعض الشيء كالدابة للركوب، والثوب للباس، وسائر ما ينتفع به(٣٤٢) .

ويقول ابن حزم : " وَعِيَادَةُ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ فَرْضٌ وَلَوْ مَرَّةً عَلَى الْجَارِ الَّذِي لاَ يَشُقُّ عَلَيْهِ عِيَادَتُهُ، وَلاَ نَخُصُّ مَرَضًا مِنْ مَرَضٍ "(٣٤٣) .

١– الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، مصر: القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (ب.ت)، ج٢، ص١٩٠ .

٢– أخرجه الطبراني، في مسند الشاميين، ج٣، صـ٣٥٦، رقم الحديث٢٤٥٨ .

٣– محمود أحمد السيد، معجزة الإسلام التربوية، الكويت: الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ١٣٩٨هـ، ص١٢٩ .

٤– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، ج٨، صـ١٠، رقم الحديث٦٠١٤ .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩،المسألة١٦٤٩، ص١٦٨ .

٢– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٦١٢، ص١٧٢ .

وعن أبي هريرة ا أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال : لئن كنت كما قلت، فكأنما تسعهم المل – الرماد الحار – ولا يزال معك من الله ظهيراً مادمتَ على ذلك[٣٤٤].

ولا شك أن إساءة القريب شديدة الوقع، عظيمة الوجع، فإن قابل القريب إساءة قريبه بالإحسان، فلاشك أن هذا فعل الكرماء والشرفاء عند الله، الممتثلين ولا يُوفق لهذه الخلة إلا مَن أرخص نفسه في جنب الله، مقتدياً في ذلك برسول الله

يقول ابن حزم : " وَجَائِزٌ لِلْمَرْءِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ بَيْتِ وَالِدِهِ، وَوَالِدَتِهِ، وَابْنِهِ، وَابْنَتِهِ، وَأَخِيهِ، وَأُخْتِهِ، شَقِيقَتَيْنِ، أَوْ لأَبٍ أَوْ لأُمٍّ، وَوَلَدِ وَلَدِهِ، وَجَدِّهِ، وَجَدَّتِهِ، كَيْفَ كَانَا، وَعَمِّهِ، وَعَمَّتِهِ، كَيْفَ كَانَا، وَخَالِهِ، وَخَالَتِهِ، كَيْفَ كَانَا، وَصَدِيقِهِ، وَمَا مَلَكَ مَفَاتِحَهُ، سَوَاءٌ رَضِيَ مَنْ ذَكَرْنَا أَوْ سَخِطَ، أَذِنُوا، أَوْ لَمْ يَأْذَنُوا، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ الْكُلَّ، برهان ذَلِكَ : قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي نَصِّ الْقُرْآنِ، نَصُّ مَا قلنا؛ لأَنَّ " مِنْ " لِلتَّبْعِيضِ وَقَوْلُهُ عليه الصلاة والسلام : إنَّ وَلَدَ أَحَدِكُمْ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ مِنْ كَسْبِهِ"[٣٤٥].

٣- إكرام الضيف :

يأتي إكرام الضيف ضمن قائمة السلوكيات التي يجب أن يتحلى بها المسلم؛ لأنه سلوك يعبر عن الخلق الكريم، فحب الناس والتودد إليهم ومدُّ أواصر المحبة والإخوة معهم شيمة لا تتوفر إلا للكرام منهم ممن يمتثلون لأوامر الله عز وجل ويبتغون مرضاته فعلاً وقولاً، وفي الدلالة على ذلك يقول رسول الله ق: " مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت "[٣٤٦].

فالكرم سلوك ينم عن جوهر طيب ومعدن أصيل، ولأن الناس ليسوا سواسية في تصرفاتهم وخلقهم فإن ذلك سرعان ما ينعكس على طريقتهم في التعامل مع ضيوفهم، فأهل الكرم تجدهم وقد استقبلوا ضيوفهم بحفاوة بالغة وترحيب شديد وهو ما يشعر القادم (الضيف) بالارتياح ويدخل على قلبه السرور والبهجة، كما أن إظهار الود للضيف وعدم إشعاره بأنه ضيف ثقيل أفضل بكثير من تقديم صنوف الطعام والشراب دون أن يكون ذلك بوجه بشوش .

٣– أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، ج٤، صـ٢٠٢٥، رقم الحديث٢٦٢٥.

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٤٦، ص١٦٣ .

٢– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الأدب، باب مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ج٨، صـ١١، رقم الحديث٦٠١٨ .

وفي هذا المعنى يقول ابن حزم : " الضّيَافَةُ فَرضٌ عَلَى البدَويّ وَالحضَريّ وَالفَقِيهِ وَالجَاهِل، يَوْم وَلَيْلَة مَبَرة وَاتّحَاف، ثُمَّ ثَلاثَة أَيَّامٍ ضيَافَة وَلَا مَزِيد "[٣٤٧]، فإكرام الضيف من السلوكيات الاجتماعية التي يجب على أفراد المجتمع المسلم الحرص على التزامها .

والتراث العربيُّ الإسلاميُّ مليء بكل صنوف الكرم التي حثنا عليها ديننا الحنيف، ومن هنا كان الكرم - ومازال - الميزة الأهم والأصيلة للمجتمع المسلم، غير أن التطور والحياة الآنية جعلا مياهاً كثيرة تجري في النهر فغيرت جل هذه العادات، لكن على الرغم من تبعات الحياة الآنية التي ترهق الناس كثيراً، إلا أنه يجب تدارك أهمية التواصل مع الناس بقدر المستطاع وتبادل الزيارات حتى تبقي للروح آدميتها، ولا يتحول الناس إلى مجرد تروس في عجلة الحياة .

٤ – شكر أصحاب الفضل :

والشكر هو الثناء على المحسن بما أولاك من المعروف، والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه[٣٤٨]، وقال ابن قيّم الجوزية : والله سبحانه وتعالى أعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله، ويمن على من لا يشكره[٣٤٩]

وقال أيضاً : " الشكر اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل لمعرفة المنعم، ولهذا سمَّي الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكراً، فمعرفة النعمة ركن من أركان الشكر، فإذا عرف النعمة توصل بمعرفتها إلى معرفة المنعم بها، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره "[٣٥٠]، وقد حدد ابن قيّم الجوزية من معاني الشكر في سبيل العامة ثلاثة أشياء : معرفة النعمة، ثم قبول النعمة، ثم الثناء بها، وهو أيضاً من سبل العامة، أما معرفتها فهو إحضارها في الذهن ومشاهدتها وتمييزها، وقبولها هو تلقيها من النعم بإظهار الفقر والفاقة إليها، وأن وصولها إليه بغير استحقاق منه، ولا بذل ثمن بل يرى نفسه فيها كالطفيلي، ثم الثناء على المنعم المتعلق بالنعمة، وهو نوعان؛ عام وخاص، فالعام : وصفه بالجود والكرم والبر والإحسان وسعة العطاء، والخاص : التحدث بنعمته والإخبار بوصولها إليه من جهته[٣٥١].

٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٥١، ص١٧٤ .

١– ابن مفلح (محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعد بن مفلح ت٦٥٠هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، السعودية: الرياض: دار أحد، (د.ت)، ص٢٤٥ .

١– ابن قيم الجوزية، زاد الميعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، ج١، ص٥٣ .

٢– ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تعليق: محمد حامد الفقي، اعتنى به: محمد بن عبادي بن عبد الحليم، مصر: القاهرة: دار الصفا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٢، ص٧ .

٣– المرجع السابق، ج٢، ص٨،٧ .

وقد عرّف الأصفهاني الشكر بأنه : " تصور النعمة وإظهارها، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها، وهو ثلاثة أضرب : شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه "[٣٥٢] .

وفي الصحابة يعترف ابن حزم بفضلهم قائلاً : " أُفٍّ لِكُلِّ إجْمَاعٍ يُخْرَجُ عَنْهُ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالصَّحَابَةُ بِالشَّامِ، ي، ثُمَّ التَّابِعُونَ بِالشَّامِ، وَابْنُ سِيرِينَ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ بِأَسَانِيدَ فِي غَايَةِ الصِّحَّةِ، وَيَدَّعِي الإِجْمَاعَ بِخِلاَفِ هَؤُلاَءِ بِأَسَانِيدَ وَاهِيَةٍ، فَمَنْ أَجْهَلُ مِمَّنْ هَذِهِ سَبِيلُهُ فَمَنْ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِمَّنْ يَدْخُلُ فِي عَقْلِهِ أَنَّ إجْمَاعًا عَرَفَهُ : أَبُو حَنِيفَةَ، وَمَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، وَخَفِيَ عِلْمُهُ عَلَى : عَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، حَتَّى خَالَفُوا الإِجْمَاعَ حَاشَا لِلَّهِ مِنْ هَذَا "[٣٥٣] .

ويقول أيضاً : " أَيْنَ يَقَعُ إنْكَارُ مَنْ أَنْكَرَ مِنْ إنْكَارِ سَيِّدَيْ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ - أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ ب - ؟ وَقَدْ أَنْكَرَ ÷ عَلَيْهِمَا إنْكَارَهُمَا، فَرَجَعَا عَنْ رَأْيِهِمَا إلَى قَوْلِهِ ÷"[٣٥٤]، ويقول في حق نساء النبي ق: " كُلُّ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ثِقَاتٌ فَوَاضِلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُقَدَّسَاتٌ بِيَقِينٍ "[٣٥٥]، ويقول : " وَالشُّكْرُ لِكُلِّ مُحْسِنٍ وَاجِبٌ"[٣٥٦] .

وابن حزم قد أوجب شكر أصحاب النعم والفضل، وكيفية الشكر عنده أوجه عدة، فهو يقول : " شكر المنعم فرض واجب، وإنما ذلك بالمقارضة له بمثل ما أحسن فأكثر، ثم بالتهمم بأموره، والتأني بحسن الدفاع عنه، ثم بالوفاء له حياً وميتاً، ولمن يتصل به ساقة وأهل كذلك، ثم بالتمادي على وده ونصيحته، ونشر محاسنه بالصدق، وطيّ مساويه مادمتَ حياً، وتوريث ذلك عقبك وأهل ودك "[٣٥٧] .

٥- الجود :

إن للجود منزلة رفيعة قال رسول الله ق: " يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى "[٣٥٨]، لكن الإنسان مجبول على حب المال والحرص على اقتنائه، يضرب في مناكب الأرض وأكثر تفكيره في نفسه وأقله في الآخرين، وقد عدَّ الإسلام هذا الشعور من النزعات الخسيسة التي يجب أن تخاصم بعنف[٣٥٩] .

٤- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق : محمد سيد كيلاني، لبنان: بيروت: دار المعرفة، (د.ت) ، ص٢٦٥ .
١- ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٧٣، ص١٢٧ .
٢- المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٥٣، ص٩٣ .
٣- المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٣٠١، ص٨٦ .
٤- المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٦، ص٣٣٤ .
٥- ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص ٨٨ .
١- أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ج٢، صـ٧١٨، رقم الحديث١٠٣٦ .
٢- محمد الغزالي، خلق المسلم، ط٧، مصر: القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٠م، ص١٤٤ .

ولقد عدَّ ابن حزم الجود رابع أربع فضائل تتركب منها كل الفضائل، كما أن ضده رابع أربع رذائل تتركب منها أصول الرذائل، فقد قال : " أصول الفضائل كلها أربعة، عنها تتركب كل فضيلة؛ وهي : العدل، والفهم، والنجدة، والجود، وأصول الرذائل كلها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة ؛ وهي أضداد التي ذكرنا، وهي : الجور، والجهل، والجبن، والشح "(٣٦٠).

وفي المحلّى يقول ابن حزم عن الجود : " وَيُسْتَحَبُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي رَمَضَانَ : حدثنا عبد الله بن ربيع، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ أَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُد هُوَ الْمَهْرِيُّ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ، هُوَ ابْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسَ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ،وفي النص السابق يؤكد ابن حزم على أهمية الجود خاصة في شهر رمضان ائتساءً بالرسول

٦ – الجدال :

يقول ابن حزم : " وَالْجِدَالُ قِسْمَانِ : قِسْمٌ فِي وَاجِبٍ وَحَقٍّ، وَقِسْمٌ فِي بَاطِلٍ؛ فَالَّذِي فِي الْحَقِّ وَاجِبٌ فِي الإِحْرَامِ وَغَيْرِ الإِحْرَامِ، مَنْ جَادَلَ فِي طَلَبِ حَقٍّ لَهُ فَقَدْ دَعَا إلَى سَبِيلِ رَبِّهِ تَعَالَى، وَسَعَى فِي إظْهَارِ الْحَقِّ وَالْمَنْعِ مِنْ الْبَاطِلِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ جَادَلَ فِي حَقٍّ لِغَيْرِهِ أَوْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْجَدَلُ بِالْبَاطِلِ وَفِي الْبَاطِلِ عَمْدًا ذَاكِرًا لإِحْرَامِهِ مُبْطِلٌ لِلإِحْرَامِ

ومما سبق يتضح أن ابن حزم يقسم الجدال إلى قسمين، هما :

الجدال الواجب .

الجدال الباطل .

ويكون الجدال الواجب في طلب حق وسعي في إظهاره، والمنع من الباطل، ويكون الجدال الباطل في إظهار غير ذلك .

٧ – الابتعاد عن الرشوة :

لأن الرشوة من الأمور التي تفسد على أفراد المجتمع مصالحهم؛ ولهذا فإن ابن حزم يرى أن الرشوة لا تجوز، وهي أن يدفعَ الإنسانُ لآخر شيئاً من المال أو نحوه لكي يحكم له بالباطل، أو ليتولى بعض الأعمال، أو ليظلم أحد الناس، وفي هذه الحالة يأثم الذي يعطي والذي يأخذ، أما من يعطي ليدفع عن نفسه الظلم فإن هذا مباح للمعطي، وأما الآخذ فإنه يأثم(٣٦١).

٣– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٨٩ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٣٦، ص١٥٧ .

٨ – القدوة الصالحة :

إن للقدوة الصالحة أهميتها في التربية الإسلامية، ومما روي أن عمر رأى على طلحة ثوباً مصبوغاً، فقال له : إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، وإن جاهلاً لو رأى هذا لقال على طلحة ثوباً مصبوغاً، فلا يلبس أحد منكم من هذه الثياب شيئاً إنه محرم[٣٦٢].

وقد تحرر الأئمة مما يحط به من منزلتهم، فقال الأوزاعي : " كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يقتدنا بنا خشيت ألا يسعنا التبسم "[٣٦٣]، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه قيل له : لمن نسأل بعدك؟، فقال : لعبد الوهاب الوراق، فقيل إنه ضيق العلم، فقال : رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق[٣٦٤].

إن أسلوب القدوة يتربع على قمة الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية، وهو الأسلوب الناجح الذي يترجم الكلمات إلى مواقف، ويحول العبادات إلى سلوكيات وأخلاق، فتتربى النفوس من خلاله تربية صحيحة مؤثرة، ولهذا تعد من أول الأساليب التربوية الوقائية، إذ لا قيمة لما يأتي بعدها من الأساليب حين تُفقد[٣٦٥].

ولقد أشار ابن حزم إلى أهمية القدوة الصالحة بقوله : انظر في المال والحال والصحة إلى مَن دونك، وانظر في الدين والعلم والفضائل إلى من فوقك "[٣٦٦] .

لذا فقد حثَّ على الاقتداء بالرسول ق حين قال : من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتدِ بمحمد رسول الله ق ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الائتساء به بمنِّه آمين "[٣٦٧] .

وفي كتابه المحلى أورد ابن حزم كثيراً من النصوص الدالة على أهمية وجود القدوة الصالحة عامةً، والاقتداء بالرسول ق خاصةً، ومن هذه النصوص قوله : "وَأَمَّا نَحْنُ فَلاَ حُجَّةَ عِنْدَنَا فِي أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "[٣٦٨]

٢– ابن مفلح، مرجع سابق، ص١٤ .
٣– المرجع السابق، ص١٤ .
٤– المرجع السابق، ص١٤ .
٥– خليل عبد الله عبد الرحمن الحدري، التربية الوقائية في الإسلام، السعودية: مكة المكرمة: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨ هـ، ص١٩٩ .
١– ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٢٣ .
٢– ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع السابق، ص٢٤ .
٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٣٥، ص٧٥ .

ويقول : " فَلاَ تَحِلُّ الصَّلاَةُ حَيْثُ ذَكَرْنَا، إلاَّ صَلاَةَ الْجِنَازَةِ فَإِنَّهَا تُصَلَّى فِي الْمَقْبَرَةِ، وَعَلَى الْقَبْرِ الَّذِي قَدْ دُفِنَ فِيهِ صَاحِبُهُ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُحَرِّمُ مَا نَهَى عَنْهُ، وَنَعُدُّ مِنْ الْقُرْبِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ؛ فَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ حَقٌّ ، وَفِعْلُهُ حَقٌّ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَبَاطِلٌ "[٣٦٩] .

وأيضاً : " وَخَيْرُ الأَعْمَالِ مَا ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمِلَهُ وَمَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ "[٣٧٠]، وقوله : " فَهَذِهِ آثَارٌ مُتَظَاهِرَةٌ وَأَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةٌ، وَرِوَايَاتٌ مُتَنَاصِرَةٌ، وَلاَ يَسَعُ أَحَدًا الرَّغْبَةُ عَنْهَا "[٣٧١] .

ويقول ابن حزم : " هذا يُوَضِّحُ أَنَّهُ لاَ حُجَّةَ فِي عَمَلِ أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[٣٧٢]، ويقول : " الْمَعِيبُ هُوَ مَنْ عَابَ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَوَّلَ عَلَى مَا لاَ حُجَّةَ فِيهِ "[٣٧٣]، ويقول : " وَالنَّظَرُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُعَارَضَ بِهِ كَلاَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

ويقول : " وَلاَ حُجَّةَ فِي قَوْلِ قَائِلٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "[٣٧٤]، ويقول : " وَأَمَّا نَحْنُ فَلاَ حُجَّةَ عِنْدَنَا إلاَّ فِيمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "[٣٧٥]، ويقول : " وَلاَ حُجَّةَ فِي أَحَدٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ "[٣٧٦]، ويقول : " فَالْمَرْجُوعُ إلَيْهِ هُوَ بَيَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "[٣٧٧] .

ويقول : " وَهَذَا لاَ حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ لأَنَّنَا لاَ نَدْرِي مَاذَا كَانَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ قَالَ لَهُ : نَعَمْ إلاَّ أَنَّ الْيَقِينَ عِنْدَنَا أَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَقُلْهُ ÷، وَلاَ حَكَمَ بِهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ لاَزِمٍ، وَلاَ تُؤْخَذُ الدِّيَانَةُ بِالتَّكَهُّنِ، وَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ لَوْ لَزِمَ بِإِشَارَتِهِمْ إلَيْهِ، أَوْ أَمْرِهِمْ إيَّاهُ، أَوْ عَوْنِهِمْ لَهُ حُكْمُ تَحْرِيمٍ لَبَيَّنَهُ، فَإِذْ لَمْ يَفْعَلْ فَلاَ حُكْمَ لِذَلِكَ "[٣٧٨].

ويقول : " لأَنَّ مِنْ فَرْضِ الْحَجِّ وَسَائِرِ الشَّرَائِعِ كُلِّهَا أَنْ لاَ تُؤَدَّى إلاَّ كَمَا أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ÷ فِي الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، الَّذِي لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى دِينًا غَيْرَهُ، وَقَالَ ÷ : مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ "ويقول : " وَأَمَّا نَحْنُ فَلاَ حُجَّةَ عِنْدَنَا فِي قَوْلِ أَحَدٍ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "[٣٧٩] .

فَنَحْنُ حَكَّمْنَاهُ عليه الصلاة والسلام فِيمَا شَجَرَ بَيْنَنَا، ثُمَّ لَمْ نَجِدْ فِي أَنْفُسِنَا حَرَجًا مِمَّا قَضَى وَسَلَّمْنَا تَسْلِيمًا، وَهُمْ لَمْ يُحَكِّمُوهُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ وَجَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ الْحَرَجَ مِمَّا قَضَى، وَلَمْ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فَتَبًّا لَهُمْ وَسُحْقًا

٤– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٣٩٣، ص٣٢ .
٥– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٢٨٨، ص٣٧ .
٦– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٥١، ص١٢٠ .
١– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٥٢، ص١٢٢ .
٢– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٥٢، ص١٢٢ .
٤– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٢٣، ص٥٣ .
٥– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٥٦، ص١٠٧ .
٦– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٥، ص١٤٤ .
٧– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٦، ص١٦٩ .
٨– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٩٢، ص٢٥٤ .
١٠– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٦٠، ص٣٤٧ .

ويقول : " فَالْفَضْلُ لَنَا وَالأَجْرُ وَالإِحْسَانُ فِي أَنْ نَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ ائْتِسَاءً بِهِ، وَالْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ مُخْطِئٌ، وَالرَّاغِبُ، عَنْ سُنَّتِهِ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ هَالِكٌ، إلاَّ أَنْ يَأْتِيَ نَصٌّ قُرْآنٍ أَوْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ بِأَنَّهُ خُصُوصِيٌّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلاَ يَحِلُّ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ حِينَئِذٍ، وَالْعَجَبُ كُلُّهُ أَنَّ هَؤُلاَءِ يَأْتُونَ إلَى مَا عَمِلَهُ عليه الصلاة والسلام وَلَمْ يُخْبِرْ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ خَاصٌّ لَهُ "[٣٨٠]، "فَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَنْسِبَ إلَيْهِ عليه الصلاة والسلام أَنَّهُ أَرَادَ أَمْرَ كَذَا إلاَّ بِيَقِينٍ مِنْ نَصٍّ وَارِدٍ لاَ شَكَّ فِيهِ، وَإِلَّا فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُقَوِّلٌ لَهُ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَمُخْبِرٌ عَنْهُ بِالْبَاطِلِ

وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَحْكُمْ بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا شَجَرَ عِنْدَهُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ إلاَّ حَتَّى وَافَقَهُ قِيَاسٌ أَوْ رَأْيٌ، أَوْ قَوْلُ قَائِلٍ فَلَمْ يُحَكِّمْ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ سَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا

ويقول ابن حزم : " وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ، عَنْ شَيْءٍ فَاتْرُكُوهُ، فَصَحَّ ضَرُورَةً أَنَّهُ لاَ يَخْرُجُ حُكْمٌ أَبَدًا، عَنْ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عليه الصلاة والسلام فَيَكُونُ فَرْضًا مَا اسْتَطَعْنَا مِنْهُ أَوْ يَنْهَى عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عليه الصلاة والسلام فَيَكُونُ حَرَامًا، أَوْ لاَ يَكُونُ فِيهِ أَمْرٌ، وَلاَ نَهْيٌ فَهُوَ مُبَاحٌ فِعْلُهُ وَتَرْكُهُ "[٣٨١] .

بعض الحقوق والآداب الاجتماعية :

١- حقوق الوالدين :

إن من أعظم الحقوق الاجتماعية حق الوالدين، وليس أدل على أهميته من أن الله سبحانه وتعالى أوصى بالوالدين، وحثَّ على إكرامهم، والإحسان إليهم، والرحمة بهم، لما لهما من عظيم الحق، وجليل الإحسان، وكذلك فإن النبي ق قد وضَّح أهمية بر الوالدين، مؤكداً أنه سبب من الأسباب التي تدخل الإنسان الجنة، فعن أبي هريرة ا قال : قال رسول الله: " رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل : مَن يا رسول الله ؟، قال : مَن أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة "[٣٨٢]، وعن أبي الدرداء قال سمع رسول الله ق يقول : " الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو احفظه "[٣٨٣] .

يقول ابن حزم : وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ الْكَبَائِرِ، وَلَيْسَ فِي الْعُقُوقِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الابْنُ غَنِيًّا ذَا حَالٍ وَيَتْرُكَ أَبَاهُ، أَوْ جَدَّهُ يَكْنُسُ الْكَنَفَ،أَوْ يَسُوسُ الدَّوَابَّ، وَيَكْنُسُ الزِّبْلَ، أَوْ يَحْجُمُ، أَوْ يَغْسِلُ الثِّيَابَ لِلنَّاسِ، أَوْ يُوقِدُ فِي الْحَمَّامِ وَيَدَعُ أُمَّهُ أَوْ جَدَّتَهُ تَخْدِمُ النَّاسَ، وَتَسْقِي الْمَاءَ فِي الطُّرُقِ فَمَا خَفَضَ لَهُمَا جُنَاحَ الذُّلِّ مِنْ

٢– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٨٤٧، ص٥٠٠ .

١ – المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٧٦، ص٣٦٤ .

١– أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، ج٤، صـ١٩٧٨، رقم الحديث٢٥٥١ .

٢– أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الفضل في رضا الوالدين، ج٤، صـ٣١١، رقم الحديث١٩٠٠ .

الرَّحْمَةِ مَنْ فَعَلٌ ذَلِكَ بِلاَ شَكٍّ، ويتضح من النص السابق أن ابن حزم يوضح كبيرة عقوق الوالدين، مفسراً أن من ترك أبويه يعملان أعمالاً شاقة، وكان ميسور الحال فما خفض لهما جناح الذل من الرحمة، وما امتثل لقول الله تعالى، فإنه من تمام الوفاء وكرم الأخلاق التي جاء بها الإسلام، أن تحسن إلى من أحسن إليك، ويقول النبي ق: " من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه "[٣٨٤]، وليس في الوجود أحدٌ بعد الله سبحانه وتعالى أسدى إلى الإنسان معروفاً أكثر مما أسدى إليه أبوه وأمه، فقد ربيّاه صغيراً، وآثراه على أنفسهما كبيراً، وكانا قبل ذلك السبب في وجوده وبروزه في الحياة شخصاً سوياً، فقد بذلا من أجله الكثير، بذلا راحتهما ومالهما لإسعاده .

وحقوق الوالدين كثيرة على أبنائهما، فيقول ابن حزم في خدمة الأبناء للآباء : وَإِنْ كَانَ الأَبُ، وَالأُمُّ مُحْتَاجَيْنِ إلَى خِدْمَةِ الابْنِ أَوْ الابْنَةِ النَّاكِحِ أَوْ غَيْرِ النَّاكِحِ لَمْ يَجُزْ لِلابْنِ، وَلاَ لِلابْنَةِ الرَّحِيلُ، وَلاَ تَضْيِيعُ الأَبَوَيْنِ أَصْلاً، وَحَقُّهُمَا أَوْجَبُ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِالأَبِ وَالأُمِّ ضَرُورَةٌ إلَى ذَلِكَ فَلِلزَّوْجِ إرْحَالُ امْرَأَتِهِ حَيْثُ شَاءَ مِمَّا لاَ ضَرَرَ عَلَيْهِمَا فِيهِ، برهان ذَلِكَ أما إذا كان الأب من أهل البغي، فابن حزم يختار ألا يقاتل الابن أبيه، فيقول : " فَإِنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةَ الرَّحِمِ إنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَإِلا فَلاَ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لاَ طَاعَةَ لأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَلَمْ يَخُصَّ بِذَلِكَ ابْنًا مِنْ أَجْنَبِيٍّ، وَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ

وتأكيداً لمقام وقيمة من يقوم بتربية الإنسان، فإن ابن حزم يقول : " فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : عَنِ الرَّبِيبِ أَبٌ، وَيَنْسُبُ إلَى الرَّجُلِ ابْنَ امْرَأَتِهِ، فَيَقُولُ لَهُ : أَبُوك وَهَذَا أَنَسٌ، وَعُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالدِّيَانَةِ يَقُولاَنِ بِذَلِكَ، قال أبو محمد : وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ وَأَصْحَابِنَا وَبِهِ نَأْخُذُ "[٣٨٥] .

ويتضح من النص السابق قول ابن حزم بأهمية الدور الذي يقوم به المربي سواءً أكان ذلك المربي زوج الأم أم كان غيره، ليس هذا فحسب بل ويطلق عليه صفة الأبوة .

وبر الوالدين ممتد في جميع مراحل الحياة، لاسيما عند المرض والكبر، بل إنه يستمر حتى بعد وفاتهما، فقد رُوي عن النبي ق أن رجلاً قال : " يا رسول الله هل بقي من بر والديّ شيءٌ أبرهما به بعد موتـهما؟، قال : نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بـهما، وإكرام صديقهما"[٣٨٦]، وكذلك فإن عبد الله بن عمر ا لقي رجلاً أعرابياً بطريق مكة

١– أخرجه أبو داوود، في سننه، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، ج٢، صـ١٢٨، رقم الحديث١٦٧٢
٢– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٢٣٤، ص٢٨٣ .
١– أخرجه أحمد، في مسنده، ج٢٥، صـ٤٥٧، رقم الحديث١٦٠٥٩ .

فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامةً كانت على رأسه، فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ! إنـهم الأعراب، وإنـهم يرضون باليسير، فقال عبد الله : إن أبا هذا كان ودّاً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول اللهق يقول : " إن أبر البر صلة الولد أهل ودِّ أبيه "[٣٨٧].

٢- الحقوق الزوجية :

إن دين الإسلام الحنيف الذي عُني بمصالح البشرية كلها، واهتم بمصالح كل ذي نفس من إنس وجن وحيوان، ورتَّب أمور البشرية، ونظم علاقات بعضهم ببعض جماعات وفرادى، وبيَّن ما لبعضهم على بعض من حقوق لازمة وضرورية، وبيَّن ما على بعضهم لبعض من واجبات لازمة وحتمية، وقد أبان فيما أبان علاقة الزوج بزوجته، وما يجب لها عليه من حقوق، مالية وأدبية واجتماعية وغير ذلك، وما يجب له عليها من طاعة وتعاون بالحسنى والمعروف .

فالحياة الزوجية حياةٌ مبنية على أسس وحقوق شرعية، فليست هي اللذة والشهوة وقضاء الوطر فحسب، ولكنها مبادئ كريمة، وأسس عظيمة، أرساها كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ق ، وإنما شرعت كي يسير المسلم في حياته الزوجية سيراً حميداً ويبني للأمة بيتاً صالحاً وأسرة تحيا في محبة الله ومرضاته، فكم من زواجات انتهت بأهلها إلى الجنات[٣٨٨].

وسُئِلَ ق: ما حق زوجة أحدنا عليه ؟، قال : " أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسوت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تـهجر إلا في البيت "[٣٨٩].

وفي هذا يقول ابن حزم : " وَمِنْ طَرِيق أَبِي دَاوُد، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ هِنْدًا أُمَّ مُعَاوِيَةَ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَإِنَّهُ لاَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَبَنِيّ، فَهَلْ عَلَيَّ مِنْ جُنَاحٍ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا قَالَ : خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ " [٣٩٠]، ومما سبق يتضح وجوب هذا الأمر على الرجل، وإن كان شحيحاً تأخذ من ماله بدون إذنه .

٢– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، ج٤، صـ١٩٧٩، رقم الحديث٢٥٥٢ .

١– فيصل بن راجح بن رجاء العصلاني، "آراء الشيخ عبد الله بن قعود رحمه الله التربوية من خلال مؤلفاته وتطبيقاتها التربوية"، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ، ص١٩٢ .

٣– أخرجه أبو داوود، في سننه، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، ج٢، صـ٢٤٤، رقم الحديث٢١٤٢ .

٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٢٨٤، ص١٨٠ .

فلقد كرم الإسلام المرأة، وحثَّ على حسن معاشرتها، وبل ورَغَّبَ في ذلك، لما فيه من صيانة لحق المرأة، حتى إن الإسلام أباح كذب أحد الزوجين للآخر حفاظاً على قيام المودة بينهما ويقول ابن حزم : " وَلاَ بَأْسَ بِكَذِبِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ لِلآخَرِ فِيمَا يَسْتَجْلِبُ بِهِ الْمَوَدَّةَ، كَمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ شُعَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ زُنْبُورٍ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ هُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ أَنَّهَا سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لاَ أَعُدُّهُ كَذِبًا : الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ يُرِيدُ الصَّلاَحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ الْقَوْلَ فِي الْحَرْبِ وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا "[٣٩١].

ومن حسن معاشرة الزوجة القيام بحقوقها كاملة، من جميع ما تحتاجه المرأة، من نفقة ومأكل ومشرب وملبس ومسكن، يقول ابن حزم : " وَيَلْزَمُهُ إسْكَانُهَا عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ ويقول : " وَأَمَّا صِيَانَةُ الزَّوْجَةِ فَلأَنَّهُ قَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى نَفَقَتَهَا، وَكِسْوَتَهَا، وَإِسْكَانَهَا، وَالْقِيَامَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَغْنَى مِنْ الزَّوْجِ وَهَذَا يَقْتَضِي صِيَانَتَهَا، عَنْ كُلِّ خِدْمَةٍ، وَكُلِّ عَمَلٍ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ " [٣٩٢]، وكما أن الإسلام حث الرجل على حسن معاشرة زوجته، فقد أوجب على الزوجة الطاعة لزوجها، فطاعة الزوج واجبة على المرأة، والطاعة تكون في حدود الشرع.

فإذا كانت هذه منزلة الرجل للمرأة، فحري بها أن تعطيه هذا الحق، قال النبي ق: " إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت "[٣٩٣].

وطاعة الزوج لا تقتصر على شيء معين، وإنما في كل ما يأمرها به، فلا تُدخل أحداً إلى بيته بدون رضاه، ولا تخرج دون رضاه، حتى صوم التطوع لا تصوم إلا بإذنه.

فعلى الزوجة أن تعاشر زوجها بالمعروف، والمعاشرة تكون عن طريق اللسان العذب، والشكل الجميل، والطبع المحمود، والمرأة المسلمة الذكية تعرف كيف تكسب زوجها عن طريق هذه الأشياء فعليها التجمل والتزين له، واستقباله بوجه باسم، والتخفيف عنه، بل عليها أكبر من ذلك، فتعينه على طاعة الله فتذكره ببعض النوافل التي قد يغفل عنها، وتعينه على بر والديه واحترامهما، والتودد إليهما، وتعينه على قيام الليل وصيام التطوع[٣٩٤].

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة١٩١٢، ص٧٥ .
١– المرجع سابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة١٩٣٣، ص١٠٨ .
٣– أخرجه أحمد، في مسنده، ج٣، صـ١٩٩، رقم الحديث١٦٦١ .
٤– فيصل بن راجح بن رجاء العصلاني، مرجع سابق، ص١٩٧ .

٣- حقوق الأولاد :

الأولاد ثمرة من ثمار الزواج، وهم أمانة في أعناق الوالدين، فكما أن للوالدين حقاً على الأولاد، فكذلك للأولاد حق على الوالدين، فكما أن الله عز وجل أمر ببر الوالدين، فكذلك أمر بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم أداءٌ للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقهم غش وخيانة.

ويقول النبي ق: " كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته "[٣٩٥]، وقال ما من عبد يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة "[٣٩٦].

فمَن نشَّأ أولاده على الأخلاق والمُثل الكريمة في الصغر سُرَّ وانتفع بهم في الكبر، وإن نعمة الأولاد نعمة كبرى ومنتها من الله منة عظمى، أنعم الله بها على مَن أعطاهم إياهاوإن العاقل الذي أوتي هذه النعمة ليدرك أن استقرار هذه النعمة واستمرار أثرها على الإنسان في محياه ومماته بتوجيهها التوجيه الذي أمر الله به في قوله عز وجل.

وبيّن ابن حزم أن من حقوق الأولاد على آبائهم التسمية، بأن يسمياه اسماً يُنادى به " وَأَمَّا التَّسْمِيَةُ : فَرُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ نَا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ نَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ هُوَ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ أُمَّهُ وَلَدَتْ غُلاَمًا فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَنَسُ لاَ يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ انْطَلَقْتُ بِهِ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ قُلْتُ : نَعَمْ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ وَدَعَا ÷ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلاَكَهَا فِي فِيهِ ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ "[٣٩٧]، فالتسمية حق من حقوق الأولاد، وإلا فكيف للطفل أن يتعامل مع الناس المحيطين به، وكيف يعاملونه ؟!.

ومن حقوق الأولاد التي سطَّرها ابن حزم في كتابه، حق الرضاعة، حيث يقول : " وَجَائِزٌ اسْتِئْجَارُ الْمَرْأَةِ ذَاتِ اللَّبَنِ لإِرْضَاعِ الصَّغِيرِ مُدَّةً مُسَمَّاةً. وهذا نص يوضح جواز استئجار امرأة لإرضاع الطفل، أيضاً فإن اللعب من حقوق الولد، يقول ابن حزم : " وَلاَ يَحِلُّ بَيْعُ الصُّوَرِ إلاَّ لِلَعِبِ الصَّبَايَا فَقَطْ، فَإِنَّ اتِّخَاذَهَا لَهُنَّ حَلاَلٌ حَسَنٌ، وَمَا جَازَ مِلْكُهُ جَازَ بَيْعُهُ إلاَّ أَنْ يَخُصَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ نَصٌّ فَيُوقَفُ عِنْدَهُ " [٣٩٨] .

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ج٣، صـ١٢٠، رقم الحديث١٤٠٩ .

٢– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ج١، صـ١٢٥، رقم الحديث١٤٢ .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة١١١٣، ص٥٢٧-٥٢٨ .

٣– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٥٣٧، ص٢٥ .

ومن حقوق الأولاد على الوالدين التي نادى بها ديننا الإسلامي الحنيف، حق المساواة فيقول ابن حزم : " فَعَلَى الأَبِ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطِيَ هَذَا الْوَلَدَ، كَمَا أَعْطَى غَيْرَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أُعْطِيَ مِمَّا تَرَكَ أَبُوهُ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ مِثْلَ ذَلِكَ " [٣٩٩] .

وبالرغم من عظم مسؤولية تربية الأولاد، وجزيل الفضل في ذلك، فكثير من الناس قد فرَّط فيها، واستهان بأمرها، ولم يرعها حق رعايتها، فأضاعوا أولادهم، وأهملوا شأنهم، غير معتبرين، فلقد كان أسلافنا الصالحون الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة وأدركوا ما وراء شكرها والقيام بحقها من تتابع أجر، وبقاء ذكر، مهتمين كل الاهتمام بتوجيه أولادهم وتنشئتهم وتربيتهم على الإسلام الذي لا يضل ولا يشقى مَن تمسك به، وسيأتي إن شاء الله جزءٌ خاصٌ عن رعاية الطفل وحقوقه في كتاب المحلَّى.

التربية العقلية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى :

العقل هبة من الله عز وجل اختص بها الإنسان دون غيره من المخلوقات ليكون خليفة الله في أرضه، والعقل هو القوة المدركة للحقائق، وهو الأداة التي تصل بالإنسان إلى مراحل متقدمة من التفكير والإبداع في شتى العلوم، وهو أساس التكليف، وبه يتمكن الإنسان من إعمار الكون .

ولقد " اهتم الإسلام بالعقل الإنساني، وجعل له أهمية عظمية، وحمَّله مسؤولية فهم الإسلام، والالتزام بتطبيقه، ولقد اعتنى الإسلام بالعقل، فأمر الله عز وجل بالمحافظة عليه، ونهى عن كل ما يضر به أو يعطل عمله، وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتكريمه والاعتزاز به والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية، بل إن العقيدة الإسلامية تدعو العقل إلى تشغيل طاقاته، وتستثيره ليؤدي دوره الذي خلقه الله عز وجل من أجله، وتنبهه ليتدبر ويتفكر، وينظر ويتأمل، في دلالة على أن الدعوة إلى الإيمان قامت على الإقناع العقلي "[٤٠٠].

فالعقل من أميز الخصال التي امتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، فبه يميز بين الخير والشر، والضار والنافع، وبه يدبر أموره وشؤونه، وبه ترتقي الأمم وتتقدم الحياة، " لقد كان من مزايا العقيدة الإسلامية أنها أطلقت العقل البشري يعمل في أوسع نطاق متاح على الأرض، ولم تغلق عليه الأبواب، وكان من آيات الإسلام الكبرى أنه في دعوته للإيمان بالله عز وجل لم يقهر العقل بالخوارق القاهرة، ولا بأسرار لا حيلة له فيها ولا اختيار، بل خاطبه ووعّاه وأيقظه وناقشه، وجعله يشترك في عملية الإيمان الواعية "[٤٠١] .

١– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٣٢، ص١٤٢ .

١– أسامة عبد الرحمن جودة، "الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته"، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٦٩ .

٢– محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مصر: القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١م، ج١، ص٨٨ .

والتربية العقلية أحد جوانب التربية الإسلامية، ولها أهمية خاصة لأنها تربي الإنسان على الفكر السوي، وتعمق في نفسه المفاهيم الصحيحة، والأفكار النيّرة، وتحذره من المفاهيم الخاطئة، والأفكار الضالة والمنحرفة.

التربية العقلية وأهميتها :

مفهوم التربية العقلية :

قبل الدخول في الموضوع لابد من تحديد مفهوم التربية العقلية، حيث عرَّفها عددٌ من الباحثين بتعريفات متعددة، منها :

التربية العقلية : هي " التي تهتم بالعقل وتغذيه وتمده بأسباب نشاطه وتعطيه القدرة على النظر والتأمل والتدبر والتحليل والاستنتاج، أي تنمية قدراته واستعداداته "[٤٠٢].

التربية العقلية : هي " تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج الولد فكرياً ويتكون علمياً وثقافياً "[٤٠٣].

التربية العقلية : هي " تلك الجهود التي تبذل في تنمية الفكر وتوسيع أفقه ومداركه سواء كانت هذه الجهود مبذولة من مربٍ يشرف على هذا اللون من التربية أو كانت عبارة عن مجهود ذاتي من الشخص في تربية فكره وتنميته وتوسيع مداركه "[٤٠٤].

أهمية التربية العقلية :

تتمثل أهمية التربية العقلية فيما يلي :

١- أنها تقدم أساساً فكرياً للتصورات الفكرية عن الكون، والحياة، والإنسان، ومعرفة موقف الإسلام من الإنسان أو نظرته إليه، ونظرة الإسلام إلى الكون والوجود، وعلاقة المسلم بذلك كله، وهي بهذا ترسم للمسلم صورة منطقية متكاملة ليتصور علاقته بالكون وليعرف مبدأه ومصيره وقيمته ومكانته، ووظيفته، وهدفه، وهي بهذا تصوغ عقل المسلم صياغةً خاصة، تجعل قدرته على العطاء أعظم من طاقاته، وأمله أوسع من إمكانياته، ومدى تفكيره أوسع من إحساساته[٤٠٥].

٢- كما أنها تقدم للمسلم قواعد ونظماً سلوكية تجعل حياته مثالاً للدقة، والنظام والأمانة والخلق الرفيع، والمنهجية والوعي السليم، والتفكير في كل ما يعمل أو يريد عمله قبل الإقدام عليه، أي التصميم قبل التنفيذ، وهذا يربي عند المسلم عادة عظيمة

١- علي محمود، مرجع سابق، ص٢٥٩ .
٢- عبد الله ناصح علوان، مرجع سابق، ص٢٥٥ .
٣- حسن بن علي الحجاجي، مرجع سابق، ص٢٥٣ .
١- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط٣، سوريا: دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ، ص٥٥ .

ومفيدة، هي أن يفكر دائماً قبل أن يعمل، وأن يكون هادفاً ومتقناً ومنتجاً في كل ما يعمل .

٣- التربية العقلية تربي الإنسان على التفكير المنطقي عن طريق استنباط الأحكام، فمثلاً أحكام الشريعة كما جاءت في القرآن والسنة، بعمومها وشمولها، لم توضع لعلاج مواقف فردية، أو محاولات جزئية بخصوصها، بل وُضعت ليُستفاد منها في كل العصور والأزمان، ولدى كل موقف يصادفه فرد أو جماعة من بني الإنسان[٤٠٦].

٤- بالتربية العقلية نخْرِجُ شعباً متحضراً، وحضارة راقية، لأنه عن طريقها يتقدم الطفل في التعليم، وكذلك الشباب، وبعد ذلك المجتمع،وعلى ضوئها تتقدم الأمة في شتى المجالات العلمية في الحياة .

نماذج من آراء ابن حزم في التربية العقلية :

إذا كانت التربية الإسلامية تهدف إلى تربية الإنسان تربيةً ذاتيةً على الفضيلة ليكون مصدر خير لنفسه وللجماعة، ويكون مسؤولاً عن أعماله وتصرفاته، فإن هذا لا يتأتَّى إلا من خلال تربية الإنسان تربيةً عقليةً متزنة واضحةَ المعالم ترسم للإنسان طرقاً شرعيةً لحل المشكلات التي تواجهه في كل زمان ومكان .

ومن نماذج التربية العقلية عند ابن حزم ما يلي :

١- ربط التعليم بالتعقل :

فمثلاً يقول ابن حزم في شأن تعليم الصلاة للأطفال : " وَلاَ صَلاَةَ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَيُسْتَحَبُّ لَوْ عُلِّمُوهَا إذَا عَقَلُوهَا؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ رُفِعَ الْقَلَمُ، عَنْ ثَلاَثَةٍ فَذَكَرَ فِيهِ الصَّبِيَّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَقَدْ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَبَّاسٍ قَبْلَ بُلُوغِهِ بَعْضَ حُكْمِ الصَّلاَةِ وَأَمَّهُ فِيهَا، وَيُسْتَحَبُّ إذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ أَنْ يُدَرَّبَ عَلَيْهَا فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ أُدِّبَ عَلَيْهَا، لِمَا حَدَّثَنَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَبِيعٍ، حدثنا ابْنُ السُّلَيْمِ، حدثنا ابْنُ الأَعْرَابِيِّ، حدثنا أَبُو دَاوُد، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حدثنا إبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُبْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاَةِ إذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا "[٤٠٧] .

٢– عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص٥٥ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد١، الجزء٢، المسألة٢٧٦، ص٢٣٢ .

فيتضح من كلام ابن حزم ربط التعليم بالتعقل، وإلا فلا فائدة من التعليم فكيف لصبي أن يأتي بحركات هي هيئات الصلاة لكن دون تدبر وتعقل وتبصر فهنا التربية العقلية سابقة للتعليم، فهي الأرض الخصبة لبذر البذور .

فالعقل مناط التكليف " فالصبي لا يقع عليه التكليف حتى بلوغ سن التكليف واكتمال عقله، كذلك المجنون لأنه فاقد لعقله لا يستطيع أن يميز بين الأشياء، أما الإنسان العاقل فهو الذي يستطيع أن يميز بين ما هو حسن، وما هو قبيح، وبين ما هو خير وما هو شر، فهو طريق الإنسان إلى الحق والهداية، والموازنة بين حقيقة الأشياء والكشف عن ماهيتها، وإدراك مدى نفعها وضرها بالنسبة له من خلال إعمال عقله، وسمو تفكيره، وبذلك تتحقق المنفعة والخير بالنسبة له، والوصول إلى إدراك الحقيقة، فالعقل هو أداة المعرفة والعلم بالنسبة للإنسان، عن طريقه يتمكن الإنسان من فهم وإدراك ما حوله، وهو الموجه والمرشد نحو معرفة ما يجهله الإنسان"[٤٠٨].

٢- حفظ العقل من الفساد :

بيَّن الماوردي أهمية العقل السليم بقوله : " اعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور، ويفصل بين الحسنات والسيئات، فقد قال عمر بن الخطاب ا : أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلته "[٤٠٩].

ويرى ابن حزم أن على الإنسان أن يحفظ عليه عقله، وألا يطمئن على قدرته في خوض الآراء الفاسدة فيهلك، فيقول :" ما رأينا شيئاً فسد فعاد إلى صحته إلا بعد لأي، فكيف بدماغ يتوالى عليه فساد السكر كل ليلة، وإن عقلاً زين لصاحبه تعجيل إفساده كل ليلة، لعقلٌ ينبغي أن يتهم "[٤١٠].

ومن المحافظة على العقل ألا يأتي الإنسان عرّافاً، يقول ابن حزم : " وَمَنْ أَتَى عَرَّافًا وَهُوَ الْكَاهِنُ فَسَأَلَهُ مُصَدِّقًا لَهُ وَهُوَ يَدْرِي أَنَّ هَذَا لاَ يَحِلُّ لَهُ : لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً إلاَّ أَنْ يَتُوبَ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ فَتْحٍ، حدثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عِيسَى، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، حدثنا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، عَنْ صَفِيَّةَ هِيَ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ، عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، قَالَ عَلِيٌّ : أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُنَّ فِي غَايَةِ الصِّدْقِ وَالْعَدَالَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالثِّقَةِ، لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُخْفِينَ، وَلاَ أَنْ يَخْتَلِطَ بِهِنَّ مَنْ لَيْسَ مِنْهُنَّ، بِخِلاَفِ مُدَّعِي الصُّحْبَةِ وَهُوَ لاَ يُعْرَفُ وَمَنْ أَتَى الْعَرَّافَ فَسَأَلَهُ غَيْرَ

١- أحمد عبد العال محمد، الشيخ محمد أبو زهرة وفكره التربوي، مصر: كفر الشيخ: دار العلم والإيمان، ٢٠٠٩م، ص٢٢٩،٢٣٠ .

٢- الماوردي (علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، مصر: القاهرة: الشركة العربية للنشر، ١٩٧٥م، ص٧ .

٣- ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٢٩ .

مُصَدِّقٍ لَهُ لَكِنْ لِيُكَذِّبَهُ فَلَيْسَ سَائِلاً لَهُ، وَلاَ آتِيًا إلَيْهِ، وَمَنْ تَابَ فَقَدْ اسْتَثْنَى اللَّهُ بِالتَّوْبَةِ سُقُوطَ جَمِيعِ الذُّنُوبِ إذَا صَحَّتْ التَّوْبَةُ وَكَانَتْ عَلَى وَجْهِهَا "[٤١١].

فيتضح من النص السابق حرص ابن حزم على الحفاظ على العقل من التكهنات التي يأتي بها العرَّافون والكهنة، لأن كل آرائهم فاسدة وإن وافقت – في بعض الأحيان - الحقيقة، وينهى عن تجريب الآراء الفاسدة بقوله : " لا تضر بنفسك في أن تجرب بها الآراء الفاسدة، لتُري المشير بها فسادها فتهلك، فإن ملامة ذي الفاسد لك على مخالفته وأنت ناجٍ من المكاره، خير لك من أن يعذرك ويندم كلاكما، وأنت قد حصلت في المكاره "[٤١٢].

فالعقل دائم التطلع إلى المعرفة، وعليه فإن مسؤولية كبيرة تقع على المعلمين والمربين حول توجيه هذا التطلع لدى المتعلمين من خلال محاولة تنمية فكرهم ومداركهم وتشجيعهم وتحفيزهم على طلب العلم والمعرفة، والإيمان بقيمة البحث، والاطِّلاع بشكل مستمر .

٣- التبصر والتدبر :

قد جُعل التفكر في الكون عبادة، والتقصير في التفكر معصية، وذلك بأن فيه تعطيل للعقل عن القيام بدوره ووظيفته وتحدث الغزالي في بيان معنى الفكر، ومقدماته من سماع وتيقظ، وذكر لواحق العلم، لأن من سمع تيقظ، ومن تيقظ تذكر، ومن تذكر تفكر، ومن تفكر علم، ومن علم عمل، إن كان علماً يراد للعمل، وإن كان علماً يراد لذاته سعد، والسعادة غاية المطلب، أما السماع فحقيقته الانتفاع بالمسموع من حكمة أو موعظة، وشرطه الإصغاء، وهو واجب في استماع كل علم، وهو فرض عين مدركه السمع، ومستحب فيما سواه في العلوم المحمودة، ويحرم فيما حرم الشارع من المحرمات، ويكره فيما يكره استماعه، وأما اليقظة فهي انتباه القلب للخير، وأما التذكر فهو تكرار المعارف على القلب لتثبت وترسخ، وأما التفكر فهو أن يجمع بين علمين مناسبين للعلم الذي أنت طالبه بشرط عدم الشك فيهما، وفراغ القلب من غيرهما ويحدق النظر فيهما تحديقاً بالغاً فلم يشعر إلا وقد انتقل القلب من الميل الخسيس إلى الميل النفيس إحضاراً لمعرفتين يسمى تذكراً وحصول المعرفة الثالثة يسمى تفكراً وهو واجب عند الشك وعند ردود الشبهة وعند علاج أمراض القلوب[٤١٣].

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٠٩، ص٥٠-٥١ .

٢– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٢٣-٢٤ .

١– الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت٥٠٥هـ)، روضة الطالبين وعمدة السالكين، تحقيق: محمد الحسين، لبنان: بيروت: دار النهضة الحديثة، (د.ت)، ص١٥٠ .

" وقدرة التدبر اقترنت الإشارة إليها بالقدرة على الربط بين المقدمات والنتائج واكتشاف الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج "[٤١٤]، فالتفكر درجة أو نوع خاص من التفكير يتميز به أولو الألباب، أي أصحاب القلوب والعقول، فالتفكير عملية مرتبطة بالعقل، وهي بذلك تخص الإنسان .

وحثَّ ابن حزم على التدبر والتبصر، فيقول : " وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مَرَّةً فِي كُلِّ شَهْرٍ؛ فَإِنْ خَتَمَهُ فِي أَقَلَّ فَحَسَنٌ، وَيُكْرَهُ أَنْ يَخْتِمَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَإِنْ فَعَلَ فَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلاَ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ الْقُرْآنِ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ "[٤١٥]، فيظهر من خلال هذا النص عدم إجازته لقراءة أكثر من عشرة أجزاء من القرآن الكريم في اليوم، وذلك لأن سرعة القراءة لن تأتي بثمار التدبر والتبصر، وأن كثرة عدد مرات ختم القرآن إن لم تقترن بفهم وتبصر لمعاني وأحكام وتشريعات وأوامر ونواهي القرآن، ما هي إلا مضيعة للوقت والجهد .

ويقول أيضاً في التدبر والتبصر : " وَنَسْتَحِبُّ لِكُلِّ مُصَلٍّ إذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ النَّارِ "[٤١٦]، وفي هذا النص يتضح جلياً شأن التدبر والتبصر، فابن حزم يقول بوجوب تدبر وتبصر المصلي ما يقرأ من آيات، أو ما يقرأه الإمام، ويستحب الإمام أن يدعوَ المصلي بالرحمة إن مرَّ بآيات الرحمة، وأن يستعيذ من النار إن مرَّ بآيات عذاب، وهذا لن يكون دون تدبر وتبصر .

ومن المقولات التي تدلل على تبصر وتدبر ابن حزم قوله في الاقتراع للصف الأول في الصلاة : " لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْقُرْعَةُ إلاَّ فِيمَا لاَ يَسَعُ الْجَمِيعَ فَيَقَعُ فِيهِ التَّغَايُرُ وَالْمُضَايَقَةُ وَلَوْ كَانَ الصَّفُّ الأَوَّلُ لِلْمُبَادِرِ بِالْمَجِيءِ كَمَا يَقُولُ مَنْ لاَ يُحَصِّلُ كَلاَمَهُ لَمَا كَانَتْ الْقُرْعَةُ فِيهِ إلاَّ حَمَاقَةً؛ لِأَنَّهُ لاَ يُمْنَعُ أَحَدٌ مِنْ الْمُبَادَرَةِ بِالْمَجِيءِ حَتَّى يَحْتَاجَ فِيهِ إلَى قُرْعَةٍ "[٤١٧] .

وفي كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس يقول : " قد ينحس العاقل بتدبيره، ولا يجوز أن يسعد الأحمق بتدبيره "[٤١٨] .

٢– ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد والمجتمع، فيريجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٧٦ .

٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٢٦٤، ص٥٣ .

٤– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٥٠، ص١١٧ .

١– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤١٥، ص٥٦ .

٢– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٢٩ .

٤- اجتناب التقليد :

جاءت الآيات القرآنية صريحةً في ذم التقليد، لما في التقليد من تغييب للعقل، وإبعاد للفكر، وقد أكدت التربية الإسلامية على وجوب اجتناب التقليد غير الواعي، فيرى ابن حزم رحمه الله أن " المقلد راضٍ أن يغبن عقله ولعله مع ذلك يستعظم أن يغبن في ماله فيخطئ في الوجهين معاً "(٤١٩).

فالأخذ عن الرجال أمر حسن، لكن أن ننصبهم مرجعاً نأخذ أقوالهم كنصوص القرآن والسنة، فهذا لا يجوز، فلماذا يعطل الإنسان عقله؟!، وأمامه أبواب الاجتهاد مفتوحة، وطرق التحصيل والتحقيق والتضعيف موجودة، فليكن تحصيل الإنسان من هذا النهج، يأخذ الحكم بدليله ولا يقلد تقليداً أعمى .

يقول ابن حزم مستعيذاً من التقليد : " هَذِهِ طَامَّةٌ مِنْ طَوَامِّ الْعَالَمِ أَنْ يَكُونَ مِثْلُهُ شَيْءٍ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أُفٍّ لِكُلِّ عَقْلٍ يَتَعَقَّبُ حُكْمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَلْزَمُهُ أَنْ تَكُونَ الْحِجَامَةُ، وَفَتْحُ الْعِرْقِ مِثْلَهُ فَيُمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ الْقِصَاصُ مِنْ قَطْعِ الأَنْفِ، وَقَلْعِ الأَسْنَانِ، وَجَدْعِ الأُذُنَيْنِ مُثْلَةٌ،وَأَنْ يَكُونَ قَطْعُ السَّارِقِ وَالْمُحَارِبِ مُثْلَةً، وَالرَّجْمُ لِلزَّانِي الْمُحْصَنِ مُثْلَةً، وَالصَّلْبُ لِلْمُحَارِبِ مُثْلَةً، إنَّمَا الْمُثْلَةُ فِعْلُ مَنْ بَلَّغَ نَفْسَهُ مَبْلَغَ انْتِقَادِ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَذَا هُوَ الَّذِي مَثَّلَ بِنَفْسِهِ، وَالإِشْعَارُ كَانَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّهْيُ، عَنِ الْمُثْلَةِ كَانَ قَبْلَ قِيَامِ ذَلِكَ بِأَعْوَامٍ، فَصَحَّ أَنَّهُ لَيْسَ مُثْلَةً وَهَذِهِ قَوْلَةٌ : لاَ يُعْلَمُ لاِبِي حَنِيفَةَ فِيهَا مُتَقَدِّمٌ مِنْ السَّلَفِ، وَلاَ مُوَافِقٌ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ عَصْرِهِ إلاَّ مَنْ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِتَقْلِيدِهِ وَنَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ الْبَلاَءِ "(٤٢٠) .

٥- النظرة الكلية :

فالشمول من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب، بكل ما تتضمنه كلمة الشمول من معانٍ وأبعاد .

وهذه هي ميزة المنهج الإسلامي في تربيته الشاملة، وينظر ابن حزم إلى النصوص الدينية على أنها وحدة واحدة، بعضها يكمل بعض، فيقول : " لأَنَّ الأَخْبَارَ وَاجِبٌ أَنْ يُضَمَّ بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، وَحَرَامٌ أَنْ يُضْرَبَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ؛ لأَنَّ كُلَّ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم فَهُوَ كُلُّهُ حَقٌّ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلاَ يُخَالِفُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَالْوَاجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ كَلاَمُهُ ÷ كُلُّهُ بِظَاهِرِهِ كَمَا هُوَ، كَمَا قَالَهُ ÷، لاَ يُزَادُ فِيهِ شَيْءٌ، وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُ شَيْءٌ...،قَالَ عَلِيٌّ : وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّهُ عِنْدَنَا صَحِيحٌ، وَبِهِ كُلُّهُ نَأْخُذُ، لأَنَّ تَأْلِيفَ كَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَضَمَّ بَعْضِهِ إلَى بَعْضٍ وَالأَخْذَ بِجَمِيعِهِ : فَرْضٌ لاَ يَحِلُّ سِوَاهُ "(٤٢١) .

٣– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع السابق، ص٧٩ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١١١-١١٢ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٣٦٠، ص٢٤٠ .

ومن هذا النص يتضح أن ابن حزم يوجب ضم أخبار النبي ق بعضها إلى بعض، والأخذ بها في مجملها .

وفي مواضع عديدة يكرر ابن حزم وجوب النظرة الكلية إلى أخبار النبي ق فيقول : " مِنْ الْبَاطِلِ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ فِعْلِهِ ÷ فَرْضًا وَبَعْضُهُ غَيْرَ فَرْضٍ "[٤٢٢]، ويقول : " لاَ يَحِلُّ الِاقْتِصَارُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الآثَارِ دُونَ بَعْضٍ؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا سُنَنٌ، وَلاَ يَحِلُّ النَّهْيُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ السُّنَنِ "[٤٢٣]، ويقول : " وَلَسْنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِمَّنْ يَضْرِبُ كَلاَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَيُؤْمِنُ بِبَعْضِهِ، وَيَكْفُرُ بِبَعْضِهِ، وَلاَ مِمَّنْ يُعَارِضُ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَظَرِهِ الْفَاسِدِ، بَلْ نَأْخُذُ جَمِيعَ السُّنَنِ كَمَا وَرَدَتْ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِجَمِيعِهَا كَمَا أَتَتْ "[٤٢٤] .

ويقول أيضاً : " فَوَجَبَ اسْتِعْمَالُ النُّصُوصِ كُلِّهَا كَمَا جَاءَتْ، وَأَنْ لاَ يُتْرَكَ شَيْءٌ مِنْهَا لِشَيْءٍ آخَرَ وَلَيْسَ بَعْضُهَا أَوْلَى بِالطَّاعَةِ مِنْ بَعْضٍ، وَكُلُّهَا حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلاَ يَجُوزُ النَّسْخُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ "[٤٢٥] .

مما سبق يتضح أنَّ المنهج التربوي الإسلامي منهجٌ يتميز بالشمول والتكامل من خلال النظرة الكلية إلى جميع النصوص التي تمثل ديننا الحنيف من آيات قرآنية وسنن نبوية، ولا يُنظر إلى بعضها دون البعض الآخر، بل ينظر إليها ككيان واحد، هذا الكيان هو الذي يمثل الشرعَ المنزَّلَ من قِبل المشرع الواحد .

إذن فالإسلام يربي العقل كما يربي كل طاقة من طاقات الإنسان، يربيه بأن يدربه كما درَّب الروح على الاتصال الدائم بالله عز وجل، والقرب من الله عز وجل كما ربط الروح من قبل، وكما اهتدت الروح يحرص الإسلام على هداية العقل إلى حقيقة التوحيد لله عز وجل، وإخلاص العبادة له، والعقل البشري له طريقته للوصول إلى هذه الحقيقة، وطريقته هي : المشاهدة، الملاحظة، التجربة، القياس الاستنباط، هذه هي وسائل العقل، ويُهدى العقل إلى حقيقة التوحيد من خلال قضايا عقلية يعطيها القرآن للعقل البشري ليهتدي إلى حقيقة الوحدانية[٤٢٦] .

فينبغي على المربين تربية المتعلمين تربيةً عقليةً تعمل على علو تفكيرهم واتساع مداركهم وزيادة قدراتهم على ممارسة أساليب الحوار والمناقشة وتنمية معارفهم ومعلوماتهم ومهاراتهم بما يسهم في تربيتهم على طلب العلم وحب المعرفة .

٢– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٢٧، ص٥٨ .
٣– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥٥٥، ص١٠١ .
٤– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٧٢٨، ص١٦٢ .
٥– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٦٦، ص١٢٤.
١– أسامة عبد الرحمن جودة، مرجع سابق، ص٧٠ .

التربية الإيمانية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى :

جاءت العقيدة الإسلامية بمجموعة من المبادئ والقواعد والتوجيهات والتشريعات، التي تلبي حاجات الإنسان المادية والروحية، وتتناسب مع فطرته السوية، وتحقق مصلحة الفرد والمجتمع في آنٍ واحد، هذه القواعد والتوجيهات هي أعظم وأوسع نظام عرفته البشرية، لأنها توجه أعمال الفرد الظاهرة والباطنة في جميع الأمور، وتوازن بين المادة والروح، وبين العادات والمعاملات، دون أن يطغى جانب على الآخر، فهي الركيزة الكبرى لتربية النفس والمجتمع .

والعلاقة بين العقيدة والتربية علاقة تكاملية وثيقة، فالعقيدة هي مركز التربية، ومنها تستمد التربية قيمها وتوجهاتها، كما تعمل التربية على ترسيخ البناء العقدي الإيماني لتصحيح مسار الإنسان، لأن سلامة هذا البناء هي سلامة للجوانب الأخرى، فهو الأساس الذي تقوم عليه الشخصية الإسلامية الإيمانية الإيجابية .

والتربية الإيمانية من أهم جوانب التربية لأنها تربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى عن طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعن طريق العبادات التي تقرب العبد من الله سبحانه وتعالى، " فالتربية الإيمانية تقوم بتقوية صلة الإنسان بالله سبحانه بحيث يكون الإحساس بوجود الله قد ملأ على هذه الروح جميع أقطارها، مع الشعور بمراقبة الله سبحانه وحبه والإقبال عليه بالتعبد له وفق ما شرَّع، وذلك يولِّد اطمئناناً في الروح ورضا بقضاء الله وقدره والتسليم له سبحانه في كل شيء "[٤٢٧] .

فالإيمان بالله من أعظم أسباب السعادة القلبية، والراحة النفسية، بل إن السعادة تزداد وتضعف حسب هذا الإيمان، فكلما كان الإيمان قوياً كانت السعادة أعظم، وكلما ضعف الإيمان ازداد القلق والاكتئاب، مما يؤدي إلى مرارة العيش، والتعاسة في الحياة.

التربية الإيمانية وأهميتها :

مفهوم التربية الإيمانية :

قبل الدخول في الموضوع لابد من تحديد مفهوم التربية الإيمانية، حيث عرَّفها عددٌ من الباحثين بتعريفات متعددة، منها :

التربية الإيمانية : هي " تنمية الجانب الإيماني (العقدي) عند البالغ بكل الوسائل والأساليب التربوية "[٤٢٨].

١- علي محمود، مرجع سابق، ص١٩٩ .

١- عبد الرحمن الغامدي، دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، السعودية: الرياض: دار الخريجي، ١٤١٨هـ، ص١٥٥ .

التربية الإيمانية : هي " العمل على زيادة الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر، وتعميق معاني الإيمان، والارتقاء بالقلوب حتى تجد حلاوة الإيمان، وتحب طاعة الرحمن، وتنأى عن الفسوق والعصيان "(٤٢٩).

التربية الإيمانية : يقصد بها " العمل على زيادة الإيمان عند الفرد المسلم، لتقوية الصلة بينه وبين خالقه جل وعلا ليكون ذلك مانعاً له من ارتكاب المحرمات، ومعيناً له على فعل الطاعات القربات "(٤٣٠).

أهمية التربية الإيمانية :

تتمثل أهمية التربية الإيمانية فيما يلي :

١- تقوم بربط الإنسان المسلم بربه سبحانه وتعالى، من خلال إيمانه به سبحانه وتعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فكلما ازداد علم الإنسان بأركان الإيمان يزداد حبه لله عز وجل، ويتوكل عليه، ويبلغ عنه، ويؤمن به، ويخشى منه،

٢- التربية الإيمانية من أهم جوانب التربية، لأنها الأساس الذي ترتكز عليه الجوانب الأخرى من التربية الإسلامية، مثل التربية الأخلاقية، والتربية الاجتماعية، والتربية العقلية وغيرها، فإذا صلح هذا الجانب صلحت الجوانب الأخرى، وليس أدل على ذلك مما قاله النبي ق: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب "(٤٣١).

٣- تهتم التربية الإيمانية بإعداد الأفراد وتنشئتهم على سلامة الاعتقاد، وإخلاص النية لله تعالى، فهي لا تقل أهمية عن باقي جوانب التربية، فالتربية الإيمانية تعمل على تثبيت العقيدة في النفوس بحيث لا تتأثر بما يحيط بها من تحديات(٤٣٢).

٤- تقوية الوازع الديني لدى الإنسان المسلم مما يولد لديه مخافة الله عز وجل ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة من شؤون حياته، وكنتيجة لذلك يقوم المسلم بأداء العبادات على الوجه الصحيح الذي يرضي الله سبحانه وتعالى، قال النبي ق في بيان درجة الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "(٤٣٣).

٥- إذا ثبتت التربية الإيمانية في قلب المسلم ارتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، وكان إيمانه راسخاً لا يتأثر بالتيارات الفاسدة التي تحاول زعزعة عقيدة الإنسان المسلم، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم .

٢- أحمد فريد، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، السعودية: الرياض: دار طيبة، ١٤٢٥هـ،ص١٤١ .
٣- فيصل بن راجح بن رجاء العصلاني، مرجع سابق، ص٩٦ .
١- أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج١، صـ٢٠، رقم الحديث٥٢
٢- أحمد عبد العال محمد، مرجع سابق، ص٢١٥ .
٣- أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ج١، صـ١٩، رقم الحديث٥٠ .

جوانب التربية الإيمانية :

النفس الإنسانية تحتاج إلى التربية المستمرة، والتذكرة والوعظ حتى لا يعتريها الصدأ، ولتأمن من رياح الشرك، حيث تبدأ التربية الإسلامية بنزع الشرك الظاهر والخفي من النفوس، فتتخلى بذلك عن الظلم والرياء، والفسوق والعصيان، ثم تستعد النفس بملء القلب بدين التوحيد الخالص " لا إله إلا الله "، والعمل بمقتضياتها، حيث يندرج تحتها كل شيء، فإذا آمن الإنسان بأن لا إله إلا الله، فإنه لن يتقاعس عن تأدية حقوق الله عز وجل عليه من عبادات، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ...إلخ .

والتربية الإيمانية هي الشق الأول والأهم في هذه التربية المستمرة، لأنها تعمل على استقرار العقيدة في قلب الإنسان، مُكوِّنةً قاعدة صلبة تعد لتكون الركائز والدعائم الأساسية في حياة الإنسان .

ولقد مرَّ المقصود بالتربية الإيمانية وأهميتها، وفيما يلي يركز الكاتب على جناحي التربية الإيمانية، وهما :

الجانب العقائدي .

ب- الجانب التعبدي السلوكي .

نماذج من آراء ابن حزم في التربية الإيمانية

الجانب العقائدي .

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي أول ما يجب أن يتربى عليه المسلم، وهي العقيدة السالفة التي مضى عليها سلف الأمة ي ، فقد جعل الله عز وجل عقيدة الصحابة ي هي المقياس للعقيدة الصحيحة.

بيَّن النبي أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، فعن معاذ بن جبل ا قال : كنت رديف النبي ق ، فقال لي : " يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟، فقال : قلت الله ورسوله أعلم، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال : قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟، قال : لا تبشرهم فيتكلوا "

وابن حزم قد ركّز على تأصيل العقيدة في نفوس النشء، لأنها تمثل الطاقة التي تبني أفكار المرء، وتسير سلوكه، وتدفعه إلى العمل بموجبها .

وقد قسَّم الكاتب آراء ابن حزم الخاصة بـهذا الجانب إلى :

١- نـهي النفس عن الهوى :

حثَّ ابن حزم الإنسان على نـهي النفس عن الهوى في معرض استشهاده ويقول في كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) " جامع لكل فضيلة، لأن نـهي النفس عن الهوى هو ردعها عن الطبع الغضبي وعن الطبع الشهواني، لأن كليهما واقع تحت موجب الهوى فلم يبقَ إلا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها الذي به بانت عن البهائم والحشرات والسباع " [٤٣٤] .

فمن القواعد التي أكد على أهميتها ابن حزم نـهي النفس عن الهوى، ويعود سببه إلى عطب يصيب القلب بطمع أو حسد أو انتصار للنفس، يحجب عنه الرؤية أو يشوهها، فيتولد عن الهوى مرض أخطر وهو الإعراض عن الحق، فكان الإمام علي بن أبي طالب ا يقول : " إن أخوف ما أخاف عليكم اثنين : طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق "[٤٣٥] .

وفي كتابه المحلّى الذي عنه الدراسة يقول مستعيذاً من الهوى : " نَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ الْهَوَى وَمَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنْ الْمُكَابَرَةِ لِلْحَقِّ بِالظَّنِّ الْكَاذِبِ "[٤٣٦]، وفي معرض آخر يقول: " وَأَمَّا تَوْلِيدُ الْكَذِبِ وَالدَّعَاوَى بِالْمُكَابَرَةِ، فَمَا يَعْجِزُ عَنْهَا مَنْ لاَ دِينَ لَهُ، وَمَا رُئِيَ قَطُّ حَلاَلٌ وَحَلاَلٌ يَجْتَمِعَانِ فَيَحْرُمَانِ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَ بِذَلِكَ نَصٌّ "[٤٣٧]، ويتضح جلياً رأي ابن حزم في الهوى واتباعه، فالهوى يدفع ويحمل على المكابرة وتوليد الكذب، فهو ذنب يجر ذنوباً .

وكان قول السلف : " احذروا من الناس صنفين؛ صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه، أو يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما أفتنةٌ لكل مفتون"[٤٣٨] .

ويقول ابن قيّم الجوزية : " ونـهى النفس عن الهوى أن يكون القهر والغلبة لداعي الدين فيرد جيش الهوى مغلولاً، وهذا يصل إليه بدوام الصبر "[٤٣٩] .

١ـ ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص١٩ .
٢ـ عبد الحميد البلالي، البيان في مداخل الشيطان، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م، ص٥٠ .
٣ـ ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٢٥، ص٨٧ .
١ـ المرجع سابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٧٥٣، ص٢١٣-٢١٤ .
٢ـ عبد الحميد البلالي، مرجع سابق، ص٥٠ .
٣ـ ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت٧٥١هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط٢، لبنان: بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٥م، ص٢٧ .

ويقول ابن حزم ذاماً أهل اتباع الهوى ويشبههم بقوم غرقى : " وَالْقَوْمُ غَرْقَى فِي بِحَارِ هَوَاهُمْ وَبِكُلِّ مَا يُرْدِي الْغَرِيقَ تَعَلَّقُوا "(٤٤٠) .

٢- حب الله والخوف منه :

يُعدُّ حب الله والخوف منه من القواعد الدالة على الالتزام بأوامره، وتكمن علاقة حب الله بالخوف منه في الامتثال لأوامره عز وجل، يقول ابن حزم : " فَصَحَّ أَنَّهُ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَلْتَزِمَ غَيْرَ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَنْ نَذَرَ مَا يَبْطُلُ بِهِ فَرْضَ اللَّهِ تَعَالَى فَنَذْرُهُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ تَعَدٍّ لِحُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "(٤٤١)، فليس بصادق هذا الذي يدَّعي محبة الله ولم يحفظ حدوده، فمحبة الله تقتضي صدق المجاهدة في تنفيذ أوامر الله، والبعد عن نواهيه .

فحب الله يدفع الإنسان إلى طاعة الله راجياً ثوابه، والخوف الحقيقي من الله هو الذي يحول بين المرء وبين انتهاك حرمات الله .

ومن علامات حب الله والخوف منه أن يُحكِّم الإنسان شرع الله في حياته، ويرد ما يتنازع فيه إلى كلام الله وكلام رسوله ق ، " فَالْمَرْجُوعُ إلَيْهِ عِنْدَ التَّنَازُعِ هُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ "(٤٤٢)، ويقول ابن حزم : " وَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّدِّ عِنْدَ التَّنَازُعِ إلاَّ إلَى كَلاَمِهِ، وَكَلاَمِ رَسُولِهِ عليه الصلاة والسلام لاَ إلَى كَلاَمِ صَاحِبٍ، وَلاَ غَيْرِهِ، فَمَنْ رَدَّ عِنْدَ التَّنَازُعِ إلَى غَيْرِ كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلاَمِ رَسُولِهِ ﷺ فَقَدْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، (٤٤٣)، وألا يحرم ما أحل الله، حيث يقول : " فَمَنْ حَرَّمَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ مَا فَصَّلَ تَحْرِيمَهُ فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ، وَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى، وَشَرَعَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا عَظِيمٌ جِدًّا "(٤٤٤) .

ويقول : " فَمَنْ حَرَّمَ مَا لَمْ يَأْتِ النَّصُّ بِتَحْرِيمِهِ، أَوْ جَعَلَ جَزَاءً فِيمَا لَمْ يَأْتِ النَّصُّ بِالْجَزَاءِ فِيهِ، فَقَدْ شَرَّعَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ "(٤٤٥) .

فينفي ابن حزم أن يكون تحليل الحرام أو تحريم الحلال حباً لله أو خوفاً منه، فيقول : " وَالْمَعْصِيَةُ الْمُحَرَّمَةُ الْمُبْعِدَةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لاَ تَنُوبُ، عَنِ الطَّاعَةِ الْمُفْتَرَضَةِ الْمُقَرِّبَةِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ "(٤٤٦)، ويقول أيضاً وَمِنْ الْبَاطِلِ أَنْ تَنُوبَ مَعْصِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ

٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١١٧ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٧٤٣، ص٢٠٠ .
٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٥، ص١٢٨ .
١– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٦٤، ص٣٣٦ .
٢– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٨٦٢، ص٥٣٥ .
٣– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٩٠، ص٢٣٩ .
٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤١٧، ص٦٣ .

طَاعَتِهِ، وَأَنْ يُجْزِيَ الظُّلْمُ عَنِ الْعَدْلِ، وَأَنْ يَقُومَ الْبَاطِلُ مَقَامَ الْحَقِّ، وَأَنْ يُغْنِيَ الْعُدْوَانُ عَنِ الإِنْصَافِ "(٤٤٧)، ويقول : " وَمِنْ الْبَاطِلِ أَنْ تُجْزِئَ الْمَعَاصِي عَنِ الطَّاعَاتِ ،وَأَنْ تَنُوبَ الْمَحَارِمُ عَنِ الْفَرَائِضِ "(٤٤٨) .

ومما سبق يتضح كذب من قال بحب الله ولا يمتثل لأوامره، فيذهب ليُشَرِّعَ في الدين ما يفرضه عليه هواه، يقول ابن حزم : " وَكُلُّ رَأْيٍ زَادَنَا شَيْئًا فِي الدِّينِ لَمْ يَأْتِ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فَنَحْنُ نَرْغَبُ عَنْ ذَلِكَ الرَّأْيِ وَنَقْذِفُهُ فِي الْحَشِّ؛ لأَنَّهُ شَرْعٌ فِي الدِّينِ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "(٤٤٩)، ويقول : " وَلَوْ حَقَّقَ كُلُّ ذِي قَوْلٍ قَوْلَهُ، وَحَاسَبَ نَفْسَهُ بِأَنْ لاَ يَقُولَ فِي الدِّينِ إلاَّ مَا جَاءَ بِهِ قُرْآنٌ أَوْ سُنَّةً، لَقَلَّ الْخَطَأُ، وَلَكَانَ أَسْلَمَ لِكُلِّ قَائِلٍ"(٤٥٠) .

وفي غير موضع يوضح ابن حزم امتثاله لله جل وعلا بقوله : " وَأَمَّا نَحْنُ فَلاَ حُجَّةَ عِنْدَنَا إلاَّ فِي كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ كَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ إجْمَاعٍ مُتَيَقَّنٍ لاَ مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ "(٤٥١)، وقوله : " وَلاَ حُجَّةَ فِي أَحَدٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ "(٤٥٢) .

٣- الإخلاص في العمل :

إن الإخلاص في العمل قاعدة أكد عليها الله سبحانه وتعالى، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" من فارق الدنيا على الإخلاص وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راضٍ "(٤٥٣).

وبيَّن الغزالي حقيقة الإخلاص حيث أشار إلى " أن الإخلاص يضاده الإشراك، وأن من ليس مخلصاً فهو مشرك، إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص لابد في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية، والشرك منه خفي وجلي، وكذلك الإخلاص، والإخلاص وضده يتواريان على القلب، فمحله القلب، وإنما يكون ذلك في القصور والنبات "(٤٥٤) .

ومن تمام الإخلاص في العمل إتيان الأمور على وجهها، ففي الصلاة يقول ابن حزم: "وَالرُّكُوعُ فِي الصَّلاَةِ فَرْضٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ فِي الرُّكُوعِ حَتَّى تَعْتَدِلَ جَمِيعُ أَعْضَائِهِ وَيَضَعَ فِيهِ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَرْضٌ، لاَ صَلاَةَ لِمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَامِدًا، وَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ نَاسِيًا أَلْغَاهُ وَأَتَمَّ صَلاَتَهُ كَمَا أُمِرَ، ثُمَّ سَجَدَ لِلسَّهْوِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الطُّمَأْنِينَةِ وَالاِعْتِدَالِ ل

٥– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٥٧، ص١١٢ .
٦– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٠٠، ص٤٦ .
٧– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة١٩٤٤، ص١٤٦ .
١– المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١١٩٩، ص٨١ .
٢– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠٥٢، ص٤٤٩ .
٣– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٥، ص١٤٤ .
٤– أخرجه ابن ماجة، في سننه، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة، باب في الإيمان، ج١، صـ٢٧، رقم الحديث٧٠.
٥– الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٤، ص ٣٣٩ .

ِعُذْرٍ بِصُلْبِهِ أَجْزَأَهُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَسَقَطَ عَنْهُ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَالتَّكْبِيرُ لِلرُّكُوعِ فَرْضٌ، وَقَوْلُهُ " سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ " فِي الرُّكُوعِ فَرْضٌ وَالْقِيَامُ إثْرَ الرُّكُوعِ فَرْضٌ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْتَدِلَ قَائِمًا وَقَوْلُ " سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ " عِنْدَ الْقِيَامِ مِنْ الرُّكُوعِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُصَلٍّ، مِنْ إمَامٍ أَوْ مُنْفَرِدٍ أَوْ مَأْمُومٍ لاَ تُجْزِئُ الصَّلاَةُ إلاَّ بِهِ، فَإِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَفَرْضٌ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ ذَلِكَ " رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ " أَوْ " وَلَكَ الْحَمْدُ " وَلَيْسَ هَذَا فَرْضًا عَلَى إمَامٍ، وَلاَ فَذٍّ، وَإِنْ قَالاَهُ كَانَ حَسَنًا وَسُنَّةً وَقَوْلُ الْمَأْمُومِ " آمِينَ " إذَا قَالَ الإِمَامُ : وَلاَ الضَّالِّينَ فَرْضٌ، وَإِنْ قَالَهُ الإِمَامُ فَهُوَ حَسَنٌ وَسُنَّةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَرْكَعَ، وَلاَ أَنْ يَرْفَعَ، وَلاَ أَنْ يَسْجُدَ مَعَ إمَامِهِ، وَلاَ قَبْلَهُ، لَكِنْ بَعْدَهُ، وَلاَ بُدَّ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رُكُوعِهِ أَوْ سُجُودِهِ بَطَلَتْ صَلاَتُهُ إنْ تَعَمَّدَ ذَلِكَ، فَإِنْ نَسِيَ أَلْغَى تِلْكَ الْمُدَّةَ مِنْ سُجُودِهِ ثُمَّ سَجَدَ لِلسَّهْوِ، وَسَجْدَتَانِ إثْرَ الْقِيَامِ الْمَذْكُورِ فَرْضٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ فِيهِمَا فَرْضٌ، وَالتَّكْبِيرُ لِكُلِّ سَجْدَةٍ مِنْهُمَا فَرْضٌ وَقَوْلُ " سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى " فِي كُلِّ سَجْدَةٍ فَرْضٌ، وَوَضْعُ الْجَبْهَةِ وَالأَنْفِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَصُدُورِ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِ مِمَّا أُبِيحَ لَهُ التَّصَرُّفُ عَلَيْهِ فَرْضٌ، كُلُّ ذَلِكَ وَالْجُلُوسُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فَرْضٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ فِيهِ فَرْضٌ، وَالتَّكْبِيرُ لَهُ فَرْضٌ لاَ تُجْزِئُ صَلاَةٌ لاِحَدٍ بِأَنْ يَدَعَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ عَامِدًا شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَاسِيًا أَلْغَى ذَلِكَ وَأَتَى بِهِ كَمَا أُمِرَ، ثُمَّ سَجَدَ لِلسَّهْوِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ لِجَهْلٍ أَوْ عُذْرٍ مَانِعٍ سَقَطَ عَنْهُ وَتَمَّتْ صَلاَتُهُ، وَلاَ يُجْزِئُ السُّجُودُ عَلَى الْجَبْهَةِ وَالأَنْفِ إلاَّ مَكْشُوفَيْنِ، وَيُجْزِئُ فِي سَائِرِ الأَعْضَاءِ مُغَطَّاةٍ، وَيَفْعَلُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلاَتِهِ مَا ذَكَرْنَا

وفي هذا النص يفصِّل ابن حزم كيفية الصلاة على وجهها تفصيلاً دقيقاً، يساعد على إقامة الإخلاص في الصلاة، فإن في الصلاة دقائق وتفاصيل لو أعمل الإنسان عقله فيها لسد على نفسه مداخل الشيطان، ولم يقع في الرياء، وجاء عن النبي: أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قال : يا رسول الله، ما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء.

والإخلاص هو القاعدة الأولى التي تبنى عليها العبادة، وتجعلها موجهة إلى الله، فالعبادة أيّاً كانت فعلية أم قولية لا تسمى عبادة ولا تكون نافعة إلا إذا صدرت من مؤمن، وتوفر فيها الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ق ، وهذه العبادة لابد أن تكون في مكانها وزمانها بالطريقة والكيفية التي أمر الله بها، يقول ابن حزم : " وَلاَ يُجْزِئُ عَمَلُ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَلاَ فِي غَيْرِ زَمَانِهِ، وَلاَ بِخِلاَفِ مَا أُمِرَ بِهِ؛ لأَنَّ هَذَا كُلَّهُ هُوَ غَيْرُ الْعَمَلِ الْمَأْمُورِ بِهِ عَلَى هَذِهِ الأَحْوَالِ "[٤٥٥] .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٣٤١، ص١٩٩-٢٠٠ .

والإخلاص مصدره نية القلب، والنية هي معيار الأعمال ومقياسها العادل، الذي يتميز بها طيبها من خبيثها، وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ونافعها من ضارها، فالطاعات تتفاوت ويتفاوت أجرها بتفاوت النية فيها، ففي الزكاة يقول ابن حزم : " وَلاَ يُجْزِئُ أَدَاءُ الزَّكَاةِ إذَا أَخْرَجَهَا الْمُسْلِمُ، عَنْ نَفْسِهِ أَوْ وَكِيلُهُ بِأَمْرِهِ إلاَّ بِنِيَّةٍ أَنَّهَا الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَخَذَهَا الإِمَامُ أَوْ سَاعِيهِ، أَوْ أَمِيرُهُ ، أَوْ سَاعِيهِ فَبِنِيَّةٍ وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً أَخْرَجَ زَكَاةَ مَالٍ لَهُ غَائِبٍ فَقَالَ : هَذِهِ زَكَاةُ مَالِي إنْ كَانَ سَالِمًا، وَإِلاَّ فَهِيَ صَدَقَةُ تَطَوُّعٍ لَمْ يُجْزِهِ ذَلِكَ عَنْ زَكَاةِ مَالِهِ إنْ كَانَ سَالِمًا، وَلَمْ يَكُنْ تَطَوُّعًا لأَنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ النِّيَّةَ لِلزَّكَاةِ مَحْضَةٍ كَمَا أُمِرَ، وَإِنَّمَا يُجْزِئُهُ إنْ أَخْرَجَهَا عَلَى أَنَّهَا زَكَاةُ مَالِهِ فَقَطْ، فَإِنْ كَانَ الْمَالُ سَالِمًا أَجْزَأَهُ، لأَنَّهُ أَدَّاهَا كَمَا أُمِرَ مُخْلِصًا لَهَا "(٤٥٦) .

يقول ابن قيّم الجوزية معرِّفاً الإخلاص بقوله : " هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك، والصدق :التنقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا يتم الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر، وقيل الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره، وقيل الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله "(٤٥٧).

٤- حب الإنسان لغيره ما يحبه لنفسه :

قال النبي ق: " والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "(٤٥٨). يقول الغزالي : " وحقوق المسلم جملة هي : أن تُسَلِّمَ عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك"(٤٥٩).

ويبين ابن حزم حال الناس في زمانه، فيقول : " رأيت أكثر الناس إلا مَن عصم الله تعالى وقليل ما هم يتعجلون الشقاء والهم والتعب لأنفسهم في الدنيا، ويحتقبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلاً من نيات خبيثة يضبّون عليها من تمني الغلاء المهلك للناس وللصغار، ومن لا ذنب له، وتمني أشد البلاء لمن يكرهونه، وقد علموا يقيناً أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل لهم شيئاً مما يتمنونه، أو يوجب كونه، وأنهم لو صَفُّوا نياتهم وحَسَّنُوها، لتعجلوا الراحة لأنفسهم وتفرغوا بذلك

١ـ المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٦٨٨، ص٩١ .
٢ـ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، مرجع سابق، ج١، ص٥٠٣،٥٠٤
٣ـ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج١، صـ١٢، رقم الحديث١٣ .
٤ـ الغزالي ، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٢، ص١٩١ .

لمصالح أمورهم ولاقتنوا بذلك عظيم الأجر في الميعاد، من غير أن يؤخر ذلك شيئاً مما يريدونه، أو يمنع كونه، فأي غبن أعظم من هذه الحال التي نبهنا عليها، وأي سعد أعظم من التي دعونا إليها

يؤكد ابن حزم في النص السابق ضرورة البعد عن تمني المهالك للآخرين معللاً بأن ذلك لن يأتي لهم بما يرجونه، وقد دعا إلى تصفية النيات وتحسينها، وفي كتابه المحلى يقول : " كُلُّ مَا كَانَ ضَرَرًا فِي جِسْمٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ تُوُعِّدَ بِهِ الْمَرْءُ فِي ابْنِهِ،أَوْ أَبِيهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَهُوَ كَرْهٌ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَلِمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ، حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، هُوَ ابْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ "وهنا يحذر ابن حزم من إلحاق الضرر للغير سواءً أكان هذا الغير ابناً أو أخاً أو أباً أو أحداً من أهله أو أخاً من المسلمين.

ويقول ابن حزم : " لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَدْفَعَ ظُلْمًا، عَنْ نَفْسِهِ بِظُلْمٍ يُوصِلُهُ إلَى غَيْرِهِ"[٤٦٠]، فتحقيق هذا الكمال الإيماني في النفس يتطلب منها سمواً في التعامل، ورفعة في الأخلاق مع الغير، انطلاقاً من رغبتها أن تُعامل بالمثل، وهذا يحتم على صاحبها أن يقدم لغيره ما يرجوه لنفسه، ولا يألو جهداً في تقديم صنائع المعروف للآخرين ببشاشة وجه وسعة قلب وسلامة صدر .

ليس هذا فقط بل يجب على الإنسان أن يبغض لأخيه المسلم ما يبغضه لنفسه، وهذا يقوده إلى ترك جملة من الصفات الذميمة، كالحسد والحقد والبغض للآخرين والأنانية والجشع وغيرها من الصفات الذميمة التي يكره أن يعامله الناس بها .

هذا من شأنه أن يُنَشِئ في الأمة مجتمعاً فاضلاً، ينعم أفراده بأواصر المحبة، وترتبط لبناته حتى تغدو قويةً متماسكةً كالجسد الواحد .

٥- الصدق مع الله :

تكون العبادة خيراً إن كانت لله، وشراً إن كانت للتضليل والمباهاة، فالعبادة خير للصادق، وشر للمرائي، فالناس يقفون في الصلاة في مسجد واحد، ومع إمام واحد، ويركعون ويسجدون سواءً، ومنهم المقبول لصدقه ومنهم المردود لخبث نيته، ويقفون في الجهاد صفاً واحداً، تحت قيادة واحدة، ويقتلون، فمنهم من تغدو أرواحهم إلى الجنة لأنهم صادقون، ومنهم من تغدو أرواحهم إلى النار لأنهم ضالون .

ويقول النبي ق حكاية عن صدق رجل تمنى لو يلقى الله شهيداً مقتولاً بسهم في رقبته، ووقع ما تمنى الرجل، واصفاً صدقه : " صدق الله فصدقه الله "[٤٦١].

١– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٥٨، ص١١٣ .
١– أخرجه النسائي، في سننه الصغرى، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ج٤، صـ٦٠، رقم الحديث١٩٥٣ .

ولكي يقبل الله سبحانه وتعالى عملاً من إنسان لابد أن يكون هذا العمل صادقاً لوجه الله، يقول ابن حزم : " مَنْ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ تَعَالَى إلَيْهِ فِي عَمَلٍ مَا، فَذَلِكَ الْعَمَلُ بِلاَ شَكٍّ غَيْرُ مَرَضِيٍّ، وَإِذْ هُوَ غَيْرُ مَرَضِيٍّ فَهُوَ يَقِينًا غَيْرُ مَقْبُولٍ "(٤٦٢)، فالصدق في الأعمال يستجلب نظر الله ورضاه .

ومن علامات الصدق مع الله وجوب السمع والطاعة لما شرَّعه، بالكيفية التي أرادها، يقول : " وَمَا نَدْرِي كَيْفَ يَسْمَحُ ذُو عَقْلٍ أَنْ يُشَرِّعَ فِي دِينِ اللَّهِ هَذِهِ الشَّرَائِعَ الْفَاسِدَةَ فَيَصِيرُ مُحَرِّمًا مُحَلِّلاً مُوجِبًا دُونَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا هُوَ إلاَّ مَا جَاءَ النَّصُّ بِإِبَاحَتِهِ فَهُوَ مُبَاحٌ، قَلَّ أَمَدُهُ أَوْ كَثُرَ أَوْ مَا جَاءَ النَّصُّ بِتَحْرِيمِهِ فَهُوَ حَرَامٌ قَلَّ أَمَدُهُ أَوْ كَثُرَ أَوْ مَا جَاءَ النَّصُّ بِإِيجَابِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَ نَصٌّ بِتَحْدِيدٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَسَمْعًا وَطَاعَةً "(٤٦٣) .

ففي النص السابق يستنكر ابن حزم أن يشرِّع أي إنسان في دين الله فيحرم حلالاً ويحل حراماً " لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقُلْ لَنَا قَطُّ، وَلاَ رَسُولُهُ ﷺ لاَ تَقُولُوا بِمَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ إنْسَانًا قَالَ بِمَا فِيهِمَا، بَلْ هَذَا الْقَوْلُ عِنْدَنَا ضَلاَلٌ وَبِدْعَةٌ وَكَبِيرَةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى :

ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ

[سورة الأعراف: الآية ٣] (٤٦٤) .

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المرجع في شريعتنا حتى إن ابن حزم يوضح عدم دور الإجماع مع وجود نص من السنة، فيقول : " بَلْ إذَا تَنَازَعَ النَّاسُ رَدَدْنَا ذَلِكَ إلَى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا الرَّدَّ إلَيْهِ مِنْ الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ لاَ نُرَاعِي مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مَعَ وُجُودِ بَيَانِ السُّنَّةِ فِي أَحَدِ أَقْوَالِ الْمُتَنَازِعِينَ "(٤٦٥) .

ويحتج بقوله : " عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ "(٤٦٦) .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٣٦٩، ص٢٦٦-٢٦٧ .
٣– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٦٢٨، ص١٩١ .
٤– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٧٩، ص٢٣٠ .
١– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٦، ص١٦٥-١٦٦ .
٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١١٦ .

٦- عدم الجرأة على أحاديث النبي :

ومن الأمور التي يحذر منها ابن حزم حفاظاً على الطاقة الإيمانية عند الإنسان عدم الجرأة على أحاديث النبي ق ، يقول ق: " من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار "[٤٦٧]
.

ويقول ابن حزم يصف أهل الجرأة على أحاديث النبي ق بالجهل : " وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى الْقَوْلِ بِالْبَاطِلِ فِي الدِّينِ : مَعْنَى قَوْلِهِ عليه الصلاة والسلام : لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ مِثْلُ قَوْلِهِ عليه الصلاة والسلام : لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ "[٤٦٨] .

ويقول أيضاً : " هَذَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَكَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقْوِيلٌ لَهُ مَا لَمْ يَقُلْ، وَفَاعِلُ هَذَا يَتَبَوَّأُ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ بِنَصِّ قَوْلِهِ ÷، وَلَيْسَ إذَا وُجِدَ نَصٌّ قَدْ جَاءَ نَصٌّ آخَرُ أَوْ إجْمَاعٌ بِإِخْرَاجِهِ، عَنْ ظَاهِرِهِ وَجَبَ أَنْ تَبْطُلَ جَمِيعُ النُّصُوصِ وَتَخْرُجَ، عَنْ ظَوَاهِرِهَا فَيَحْصُلُ مِنْ فِعْلِ هَذَا عَلَى مَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ فِي إحَالَةِ الْقُرْآنِ، عَنْ مَفْهُومِهِ وَظَاهِرِهِ، وَمَنْ بَلَغَ إلَى هَاهُنَا فَقَدْ كَفَى خَصْمَهُ مُؤْنَتَهُ، وَيُقَالُ لَهُ : إذَا قُلْت هَذَا فِي قَوْلِهِ عليه الصلاة والسلام : لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ فَقُلْهُ

فالجرأة على أحاديثه ق بتحريف الكلم عن موضعه كذبٌ عليه، وإرادة شيء لم يقله عليه الصلاة والسلام، ويدقق ابن حزم على أن يكون راوي الحديث حافظاً للنص غير ناسٍ، فيقول : " إنَّ الْحَقَّ أَخْذُ رِوَايَةِ الرَّاوِي، لاَ أَخْذُ رَأْيِهِ، إذْ قَدْ يَتَأَوَّلُ فِيهِمْ، وَقَدْ يَنْسَى، وَلاَ يَجُوزُ أَلْبَتَّةَ أَنْ يَكْتُمَ النَّاسِخَ وَيَرْوِي الْمَنْسُوخَ "[٤٦٩]، ولا يحل بحال عند ابن حزم أن يكتم الراوي الحديث الأصلي ويقول الحديث الذي أدخل عليه تأويلاً أو تعديلاً، فهذا هو الكذب الكذب على رسول الله ق .

ومما سبق يتضح أن التربية الإيمانية من خلال أول جناحيها تهدف إلى ترسيخ أساس عقائدي لبناء مجتمع إنساني يحيا في ظل الإسلام، مجتمع فريد ومتميز عمَّا سواه من المجتمعات الأخرى، مجتمع يقوم على الالتزام بصراط الله من خلال الإيمان القلبي بكل ما شرَّعه المولى عز وجل، ليس فحسب بل وتحويل هذا الإيمان القلبي إلى سلوك تعبدي يحصل الإنسان من ورائه على لذة الطاعة والعبودية لله الواحد، وهو ما سيأتي الحديث عنه باعتباره ثاني جناحي التربية الإيمانية .

٣– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم مَن كذب على النبي ﷺ ، ج١، صـ٣٣، رقم الحديث١٠٧ .

٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٧٦٢، ص٢٥٥ .

٢– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٥١٩، ص٣٩ .

الجانب التعبدي السلوكي .

فالعبادة هي حق الله على عباده، وهي الأمر الذي أُرسل به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالعبادة هي الأصل، وهي القاعدة التي تُبنى عليها كل الفروع الأخرى، والإنسان بدون عبادة أقل شأناً من الحيوان، فمن عبد الله سبحانه وحده لا شريك له فقد حقق التوحيد، ووجد أثر ذلك راحةً في قلبه وسعادة في حياته، هذه الراحة والسعادة يؤديان إلى حلاوة الإيمان، وحلاوة الإيمان ولذته مربوطتان بأداء العبادات، ولا يكتمل الإيمان إلا بتحقيق شقيه العقائدي والتعبدي .

فللعبادة آثار طيبة على الفرد والجماعة، حيث تمنح فاعِلَها دفعة قوية من التربية وحسن الخلق، التي هي صمام أمان المجتمع من الشرور والأخطار، فالعبادة تنمي الفضيلة، وتمحق الرذيلة، وبها تستجلب المكارم، وتستدفع المكاره[٤٧٠] .

مفهوم العبادة :

لا تعني العبادة الشعائر الدينية التعبدية من صلاة وصوم وزكاة وحج فقط، بل هي مفهوم واسع يشمل تلك الشعائر وفعل كل ما أمر به الله عز وجل وترك ما نهى عنه، فالعبادة في مجملها تعني التسليم المطلق لله رب العالمين .

وابن تيمية رحمه الله يعرفها بقوله : " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله "[٤٧١] .

وفيما يلي يتطرق الكاتب لإبراز أهم الآراء التربوية للإمام ابن حزم الظاهري في الجانب التعبدي السلوكي من خلال :

أ- الآثار التربوية للصلاة في حياة الفرد والجماعة :

الصلاة هي عمود الدين ومفتاح الجنة وخير الأعمال، وأول ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة، وقد عني الإسلام بفريضة الصلاة عناية عظمى، فقد شدد الإسلام كل التشديد على إقامتها، وحذر كل التحذير من تركها، والنبي ق قد جعلها الدليل الأول على التزام عقد الإيمان، والشعار الفاصل بين المسلم والكافر، يقول النبي ق : " بين

١- فيصل بن راجح بن رجاء العصلاني، مرجع سابق، ص١٢٥ .

١- ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن تقي الدين بن شهاب الدين ت٧٢٨هـ)، العبودية، ط٥، السعودية: الرياض: دار المغني، ١٤٢٨هـ، ص٤ .

الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٤٧٢]، وفي تكرار الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة حكم عظيمة وغايات جليلة، فهي بمثابة النهر المار الذي يتطهر منه المسلم كل يوم خمس مرات من أدران الخطايا ودنس الغفلة، وقد مثَّل ذلك النبي ق في حديثه الذي قال فيه : "أرأيت لو أَنَّ نـهراً على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على بدنه من درنه شيءٌ ؟، قالوا : لا، قال كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بـهن الخطايا"[٤٧٣] .

وقد أولى ابن حزم هذه الفريضة أهمية كبرى في حديثه عنها، لعظم أثرها في تربية وتهذيب الإنسان، فيقول على تارك الصلاة حتى خروج وقتها : " وَأَمَّا مَنْ تَعَمَّدَ تَرْكَ الصَّلاَةِ حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا فَهَذَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا أَبَدًا، فَلْيُكْثِرْ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَصَلاَةِ التَّطَوُّعِ؛ لِيُثْقِلَ مِيزَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلْيَتُبْ وَلْيَسْتَغْفِرْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وهنا يعلق على تارك الصلاة لا بالكلية إنَّما تارك الصلاة حتى خروج وقتها، فهو لا يستطيع قضاءها أبداً، لكن عليه الإكثار من فعل الخيرات .

وهذا يدلل على أن الصلاة لابد أن تقام في وقتها، فلكل فريضة وقتها الذي وُقتَ لها، يقول ابن حزم : " فَإِنَّ كُلَّ عَمَلٍ عُلِّقَ بِوَقْتٍ مَحْدُودٍ فَإِنَّهُ لاَ يَصِحُّ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، وَلَوْ صَحَّ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَقْتًا لَهُ، وَهَذَا بَيِّنٌ "[٤٧٤] .

وفي شأن تعليم الصلاة للصبيان يقول : " وَلاَ صَلاَةَ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَيُسْتَحَبُّ لَوْ عُلِّمُوهَا إذَا عَقَلُوهَا؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ رُفِعَ الْقَلَمُ، عَنْ ثَلاَثَةٍ فَذَكَرَ فِيهِ الصَّبِيَّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَقَدْ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَبَّاسٍ قَبْلَ بُلُوغِهِ بَعْضَ حُكْمِ الصَّلاَةِ وَأَمَّهُ فِيهَا، وَيُسْتَحَبُّ إذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ أَنْ يُدَرَّبَ عَلَيْهَا فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ أُدِّبَ عَلَيْهَا، لِمَا حَدَّثَنَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَبِيعٍ، حدثنا ابْنُ السُّلَيْمِ، حدثنا ابْنُ الأَعْرَابِيِّ، حدثنا أَبُو دَاوُد، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حدثنا إبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُبْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاَةِ إذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا "[٤٧٥] .

من الآثار التربوية للصلاة :

الصلاة عماد الدين والركن الثاني من أركان الإسلام، وهي أفضل العبادات وأعظم الطاعات، والفريضة التي لا تسقط أبداً، لا في حل، ولا في سفر، ولا في مرض وهي أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة، وهي بمثابة القلب من الجسد، وإليها

١ـ أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ج١، صـ٨٨، رقم الحديث٨٢ .
٢ـ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ج١، صـ١١٢، رقم الحديث٥٢٨ .
١ـ المرجع السابق، المجلد١، الجزء٢، المسألة٢٧٩، ص٢٣٦ .
٢ـ المرجع السابق، المجلد١، الجزء٢، المسألة٢٧٦، ص٢٣٢ .

يرجع أصل صلاح الأعمال، فمن صلحت صلاته صلح سائر عمله، وفيما يلي أبرز الآثار التربوية للصلاة، وهي :

١- تحقيق الصلة بين العبد وربه :

الصلاة هي العبادة التي يتزود بها السائر إلى الله سبحانه وتعالى، فمن أكرمه الله بالمحافظة عليها فقد أكرمه بفتح الباب إليه، والسماح له بالقرب منه، ومن حُرِمَ المحافظة على الصلاة قُطعت الصلة بينه وبين الله عز وجل .

وكان النبي ق يجد الأنس والراحة والسرور في الصلاة، فكان يقول ق لبلال بن رباح يا بلال أقم الصلاة أرحنا بـها وكان يقول ق : "وجُعلت قرة عيني في الصلاة

فتكرار الصلاة والمحافظة عليها يُذَكِّر العبدَ بالله عز وجل، وتوثق الصلة بينه وبين خالقه عز وجل وهو يناجيه، يقول النبي ق : " إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه

وصدق الحسن رحمه الله حين قال : " تفقدوا الحلاوة واللذة في ثلاثة أشياء : في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم فبها، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق"[٤٧٦]

٢- تكفير السيئات :

إن الصلاة خير مهذب للأرواح ومطهر للنفوس من أدران الإثم والمعصية، وقد بشَّر النبي ق المصلى الصلاة في المسجد بغفران الذنب، وستر العيب، يقول ق : " من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الجماعة، غفر الله له ذنوبه "[٤٧٧]، وعن أبي هريرة ا أن رسول الله ق قال : " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر "[٤٧٨] .

٣- ترابط المجتمع وتعاونه :

الإسلام عندما أوجب صلاة الجماعة أراد بذلك جمع المسلمين، وتوحيد صفهم، ولمَّ شملهم، فتأدية الصلاة في المسجد لها دور كبير في تعارف المسلمين وتآلفهم وترابطهم .

٤– خالد السيد روشة، لذة العبادة، ط٣، مصر: الإسكندرية : دار الصفا والمروة، ١٤٢٨هـ، ص٦٧ .
١– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ج١، صـ٢٠٨، رقم الحديث٢٣٢ .
٢– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ج١، صـ٢٠٩، رقم الحديث٢٣٣ .

فالصلاة بحق هي مدرسة تربوية اجتماعية، تحث على التعارف والتعاون والإخاء، وتجعل المسلم يشعر بمسؤولية تجاه إخوانه المسلمين، فالمسجد مدرسة للأخلاق والمعاملات مثلما هو مدرسة للطاعات والعبادات، ولهذا لما جاء الرجل الأعمى إلى النبي ق يستأذنه في التخلف عن صلاة الجماعة، لأنه ليس له قائد يقوده، ومسكنه بعيد عن المسجد، لم يعطه ق العذر، بل قال له : " هل تسمع النداء ؟، قال : نعم، قال : فأجب "[٤٧٩] .

ب- الآثار التربوية للزكاة في حياة الفرد والجماعة :

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة في الذكر في كثير من الآيات القرآنية، هذا مما يدلل على أهميتها، وعظيم مكانتها، وجليل فضلها، لذلك قال أبو بكر الصديق والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة "[٤٨٠] .

وقد أولى ابن حزم هذه الفريضة أهمية فقال : " وَلاَ يُجْزِئُ أَدَاءُ الزَّكَاةِ إذَا أَخْرَجَهَا الْمُسْلِمُ، عَنْ نَفْسِهِ أَوْ وَكِيلُهُ بِأَمْرِهِ إلاَّ بِنِيَّةٍ أَنَّهَا الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَخَذَهَا الإِمَامُ أَوْ سَاعِيهِ، أَوْ أَمِيرُهُ أَوْ سَاعِيهِ فَبِنِيَّةٍ وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً أَخْرَجَ زَكَاةَ مَالٍ لَهُ غَائِبٍ فَقَالَ : هَذِهِ زَكَاةُ مَالِي إنْ كَانَ سَالِمًا، وَإِلاَّ فَهِيَ صَدَقَةُ تَطَوُّعٍ : لَمْ يُجْزِهِ ذَلِكَ، عَنْ زَكَاةِ مَالِهِ إنْ كَانَ سَالِمًا، وَلَمْ يَكُنْ تَطَوُّعًا لأَنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ النِّيَّةَ لِلزَّكَاةِ مَحْضَةٍ كَمَا أُمِرَ، وَإِنَّمَا يُجْزِئُهُ إنْ أَخْرَجَهَا عَلَى أَنَّهَا زَكَاةُ مَالِهِ فَقَطْ، فَإِنْ كَانَ الْمَالُ سَالِمًا أَجْزَأَهُ، لأَنَّهُ أَدَّاهَا كَمَا أُمِرَ مُخْلِصًا لَهَا، وَإِنْ كَانَ الْمَالُ قَدْ تَلِفَ، فَإِنْ قَامَتْ لَهُ بَيِّنَةٌ فَلَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَا أَعْطَى، وَإِنْ فَاتَتْ أَدَّى الإِمَامُ إلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ سَهْمِ الْغَارِمِينَ، لأَنَّهُمْ أَخَذُوهَا وَلَيْسَ لَهُمْ أَخْذُهَا، فَهُمْ غَارِمُونَ بِذَلِكَ، وَهَذَا كَمَنْ شَكَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ مِنْ رَمَضَانَ أَمْ لاَ وَهَلْ عَلَيْهِ صَلاَةُ فَرْضٍ أَمْ لاَ فَصَلَّى عَدَدَ رَكَعَاتِ تِلْكَ الصَّلاَةِ وَقَالَ : إنْ كُنْتَ أُنْسِيتُهَا فَهِيَ هَذِهِ، وَإِلاَّ فَهِيَ تَطَوُّعٌ، وَصَامَ يَوْمًا فَقَالَ : إنْ كَانَ عَلَيَّ يَوْمٌ فَهُوَ هَذَا، وَإِلاَّ فَهُوَ تَطَوُّعٌ، فَإِنَّ هَذَا لاَ يُخْرِجُهُ، عَنْ تِلْكَ الصَّلاَةِ، وَلاَ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ إنْ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمَا عَلَيْهِ "[٤٨١]

٣– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على مَن سمع النداء، ج١، صـ٤٥٢، رقم الحديث٦٥٣ .

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج٢، صـ١٠٥، رقم الحديث١٣٩٩.

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة٦٨٨، ص٩١-٩٢ .

ويشترط ابن حزم وجود نية للزكاة، فالمسلم لا يخرجُ المال عن نفسه أو وكيله إلا بنية أن هذا المال هو الزكاة المفروضة، فالأعمال لابد وأن تسبقها نية .

والزكاة تعوِّد النفس على بذل المال، والجود في العطاء، وتطهرها من درن الشح والبخل لتفوز في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يورثها الله سبحانه السعادة القلبية، والراحة النفسية، لأن الجزاء من جنس العمل، فكما كان المزكي سبباً في تفريج هم المهمومين، يورثه الله سعادة في قلبه، وراحة في صدره، وكان ذلك سبباً في نماء المال وحلول البركة، وفي الآخرة يكافئه الله بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

من الآثار التربوية للزكاة :

لقد شرعت الزكاة لحكم عظيمة وآثار جليلة، يعود نفعها على الجماعة المسلمة بأسرها، فبالزكاة يرحم الكبير الصغير، ويعطي الغني الفقير، ويعطف القوي على الضعيف، ليكونوا صفاً واحداً، ويداً واحدةً، إخوة متعاونين، وفيما يلي أبرز الآثار التربوية للزكاة، وهي :

١- تطهير النفس من الأخلاق الذميمة :

الزكاة تعد وسيلة من وسائل تطهير النفس من الأخلاق الذميمة، والصفات الرديئة، كالشح والبخل والأنانية والحقد والحسد والكراهية، وتجعل المزكي في صفوف المحسنين الذين يحبهم الله، ويحبهم الناس.

٢- إكمال عضوية الفرد في الجماعة :

الإسلام أراد بفرض الزكاة أن يربي المسلم على أنه عضو في مجتمع يجب أن يكون متعاوناً متسانداً، كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو في مجتمع يتكفل كل فرد بالآخرين، فالغني متكفل بالفقير، والقوي متكفل بالضعيف، وذو الجاه متكفل بمن لا جاه له، وذو العلم متكفل بمن لا علم له[٤٨٢] .

فالزكاة عبادة وفريضة عظيمة، تشعر الفرد بواجبه الاجتماعي من خلال دفع الزكاة للجوعى والمحرومين، الذين تلظوا بنار الفقر، واكتووا بلهيب الحاجة، فيسارع المسلم في سد حاجة هؤلاء الفقراء، ورفع العوز عنهم، من خلال دفع الزكاة لهم، فالزكاة من صفات المؤمنين.

١– سعيد إسماعيل علي، وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٣ .

وهكذا يتحقق التناصر بين المسلمين، ويسود الوئام بين الناس، فالزكاة بحق منبع مليئٌ بالقيم التربوية والاجتماعية والأخلاقية .

٣- نشر روح التعاون والتكافل في المجتمع :

تعد الزكاة من أبرز أنواع العبادات وأقواها تأثيراً في إقامة التضامن وتقوية الصلات بين المسلمين، حيث يظهر في أدائها أوضح صور التكافل والتضامن، بل إن تحقيق هذا التكافل والتضامن هو الحكمة من تشريعها ركناً من أركان الإسلام .

فالزكاة إذن تبث أواصر المحبة والمودة، وترسخ التكافل والإخاء بين الأغنياء والفقراء، فيشعر الفقير بالعطف والرحمة، وهنا تقوى صلات المسلمين بعضهم ببعض بسبب هذا الرافد، الذي يجعل المسلمين أمةً متماسكةً قويةً متعاونةً بينها محبة وتكافل وتواد وشفقة ورحمة .

ج- الآثار التربوية للصوم في حياة الفرد والجماعة :

الصوم موسم روحاني في شهر عظيم مبارك تكثر فيه جلائل الأعمال وفضائل العبادات، فشهر رمضان مشرق أنوار القرآن، وشذى نفحات الجنان، شهر القدسيَّات تتنزل فيه البركات والنفحات، وتنتشر فيه الرحمات، شهر تُقال فيه العثرات، وتتضاعف فيه الحسنات،وترفع فيه الدرجات .

والإنسان في هذا الموسم يتشبه بعالم الملائكة الأبرار، الذين يسبحون الله ليلاً ونهاراً، لا يفترون ولا يملون، فنجد الصائم في رمضان يتجرد لعبادة ربه عز وجل رغبةً في أن يحظى بمغفرته وينعم بثوابه ورضوانه .

فالصوم في رمضان عبادة عظيمة، تهفو إليها نفوس المؤمنين، وتشتاق لبلوغه لأنه يعيد للقلوب صفاءها، وللنفوس نقاءها، يأتي رمضان ليغرس بذور الخير والصلاح، ويقال فيه : يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ويقول النبي ق : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه"[٤٨٣] .

يقول ابن حزم عن الصوم : " فَمِنْ الْفَرْضِ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، الَّذِي بَيْنَ شَعْبَانَ، وَشَوَّالٍ، فَهُوَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ بَالِغٍ صَحِيحٍ مُقِيمٍ، حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، إلاَّ الْحَائِضَ وَالنُّفَسَاءَ، فَلاَ يَصُومَانِ أَيَّامَ حَيْضِهِمَا أَلْبَتَّةَ، وَلاَ أَيَّامَ نَفَسِهِمَا، وَيَقْضِيَانِ صِيَامَ تِلْكَ الأَيَّامِ وَهَذَا كُلُّهُ فَرْضٌ مُتَيَقَّنٌ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ "[٤٨٤] .

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، ج١، صـ١٦، رقم الحديث٣٨ .
٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة ٧٢٧، ص١٦٠ .

ويشترط ابن حزم وجود نية مجددة خاصة لكل يوم من أيام الصيام، فيقول : "وَلاَ يُجْزِئُ صِيَامٌ أَصْلاً رَمَضَانَ كَانَ أَوْ غَيْرَهُ إلاَّ بِنِيَّةٍ مُجَدَّدَةٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِصَوْمِ الْيَوْمِ الْمُقْبِلِ، فَمَنْ تَعَمَّدَ تَرْكَ النِّيَّةِ بَطَلَ صَوْمُهُ، بُرْهَانُ ذَلِكَ فَصَحَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِشَيْءٍ فِي الدِّينِ إلاَّ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالإِخْلاَصِ لَهُ فِيهَا بِأَنَّهَا دِينُهُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَصَحَّ أَنَّهُ لاَ عَمَلَ إلاَّ بِنِيَّةٍ لَهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِإحَدٍ إلاَّ مَا نَوَى، فَصَحَّ أَنَّ مَنْ نَوَى الصَّوْمَ فَلَهُ صَوْمٌ، وَمَنْ لَمْ يَنْوِهِ فَلَيْسَ لَهُ صَوْمٌ "(٤٨٥) .

وفي شأن تدريب الصبيان على الصوم في رمضان يقول : " وَنَسْتَحِبُّ تَدْرِيبَ الصِّبْيَانِ عَلَى الصَّوْمِ فِي رَمَضَانَ إذَا أَطَاقُوهُ وَلَيْسَ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ لِمَا قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : رُفِعَ الْقَلَمُ، عَنْ ثَلاَثٍ فَذَكَرَ فِيهِمْ الصَّبِيَّ حَتَّى يَحْتَلِمَ "(٤٨٦)، وفي هذا النص استحباب لتدريب الصبيان على الصوم في رمضان إذا قدروا عليه، حتى يعتادوا قضاء هذه الشعيرة الروحانية، التي تجعل نفوسهم طوَّاقة للخير وفعله، بعيدة عن الشر وفعله .

من الآثار التربوية للصوم :

إن الله لم يشرع صوم رمضان ولا غيره من التكاليف لحاجته إليه، كلا، فهو الغني عمّا سواه، لكن شرَّعه لصالح المسلمين، شرَّعه تربيةً للأجسام، وترويضاً لها على الصبر وتحمل الآلام، شرَّعه تقويماً للأخلاق، تهذيباً للنفوس، تعويداً لها على ترك الشهوات، ومجانبة المنهيات، شرَّعه لتنظيم المعيشة وتوحيد أمر المسلمين.

وفيما يلي أبرز الآثار التربوية للصوم، وهي :

١- تحقيق التقوى :

من أبرز حكم الصوم تحقيق التقوى في قلوب العباد، فالصوم وسيلة عظمى لتقواه سبحانه وتعالى، وتقواه سبحانه وتعالى جماع خير الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه تعالى في الحديث القدسي : " إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به "(٤٨٧) .

يقول الرازي عن الصوم : " إن الصوم يورث التقوى لما فيه انكسار الشهوة، وانقماع الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويهون لذات الدنيا

١– المرجع السابق، المجلد٣، الجزء٦، المسألة ٧٢٨، ص١٦٠ .

٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٠٥ص٣٠ .

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، ج٧، صـ١٦٤، رقم الحديث٥٩٢٧ .

ورياستها، وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج، فمن أكثر منه هان عليه أمر هذين، وخفت عليه مؤونتهما، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومهوناً عليه أمر الرياسة في الدنيا، وذلك جامع لأسباب التقوى "[٤٨٨] .

فالصوم وسيلة عظمى لتقواه سبحانه وتعالى، فلقد أودع الله فيه من الحكم والأسرار والمصالح الدنيوية والأخروية ما هو فوق تصورات البشر، ورَتَّبَ عليه تعالى من جزيل الثواب وعظيم الجزاء ما تصورته نفس صائمة لطارت فرحاً وغبطة، وتمنت أن تكون السنة كلها رمضان لتبقى دوماً متمتعةً بهذا الروح والريحان .

٢- تحقيق مراقبة العبد لربه :

الصوم سر بين العبد وربه، ولولا استشعاره لرقابة الله وأنه يراه لما صبر عن شهوات الأكل والشرب، فإذا ترك هذه الشهوات وهي حلال، انتقل إلى ترك ما هو محرم عليه من كذب وظلم وغش ومشاهدة للحرام، سواءً أكان في الليل أم في النهار، وسواءً أكان في رمضان أم في غير رمضان، فالذي صلى وصام وترك الشراب والطعام في رمضان لعلمه أنَّ الله رقيبٌ ومُطلع عليه، سيترك الحرام في غير رمضان أيضاً لأن الله لا يزال مطلعاً عليه .

٣- تعويد النفس على الصبر وتحمل الآلام :

فالصوم يربي النفس على الصبر وتحمل ألم الجوع، وهذا يشعرها بحاجة الفقراء والبائسين، ويذكرها بحالهم، وهم يتضورون جوعاً في أكثر أوقاتهم، فيحملها ذلك على الإشفاق عليهم، والإحسان إليهم، والرحمة بهم، وبهذا يجد الفقراء يد المعونة من الأغنياء،وفي ذلك إصلاح اجتماعي عظيم .

٤- تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس :

إنَّ الصوم من أنفع العبادات وأعظمها أثراً في تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق، فحال الصائمين في رمضان وما هم عليه من تسابق في الخيرات وحرص على الطاعات يدلل على أن الصوم من أعظم أسباب تقويم الأخلاق، فالناظر في حياة المجتمع المسلم في أيام رمضان يراها حياةً مضيئةً مطمئنةً، تشرح الصدر، وتسر القلب، بما يسود بين الناس من الرحمة والمودة .

٢– الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ج٥، ص٧٠ .

د- الآثار التربوية للحج في حياة الفرد والجماعة :

الحج هو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، فهو عبادة عظيمة من أجلِّ العبادات، وقربة من أعظم القربات، فيه الانطراح بين يدى الواحد القهار، وتجديد العهد مع الله، وبه تُمحى الخطايا، ويباهي الله بعباده ملائكته الكرام .

وفي الحج يتجرد الحجيج من كل مظاهر الدنيا، يرتدون لباساً واحداً، يهتفون هتافاً واحداً، يؤدون مناسك واحدة، يتوجهون لقبلة واحدة، يعبدون رباً واحداً .

يقول ابن حزم عن الحج : " الْحَجُّ إلَى مَكَّةَ، وَالْعُمْرَةُ إلَيْهَا فَرْضَانِ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، عَاقِلٍ، بَالِغٍ، ذَكَرٍ، أَوْ أُنْثَى، بِكْرٍ، أَوْ ذَاتِ زَوْجٍ، الْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالْحُرَّةُ وَالأَمَةُ، فِي كُلِّ ذَلِكَ سَوَاءٌ، مَرَّةً فِي الْعُمْرِ إذَا وَجَدَ مَنْ ذَكَرْنَا إلَيْهَا سَبِيلاً، وَهُمَا أَيْضًا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ إلاَّ أَنَّهُ لاَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ إلاَّ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، وَلاَ يُتْرَكُونَ وَدُخُولَ الْحَرَمِ حَتَّى يُؤْمِنُوا"[٤٨٩] .

فيقرر ابن حزم فرضية الحج على كل مؤمن عاقل مستطيع السبيل، "وَاسْتِطَاعَةُ السَّبِيلِ الَّذِي يَجِبُ بِهِ الْحَجُّ إمَّا صِحَّةُ الْجِسْمِ وَالطَّاقَةُ عَلَى الْمَشْيِ وَالتَّكَسُّبُ مِنْ عَمَلٍ أَوْ تِجَارَةٍ مَا يَبْلُغُ بِهِ إلَى الْحَجِّ وَيَرْجِعُ إلَى مَوْضِعِ عَيْشِهِ أَوْ أَهْلِهِ، وَأَمَّا مَالٌ يُمَكِّنُهُ مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ أَوْ الْبَرِّ وَالْعَيْشِ مِنْهُ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَّةَ وَيَرُدَّهُ إلَى مَوْضِعِ عَيْشِهِ أَوْ أَهْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحَ الْجِسْمِ إلاَّ أَنَّهُ لاَ مَشَقَّةَ عَلَيْهِ فِي السَّفَرِ بَرًّا أَوْ بَحْرًا، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مَنْ يُطِيعُهُ فَيَحُجَّ عَنْهُ وَيَعْتَمِرَ بِأُجْرَةٍ أَوْ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ إنْ كَانَ هُوَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى النُّهُوضِ لاَ رَاكِبًا، وَلاَ رَاجِلاً، فَأَيُّ هَذِهِ الْوُجُوهِ أَمْكَنَتْ الإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ الْعَاقِلَ الْبَالِغَ فَالْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ فَرْضٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ جَمِيعِهَا فَلاَ حَجَّ عَلَيْهِ، وَلاَ عُمْرَةَ "[٤٩٠] .

والاستطاعة شرط لأداء الحج بنص القرآن وبنص السنة النبوية المطهرة، قال النبي ق : " بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت "[٤٩١]، ووضح ابن حزم في النص السابق مفردات الاستطاعة من صحة، وطاقة على المشي، ومال، ذلك لأن الحج عبادة قلبية بدنية .

من الآثار التربوية للحج :

إن المتأمل لفريضة الحج من خلال أركانه وواجباته وسننه ومستحباته يدرك أن فيه من الفوائد والدروس الشيء العجيب، وفيما يلي أبرز الآثار التربوية للحج، وهي :

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨١١، ص٣٦ .

٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة ٨١٥، ص٥٣ .

٣– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، ج١، صـ١١، رقم الحديث٨ .

١- مغفرة الذنوب :

من فضل الحج وعظيم أجره أنه يهدم ما قبله من الذنوب، يقول النبي ق : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "(٤٩٢)، ويقول ق : " أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تـهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله "(٤٩٣)، وهو فضل عظيم وعطاء عميم لمن وفقه الله لأداء مناسك الحج .

٢- تجديد العهد مع الله :

يقول الحاج : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وهذا عهد من الحاج لربه أن يلبي كل ما أمر به، وأن ينقاد لحكمه، وفي هذا تعويد للمسلم على الاستسلام لله عز وجل .

٣- التذكرة باليوم الآخر :

عندما يخلع المسلم ملابسه ويلبس ملابس الإحرام البيضاء، فإن ذلك يذكره باليوم الذي يُجَرِّد فيه من ملابسه بعد موته، ويكفن في قطعة من القماش، وأن يتذكر بزحمة الطواف والسعي والرمي ذلك الزحام الرهيب يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، وأن يتذكر بحرارة الشمس يوماً تدنو فيه الشمس من الرؤوس، وأن يتذكر بالتعب والضنك والعرق المتصبب من جسده وأجساد الناس من حوله ذلك اليوم الرهيب والموقف المهول، فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومن يلجمه العرق إلجاماً .

المسجد كمؤسسة تربوية في رأي ابن حزم كما يعكسه كتاب المُحَلَّى :

إن القارئ لسيرة النبي ق يجد أن أول عمل قام به ق بعد هجرته من مكة إلى المدينة هو بناء المسجد الجامع، وذلك لإقامة الشعائر الدينية، وليكون مقراً لاجتماع المسلمين لبحث شؤون حياتهم .

فلقد " قام المسجد بدور بارز في حياة المجتمع الإسلامي الأول، حيث لم يكن ينظر إلى المسجد بوصفه دار عبادة تؤدى فيه الصلاة، ويُستمع فيه إلى الخطب والمواعظ، بل تعدى المسجد هذا الدور إلى دور أعم وأشمل، فقد كان المسجد مكاناً لمناقشة أمور البلاد السياسية والاجتماعية وتجهيز الجيوش، ومساعدة الفقراء، ذلك فضلاً عن دوره

١– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ج٢، صـ١٣٣، رقم الحديث١٥٢١ .
٢– أخرجه ابن خزيمة، في صحيحه، كتاب المناسك، باب ذكر البيان أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب والخطايا، ج٤، ص١٣١، رقم الحديث٢٥١٥ .

التربوي التعليمي الذي تشكلت من خلاله شخصيات شباب الأمة الإسلامية في صدر الإسلام "[٤٩٤] .

فرسالة المسجد التربوية رسالة عظيمة، فالمسجد موطن العبادة، ومركز العلم، وهو مركز إشعاع للقيم الإسلامية حيث تتجلى فيه القيم الروحية والخلقية والاجتماعية، فيه يحدد المسلم عزيمته، ويشحذ همته، ويتلاقى مع غيره من المسلمين، ويحدد الدكتور/ ماجد زكي الجلاد وظائف المسجد في رعاية القيم الإسلامية وتنميتها فيما يلي[٤٩٥] :

١- نشر العلم وتعليم الأفراد والجماعة التعاليم الدينية وغيرها، مما ينمي لديهم معايير سلوكية إسلامية تحقق سعادة الفرد والمجتمع .

٢- إمداد الأفراد بالإطار السلوكي المعياري القائم على التعاليم الإسلامية، مما يمكن العمل الصالح لديهم حباً وسلوكاً، ويكره لهم الكفر والفسوق والعصيان .

٣- تنمية الوازع الديني لدى الأفراد والجماعة، ومن ثم دعوتهم إلى ترجمة المبادئ والتعاليم إلى سلوك عملي واقعي .

٤- دعم روح الإخوة والتعارف بين المؤمنين مما يؤدي إلى دعم القيم الإسلامية وتوحيد السلوك الاجتماعي، ونبذ كل ما يضعف الروح الإيمانية والاجتماعية من قيم سالبة كالظلم والحسد .

٥- محاولة تذويب الصراع القيمي بين الأجيال الجديدة والأجيال القديمة، لأن الأفراد الجدد يقتدون بالأفراد القدامى، فالقدوة الصالحة والنماذج السلوكية تبرز جيداً من خلال المسجد، ومن ثم تضعف اتجاهات الصراع القيمي، في ظل القدوة ومبدأ الشورى، والمناقشات الموضوعية في شتى شؤون الحياة بين الصغار والكبار .

٦- الإرشاد والتوجيه من أئمة المساجد الداعين للالتزام بالقيم الإسلامية، واستشارهم فيما يجد من شؤون الحياة .

" وعندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله تعالى له أن يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية، وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري، والنمو الروحي الناتج عن شعورهم بالارتباط بخالقهم، وفيه يتعلمون الحديث والفقه وكل ما يحتاجون إليه من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله تعالى أن ينظمها للإنسان "[٤٩٦] .

١– محمد ناجح أبو شوشة، التراث التربوي في المذهب الشافعي، مصر: كفر الشيخ: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص٢٢٩ .

٢– ماجد زكي الجلاد، دراسات في التربية الإسلامية، الأردن: عمان: دار الرازي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٠٠،١٠١ .

١– عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص١٣٣،١٣٤ .

وقد اهتم ابن حزم في كتابه " المحلّى " بالمسجد ودراسة الأحكام المتعلقة به، وفيما يلي يعرض الكاتب المسجد كمؤسسة تربوية من خلال ما أسفر عنه تحليل كتاب " المحلى " من قضايا خاصة بالتعليم في المسجد .

فقد أباح ابن حزم عدة أمور داخل المسجد، فقد أورد رأيه عند تناول هذه القضية قائلاً : " وَالتَّحَدُّثُ فِي الْمَسْجِدِ بِمَا لاَ إثْمَ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، مُبَاحٌ، وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلُ، وَإِنْشَادُ الشِّعْرِ فِيهِ مُبَاحٌ، وَالتَّعَلُّمُ فِيهِ لِلصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ مُبَاحٌ، وَالسَّكَنُ فِيهِ وَالْمَبِيتُ مُبَاحٌ، مَا لَمْ يَضِقْ عَلَى الْمُصَلِّينَ، وَإِدْخَالُ الدَّابَّةِ فِيهِ مُبَاحٌ إذَا كَانَ لِحَاجَةٍ، وَالْحُكْمُ فِيهِ وَالْخِصَامُ كُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ، وَالتَّطَرُّقُ فِيهِ جَائِزٌ، إلاَّ أَنَّ مَنْ خَطَرَ فِيهِ بِنَبْلٍ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ أَنْ يُمْسِكَ بِحَدَائِدِهَا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ الْقَوَدُ فِي كُلِّ مَا أَصَابَ مِنْهَا "[٤٩٧] .

ويستنبط الكاتب من النص السابق الأمور المباحة داخل المسجد التي قال بها ابن حزم، وهي :

التحدث بما لا إثم فيه من أمور الدنيا

إنشاد الشعر

تعليم الصبيان

السكن والمبيت فيه

إدخال الدابة (إذا كان لحاجة)

الحكم والخصام (الفصل بين الناس)

التطرق

وفيما يلي يقتصر الكاتب على تناول مُبَاحَينِ مما أباحها ابن حزم في المسجد، وهما :

إنشاد الشعر

تعليم الصبيان

١- إنشاد الشعر في المسجد :

أباح ابن حزم من خلال النص السابق إنشاد الشعر في المسجد، وقد أطلق إنشاد الشعر دون تقيد بإنشاد شعر ديني أو شعر مدح أو غزل عفيف أو غزل صريح، لكن

٢– ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٩٨، ص٢٤١ .

الظاهر من كلام ابن حزم أنه يقصد كل شعر دون تقييد، فلقد قيد بعض الأئمة إنشاد الشعر في المسجد بأن يكون مدحاً في الإسلام أو حاثاً على مكارم الأخلاق، يقول الزركشي في هذا : " ينبغي ألا يُنشدَ في المسجد شعر ليس فيه مدح للإسلام، ولا حث على مكارم الأخلاق ونحوه، فإن كان لغير ذلك حُرِّم "[٤٩٨] .

وقد كان حسان بن ثابت يُنشد رسول الله ق الشعر في المسجد، كذا أنشد كعب بن زهير رسول الله ق قصيدته المشهورة بانت سعاد التي أُعجب بها النبيق وأعطاه بردته، وروى البخاري عن سعيد بن المسيب قال : مرَّ عمر بن الخطابا في المسجد وحسان ينشد فلحظ إليه، فقال كنت أنشد وفيه مَن هو خيرٌ منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، وقال : أنشدك بالله، أسمعت النبي ق يقول : أجب عني اللهم أيده بروح القدس، قال : نعم[٤٩٩]، وعليه فإن إنشاد الشعر مباح في المسجد .

٢- تعليم الصبيان في المسجد :

يتضح من خلال النص السابق لابن حزم أنه قد أباح تعليم الصبيان داخل المسجد .

يقول القرطبي : منع بعض العلماء من تعليم الصبيان فيه ورأوا أنه من باب البيع، وهذا إذا كان بأجرة، فلو كان تبرعاً فهو ممنوع أيضاً لعدم تحرز الصبيان عن القذر والوسخ فيؤدي ذلك إلى تلويث المساجد بالقاذورات، وقد ورد الأمر بتنظيفها، وفي الحديث : " جنبوا مساجدكم صبيانكم "[٥٠٠] [٥٠١].

فالصبيان المشار إليهم في الحديث : " جنبوا مساجدكم صبيانكم " هم أولئك الذين يُخشى منهم أن يحدثوا في المسجد ويلوثوه، أو أن يتسببوا في التشويش على المصلين وإزعاجهم، أمّا من يستطيع من الصبيان ضبط نفسه من تلويث المسجد أو إزعاج المصلين فإنَّ له أن يتردد على المسجد لحفظ القرآن أو الصلاة، أو التعلم، أو التفقه في الدين حتى يتعود ذلك منذ نعومة أظفاره[٥٠٢].

ولعل منع الصبيان من الذهاب للمساجد حفاظاً على نظافتها وذلك حتى لا تتعرض المساجد للأوساخ، وحفظاً للهدوء لإقامة الشعائر بعيداً عن تشويش الصغار، فالصبيان في السن المبكرة لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم نتيجة عدم وعيهم وقلة احترازهم، أما عندما يصبح الصبيُّ مميزاً محترزاً فلاشك أن ذهابه إلى المسجد يعوِّده على إقامة الشعائر الدينية، ويزرع في نفسه حب المساجد، وتكثير سواد المسلمين، واللقاء مع جماعات المسلمين، وكذلك التعلم في المسجد.

١ـ نقلاً عن : محمد ناجح أبو شوشة، مرجع سابق، ص٢٣٦ .
٢ـ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد، ج١، صـ٩٨، رقم الحديث٤٥٣.
١ـ أخرجه ابن ماجة، في سننه، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المساجد، ج١، صـ٢٤٧، رقم الحديث٧٥٠ .
٢ـ الزركشي (بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري ت٧٩٤هـ)، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ط٤، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، مصر: القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م، ص٣٢٧ .
٣ـ منصور الرفاعي عبيد، مكانة المسجد ورسالته، مصر: القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب،١٩٩٧م، ص٢٤.

يقول ابن حزم في موضع آخر : " وَاللَّعِبُ، وَالزَّفْنُ مُبَاحَانِ فِي الْمَسْجِدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ فَتْحٍ، حدثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عِيسَى، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، حدثنا مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، حدثنا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حدثنا جَرِيرٌ، هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ : جَاءَ حَبَشٌ يَزْفِنُونَ فِي الْمَسْجِدِ فِي يَوْمِ عِيدٍ فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى مَنْكِبِهِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إلَى لَعِبِهِمْ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّتِي انْصَرَفْتُ "[٥٠٣] .

وفي هذا النص استكمال لجملة الأمور التي أباحها ابن حزم في المسجد، وهي :

- اللعب

- الزفن

ويقول في موضع آخر : " وَيَعْمَلُ الْمُعْتَكِفُ فِي الْمَسْجِدِ كُلَّ مَا أُبِيحَ لَهُ مِنْ مُحَادَثَةٍ فِيمَا لاَ يَحْرُمُ، وَمِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ أَيِّ عِلْمٍ كَانَ، وَمِنْ خِيَاطَةٍ، وَخِصَامٍ فِي حَقٍّ، وَنَسْخٍ، وَبَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَتَزَوُّجٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ لاَ يَتَحَاشَ شَيْئًا، لأَنَّ الاِعْتِكَافَ : هُوَ الإِقَامَةُ كَمَا ذَكَرْنَا، فَهُوَ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَتْرُكْ الاِعْتِكَافَ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ وَلَمْ يَرَ ذَلِكَ مَالِكٌ، وَمَا نَعْلَمُ لَهُ حُجَّةً فِي ذَلِكَ، لاَ مِنْ قُرْآنٍ، وَلاَ مِنْ سُنَّةٍ لاَ صَحِيحَةٍ، وَلاَ سَقِيمَةٍ، وَلاَ قَوْلِ صَاحِبٍ، وَلاَ قَوْلِ مُتَقَدِّمٍ مِنْ التَّابِعِينَ، وَلاَ قِيَاسٍ، وَلاَ رَأْيٍ لَهُ وَجْهٌ، وأعجب مِنْ ذَلِكَ مَنْعُهُ طَلَبَ الْعِلْمِ فِي الْمَسْجِدِ "[٥٠٤] .

ومما سبق يتضح أن ابن حزم قد أباح جملة من الأمور الأخرى في المسجد، وهي :

- المحادثة فيما لا يحرم

- طلب العلم دون التقيد بنوع معين من العلوم

- الخياطة

- الخصام في الحق

- النسخ

- البيع والشراء

- الزواج

١– ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٥٠٠، ص٢٤٦ .
٢– ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٣، الجزء٥، المسألة٦٢٩، ص١٩٢ .

وفي شأن الحفاظ على المساجد وتطهيرها يقول ابن حزم : " قَدْ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِتَطْيِيبِ الْمَسَاجِدِ وَتَنْظِيفِهَا، فَوَجَبَ صَوْنُ الْمَسَاجِدِ، وَرَفْعُهَا، وَتَنْظِيفُهَا، فَمَا كَانَ مِنْ إقَامَةِ الْحُدُودِ فِيهِ تَقْذِيرٌ لِلْمَسْجِدِ بِالدَّمِ كَالْقَتْلِ، وَالْقَطْعِ، فَحَرَامٌ أَنْ يُقَامَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ تَطْيِيبًا، وَلاَ تَنْظِيفًا، وَكَذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِ مَاعِزٍ بِالْبَقِيعِ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ الْحُدُودِ جَلْدًا فَقَطْ، فَإِقَامَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ جَائِزٌ، وَخَارِجَ الْمَسْجِدِ أَيْضًا جَائِزٌ، إلاَّ أَنَّ خَارِجَ الْمَسْجِدِ أَحَبُّ إلَيْنَا، خَوْفًا أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمَجْلُودِ بَوْلٌ لِضَعْفِ طَبِيعَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يُؤْمَنُ مِنْ الْمَضْرُوبِ "[٥٠٥] .

وعليه يمكن القول إن ابن حزم قد أكد أهمية المسجد كمؤسسة تربوية، ووضح من الأحكام ما يؤدي إلى ضبط العملية التعليمية داخله، ويضمن تحقيقها للأهداف المرجوة، بما يحقق إحياء الدور التعليمي للمسجد، فإن تعويد النشء على الارتباط بالمسجد - وبخاصة في عمر المرحلة الأولى من التعليم - يمكن أن يكون بداية لتكوين وتنمية المبادئ والأسس والقواعد والقيم المرتبطة بالعقيدة الإسلامية .

رعاية الطفل وحقوقه في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى :

" حرص الإسلام منذ ظهوره حرصاً شديداً على رعاية الطفل واحترام حقوقه والمحافظة عليها وإلزام القائمين على أمره بمراعاة هذه الحقوق وعدم التفريط فيها، وقد جاء الفقه الإسلامي موضحاً للأحكام الشرعية المتعلقة بالطفل وخاصةً ما يتعلق بالطفل اليتيم واللقيط؛ وذلك لأنه إذا كان الطفل ضعيفاً بطبعه فإن ضعفه يزداد في حالة فقدان أحد الوالدين أو كليهما، فجاء الفقه الإسلامي ليوضح ما يتعلق بالطفل اليتيم، والطفل اللقيط من أحكام تحفظ حقوقه، وتحميه من أن يضيعها بعض الظالمين من القائمين على أمره "[٥٠٦] .

وفيما يلي يعرض الكاتب لأحكام اللقيط، وأحكام الحضانة، وأحكام الرضاع والمساواة بين الأولاد، وتسمية الأولاد، والعقيقة، واللعب، الحرية في السكن، حكم الإجهاض، مولد الأطفال على دين الإسلام، وذلك من خلال ما أورده ابن حزم الظاهري في كتابه " المحلّى " موضوع الكتاب، وذلك على النحو التالي :

أولاً : أحكام اللقيط :

اهتم الإسلام باللقيط حمايةً له، وحفظاً للمجتمع الذي يعيش فيه، وقد أورد ابن حزم بعضاً من حقوق اللقيط يعرضها الباحث من خلال الطرح الآتي :

١– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٦٥، ص١٢٣ .

١– محمد ناجح أبو شوشة، مرجع سابق، ص٢٦٣ .

١- تعريف اللقيط :

هو " الوليد الذي يوجد ملقًى على الطريق ونحوه، لا يُعْرَفُ أبواه "(٥٠٧) .

يقول ابن حزم : " إنْ وُجِدَ صَغِيرٌ مَنْبُوذٌ فَفَرْضٌ عَلَى مَنْ بِحَضْرَتِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ،، لاَ إثْمَ أَعْظَمَ مِنْ إثْمِ مَنْ أَضَاعَ نَسَمَةً مَوْلُودَةً عَلَى الإِسْلاَمِ صَغِيرَةً لاَ ذَنْبَ لَهَا حَتَّى تَمُوتَ جُوعًا وَبَرْدًا أَوْ تَأْكُلَهُ الْكِلاَبُ هُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ عَمْدًا بِلاَ شَكٍّ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ لاَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ"(٥٠٨) .

يتضح من النص السابق أنه لو وَجد إنسانٌ طفلاً ملقى على الأرض في مكان يُخشى عليه فيه من الضياع أو الهلاك، فيجب عليه التقاطه، حفاظاً على الطفل حتى لا يتعرض للموت جوعاً أو برداً أو أن تأكله الكلاب، ويقرُّ ابن حزم بإثم هذا الإنسان (الواجد) الذي يرى طفلاً ملقى ولا يأخذه، وعدَّه قاتل نفس عمداً .

٢- حكم الالتقاط :

الالتقاط فرض، يقول ابن حزم : " إنْ وُجِدَ صَغِيرٌ مَنْبُوذٌ فَفَرْضٌ عَلَى مَنْ بِحَضْرَتِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ، وَلاَبُدَّ"(٥٠٩) .

وهذا يوضح حرص ابن حزم على الطفل اللقيط، فحكم الالتقاط فرض على من رأى اللقيط، حتى لا تصبح حياته معرضةً للخطر.

٣- حكم تارك الالتقاط :

يوضح ابن حزم أنَّ تارك الالتقاط قاتلٌ، فيقول : " وَلاَ إثْمَ أَعْظَمَ مِنْ إثْمِ مَنْ أَضَاعَ نَسَمَةً مَوْلُودَةً عَلَى الإِسْلاَمِ صَغِيرَةً لاَ ذَنْبَ لَهَا حَتَّى تَمُوتَ جُوعًا وَبَرْدًا أَوْ تَأْكُلَهُ الْكِلاَبُ هُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ عَمْدًا بِلاَ شَكٍّ ".

٤- حرية اللقيط :

يقول ابن حزم : "وَاللَّقِيطُ حُرٌّ، وَلاَ وَلاَءَ عَلَيْهِ لأَحَدٍ؛ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَوْلاَدُ آدَمَ وَزَوْجِهِ حَوَّاءَ عليهما السلام وَهُمَا حُرَّانِ، وَأَوْلاَدُ الْحُرَّةِ أَحْرَارٌ بِلاَ خِلاَفٍ مِنْ أَحَدٍ فَكُلُّ أَحَدٍ فَهُوَ حُرٌّ إلاَّ أَنْ يُوجِبَ نَصُّ قُرْآنٍ، أَوْ سُنَّةٍ، وَلاَ نَصَّ فِيهِمَا يُوجِبُ إرْقَاقَ اللَّقِيطِ، وَإِذْ لاَ

١– مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر: القاهرة: المطابع الأميرية (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٥٦٢ .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٨٤، ص٢٧٣-٢٧٤ .

٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٨٤، ص٢٧٣ .

رِقَّ عَلَيْهِ فَلاَ وَلاَءَ لأَحَدٍ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ لاَ وَلاَءَ إلاَّ بَعْدَ صِحَّةِ رِقٍّ عَلَى الْمَرْءِ، أَوْ عَلَى أَبٍ لَهُ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ يَرْجِعُ إلَيْهِ بِنَسَبِهِ "(٥١٠) .

٥- حكم مال اللقيط :

أورد ابن حزم في حكم مال اللقيط ما نصه : " وَكُلُّ مَا وُجِدَ مَعَ اللَّقِيطِ مِنْ مَالٍ فَهُوَ لَهُ؛ لأَنَّ الصَّغِيرَ يَمْلِكُ، وَكُلُّ مَنْ يَمْلِكُ فَكُلُّ مَا كَانَ بِيَدِهِ فَهُوَ لَهُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِ مِنْهُ"(٥١١) .وفي النص السابق يؤكد ابن حزم على حق اللقيط في امتلاك ماله، وأن هذا المال لا ينتقل إلى المُلتقِط، بل يظل ملكاً للقيط حفاظاً على ممتلكاته، ولا يجوز ضم مال اللقيط إلى مال المُلتقِط .

٦- ادَّعاء أبوة اللقيط :

قال ابن حزم : " وَكُلُّ مَنْ ادَّعَى أَنَّ ذَلِكَ اللَّقِيطَ ابْنُهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حُرًّا كَانَ، أَوْ عَبْدًا : صُدِّقَ، إنْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ مَا قَالَ حَقًّا، فَإِنْ تُيُقِّنَ كَذِبُهُ لَمْ يُلْتَفَتْ

وفي النص السابق يوضح حكم ادِّعاء أحد من المسلمين بأن اللقيط ابنه،موضحاً صحة ادّعائه حراً كان أو عبداً ولا فرق، لكن الشرط الذي وضعه هو صدق هذا المدَّعي، أمّا وإن تيقن كذبه فادعاؤه باطل .

ومما سبق يتضح حرص ابن حزم على صالح الطفل اللقيط، وكذلك يتضح أن ديننا الإسلامي قد أباح الالتقاط وكفالة الأطفال اللقطاء حفظاً لهم من الموت وانتشالاً لهم من أوحال التشرد والفقر، " فإذا ساد شرع الله تعالى وعرف الناس مثل هذه الأمور المتعلقة باللقيط وحقوقه ما تخوف أحد من التقاط من رآه منبوذاً في الطريق، بل سارع إلى التقاطه حمايةً له ممن قد يقع في أيديهم من فئات الإجرام التي ظهرت في عصرنا الحالي، والتي تعمل على اختطاف الأطفال لبيعها إلى بعض الراغبين ممن لا ينجبون، أو استغلالهم في الأعمال الإجرامية مثل السرقة والنصب وذلك بتنشئتهم على ممارستها منذ الصغر "(٥١٢) .

ثانياً : أحكام الحضانة :

من الحالات التي اهتم بها الإسلام بالطفل، حالة ما بعد طلاق وانفصال الزوجين، فقد راعى الإسلام مصالح الأطفال في هذه الحالة، فبيّن مجموعة من الأحكام لضمان حصول الأطفال على رعايتهم الكاملة، وبصورة تضمن حسن تربيتهم في بيئة صالحة على نحو يقلل من الآثار السلبية التي تنتج عن انفصال الأبويين .

٢– المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٨٥، ص٢٧٤ .
١– المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٨٦، ص٢٧٦ .
١– محمد ناجح أبو شوشة، مرجع سابق، ص٢٧٠ .

وقد أورد ابن حزم بعضاً من أحكام الحضانة يعرضها الكاتب من خلال الطرح الآتي

١- تعريف الحضانة :

هي " الوِلايةُ على الطِّفْلِ لتربيته وتَدْبير شؤونه "[٥١٣] .

ويقول النووي في (روضة الطالبين) عن الحضانة بأنها : " القيام بحفظ من لا يميز ولا يستقل بأمره، وتربيته بما يصلحه، ووقايته عمّا يؤذيه، وهي نوع من ولاية وسلطنة، لكنها بالإناث أليق، لأنهن أشفق وأهدى إلى التربية، وأصبر على القيام بها، وأشد ملازمة للأطفال، ومؤنة الحضانة على الأب لأنها من أسباب الكفاية كالنفقة "[٥١٤] .

وفي هذا يقول ابن حزم : " الأُمُّ أَحَقُّ بِحَضَانَةِ الْوَلَدِ الصَّغِيرِ وَالابْنَةِ الصَّغِيرَةِ حَتَّى يَبْلُغَا الْمَحِيضَ، أَوْ الاحْتِلاَمَ، أَوْ الإِنْبَاتَ مَعَ التَّمْيِيزِ، وَصِحَّةِ الْجِسْمِ سَوَاءٌ كَانَتْ أَمَةً أَوْ حُرَّةً، تَزَوَّجَتْ أَوْ لَمْ تَتَزَوَّجْ، رَحَلَ الأَبُ، عَنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ أَوْ لَمْ يَرْحَلْ وَالْجَدَّةُ أُمٌّ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ الأُمُّ مَأْمُونَةً فِي دِينِهَا وَدُنْيَاهَا نُظِرَ لِلصَّغِيرِ أَوْ الصَّغِيرَةِ بِالأَحْوَطِ فِي دِينِهِمَا ثُمَّ دُنْيَاهُمَا، فَحَيْثُمَا كَانَتْ الْحِيَاطَةُ لَهُمَا فِي كِلاَ الْوَجْهَيْنِ وَجَبَتْ هُنَالِكَ عِنْدَ الأَبِ، أَوْ الأَخِ، أَوْ الأُخْتِ، أَوْ الْعَمَّةِ، أَوْ الْخَالَةِ، أَوْ الْعَمِّ، أَوْ الْخَالِ، وَذُو الرَّحِمِ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِمْ بِكُلِّ حَالٍ، وَالدِّينُ مُغَلَّبٌ عَلَى الدُّنْيَا، فَإِنْ اسْتَوَوْا فِي صَلاَحِ الْحَالِ فَالأُمُّ وَالْجَدَّةُ، ثُمَّ الأَبُ وَالْجَدُّ، ثُمَّ الأَخُ وَالأُخْتُ، ثُمَّ الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ، وَالأُمُّ الْكَافِرَةُ أَحَقُّ بِالصَّغِيرَيْنِ مُدَّةَ الرَّضَاعِ، فَإِذَا بَلَغَا مِنْ السِّنِّ وَالاسْتِغْنَاءِ مَبْلَغَ الْفَهْمِ فَلاَ حَضَانَةَ لِكَافِرَةٍ، وَلاَ لِفَاسِقَةٍ"[٥١٥] .

ومن هذا النص يتضح مشروعية حضانة الأم للأطفال، وتتضح الحكمة من تفضيل الأم على الأب في الحضانة،" لأَنَّهُ فِي بَطْنِهَا ثُمَّ فِي حِجْرِهَا مُدَّةَ الرَّضَاعِ"[٥١٦]، وهذا من شأنه إعلاء الاهتمام بالجانب النفسي والعاطفي في شخصية الطفل .

ويستنبط الكاتب مجموعةً من الأحكام والشروط المتعلقة بالحضانة من خلال النص السابق، وهي :

- أن تكون الحضانة للأم، للولد أو البنت حتى سن التمييز .

- أن تكون الحضانة للأم، سواءً أكانت حرة أم أمة.

- أن تكون الحضانة للأم، سواءً تزوجت أم لم تتزوج.

٢– مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص١٥٨ .

٣– النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن حزام ت٦٧٦هـ)، روضة الطالبين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج٦، ص٥٠٤ .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق،المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٤، ص٣٢٣ .

٢– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٤، ص٣٢٣ .

- أن تكون الحضانة للأم، سواءً رحل الأبُ أم لم يرحل

- يجوز الحضانة للجدة، لأنَّ الجدة أمٌّ

- إذا لم تكن الأم مأمونة في دينها ودنياها، فالحضانة لمن يؤمن دينه ودنياه

- تجوز الحضانة للأب، وللأخ، وللأخت، وللعمَّة، وللخالة، وللعمِّ، وللخال، ولذوي الرحم الأقرب فالأقرب

- تكون الحضانة للأم الكافرة مدة الرضاع فقط

٢- شروط الحاضن :

وضح ابن حزم في النص السابق مشروعية الحضانة للأم واستدل بقول النبي ق " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ : أُمُّكَ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ قَالَ : أُمُّكَ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ قَالَ : أُمُّكَ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ قَالَ : أَبُوكَ، وَمِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ أَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ الْهَمْدَانِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ : أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ فَهَذَا نَصٌّ جَلِيٌّ عَلَى إيجَابِ الْحَضَانَةِ؛ لأَنَّهَا صُحْبَةٌ "(٥١٧)، يعني الحضانة .

وقد بيّن ابن حزم في النص السابق أيضاً أن شرط الحضانة هو أن تكون الأم مأمونة في دينها ثم دنياها، وأكّدَ على هذا المعنى في قوله : " وَأَمَّا مُدَّةُ الرَّضَاعِ فَلاَ نُبَالِي، عَنْ ذَلِكَ وَلأَنَّ الصَّغِيرَيْنِ فِي هَذِهِ السِّنِّ وَمَنْ زَادَ عَلَيْهَا بِعَامٍ أَوْ عَامَيْنِ لاَ فَهْمَ لَهُمَا، وَلاَ مَعْرِفَةَ بِمَا يُشَاهِدَانِ، فَلاَ ضَرَرَ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَتْ الأُمُّ مَأْمُونَةً فِي دِينِهَا وَالأَبُ كَذَلِكَ : فَهِيَ أَحَقُّ مِنْ الأَبِ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي ذَكَرْنَا، ثُمَّ الْجَدَّةُ كَالأُمِّ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَأْمُونَةً لاَ الأُمُّ، وَلاَ الْجَدَّةُ فِي دِينِهَا أَوْ تَزَوَّجَتْ غَيْرَ مَأْمُونٍ فِي دِينِهِ، وَكَانَ الأَبُ مَأْمُونًا : فَالأَبُ أَوْلَى، ثُمَّ الْجَدُّ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِمَّنْ ذَكَرْنَا مَأْمُونًا فِي دِينِهِ، وَكَانَ لِلصَّغِيرِ أَوْ الصَّغِيرَةِ أَخٌ مَأْمُونٌ فِي دِينِهِ، أَوْ أُخْتٌ مَأْمُونَةٌ فِي دِينِهَا : فَالْمَأْمُونُ أَوْلَى، وَهَكَذَا فِي الأَقَارِبِ بَعْدَ الإِخْوَةِ، فَإِنْ كَانَ اثْنَانِ مِنْ الإِخْوَةِ أَوْ الأَخَوَاتِ، أَوْ الأَقَارِبِ مَأْمُونَيْنِ فِي دِينِهِمَا مُسْتَوِيَيْنِ فِي ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَحْوَطَ لِلصَّغِيرِ فِي دُنْيَاهُ : فَهُوَ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَحْوَطَ فِي دِينِهِ وَالآخَرُ أَحْوَطَ فِي دُنْيَاهُ : فَالْحَضَانَةُ لِذِي الدِّينِ لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ، وَتَفْسِيرُ الْحِيَاطَةِ فِي الدُّنْيَا : أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ أَشَدَّ رَفَاهِيَةً فِي عَيْشِهِ، وَمَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ، وَمَرْقَدِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَبِرِّهِ وَإِكْرَامِهِ، وَالاهْتِبَالِ بِهِ فَهَذَا فِيهِ إحْسَانٌ إلَى الصَّغِيرِ وَالصَّغِيرَةِ، فَوَاجِبٌ أَنْ يُرَاعَى بَعْدَ الدِّينِ.

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٤، ص٣٢٣ .

فمتى تحققت شروط الحضانة لأحد من الذين أوردهم ابن حزم في النص السابق، من صلاح في الدين وصلاح في الدنيا، فله أحقية الحضانة دون غيره، وقد فسّرَ صلاح الدنيا برفاهية العيش والمطعم والملبس والمرقد، كي يستطيع الحاضن تقديم الإحسان والبر والإكرام لهذا الصغير .

ويقرر ابن حزم القرعة في اختيار الحاضن إذا استوى كل الأفراد الذين يحق لهم الحضانة والمأمونين في دينهم : " فَإِنْ اسْتَوَوْا الأَخَوَاتُ أَوْ الإِخْوَةُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، أَوْ الأَقَارِبُ، فَإِنْ تَرَاضَوْا فِي أَنْ يَكُونَ الصَّغِيرُ أَوْ الصَّغِيرَةُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدَّةً فَذَلِكَ لَهُمْ، فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَى الصَّغِيرِ أَوْ الصَّغِيرَةِ : فَإِنْ كَانَ تَقَدَّمَ كَوْنُهُ عِنْدَ أَحَدِهِمْ لَمْ يَزُلْ، عَنْ يَدِهِ، فَإِنْ أَبَوْا فَالْقُرْعَةُ "[٥١٨] .

٣- متى تسقط الحضانة عن الأم؟ :

بعد البحث في النصوص التي أوردها ابن حزم في شأن الحضانة، والتي أقرَّ فيها الحضانة للأم المأمونة في دينها، لم يحصل الكاتب إلا على شرط واحد يسقط الحضانة عن الأم بعد سن الرضاعة، وهو إن كانت الأم كافرةً أو فاسقةً، وهذا الشرط واضح في قوله : " وَالأُمُّ الْكَافِرَةُ أَحَقُّ بِالصَّغِيرَيْنِ مُدَّةَ الرَّضَاعِ، فَإِذَا بَلَغَا مِنْ السِّنِّ وَالاسْتِغْنَاءِ مَبْلَغَ الْفَهْمِ فَلاَ حَضَانَةَ لِكَافِرَةٍ، وَلاَ لِفَاسِقَةٍ "[٥١٩] .

وفي غير ذلك فالحضانة للأم ما دامت مأمونة في دينها حتى وإن تزوجت، فيقول : " إنَّهُ لاَ يَسْقُطُ حَقُّ الأُمِّ فِي الْحَضَانَةِ بِزَوَاجِهَا إذَا كَانَتْ مَأْمُونَةً وَكَانَ الَّذِي تَزَوَّجَهَا مَأْمُونًا فَلِلنُّصُوصِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَلَمْ يَخُصَّ عليه الصلاة والسلام زَوَاجَهَا مِنْ غَيْرِ زَوَاجِهَا، وَلِمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ أَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ أَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ أَنَسًا غُلاَمٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْك قَالَ : فَخَدَمْته فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَذَكَرَ الْخَبَرَ فَهَذَا أَنَسٌ فِي حَضَانَةِ أُمِّهِ، وَلَهَا زَوْجٌ وَهُوَ أَبُو طَلْحَةَ بِعِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ فَرْقَ فِي النَّظَرِ وَالْحِيَاطَةِ بَيْنَ الرَّبِيبِ زَوْجِ الأُمِّ وَالرَّبِيبَةِ زَوْجَةِ الأَبِ، بَلْ فِي الأَغْلَبِ الرَّبِيبُ أَشْفَقُ، وَأَقَلُّ ضَرَرًا مِنْ الرَّبِيبَةِ، وَإِنَّمَا يُرَاعَى فِي كُلِّ ذَلِكَ الدِّينُ، ثُمَّ صَلاَحُ الدُّنْيَا فَقَطْ "[٥٢٠] .

وعليه فإذا كانت حقوق الزوجة تسقط من على الزوج، وحقوق الزوج تسقط من على الزوج بالطلاق، فإن هذا لا يعني سقوط حقوق الأبناء، بل تظل حقوق الأبناء عليهما حتى بعد انفصالهما وانتهاء العلاقة الزوجية بين الوالدين .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٤، ص٣٢٤-٣٢٥ .

٢– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٤، ص٣٢٣ .

٣– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠١٤، ص٣٢٥ .

ومما سبق يتضح اشتراط ابن حزم صلاحَ دين الحاضن قبل دنياه، حتى يستطيع الحاضن تربية وتنشئة هذا النبت الجديد على تقوى الله تعالى، كي يخرج عضواً فعّالاً جديداً يحمل روح الإسلام، لا طفلاً مشتتاً بين أبٍ وأمٍ غيرَ سوي يُربى على كراهية أبيه لو كانت الأم هي الحاضنة أو كراهية أمه لو كان الأب هو الحاضن، فيكره أول ما يكره أباه وأمه، ويكره بالتبعية باقي أعضاء المجتمع .

ثالثاً : أحكام الرضاع :

لقد اعتنى الإسلام بالطفل عنايةً كبرى، واهتم به اهتماماً يشمل كل الجوانب التي تؤثر فيه، وحدد من الضوابط والمحددات ما يضمن له نمواً سليماً، وقد تناول ابن حزم مجموعة من أحكام الرضاع تهيئ له أن يكون مواطناً صالحاً في المستقبل، وفيما يلي يعرض الكاتب لأهم آراء ابن حزم في هذا الجانب، وذلك من خلال الطرح الآتي :

١- حكم الاستئجار للرضاع :

" وَجَائِزٌ اسْتِئْجَارُ الْمَرْأَةِ ذَاتِ اللَّبَنِ لإِرْضَاعِ الصَّغِيرِ مُدَّةً مُسَمَّاةً، بُرْهَانُ ذَلِكَ فقد جوَّز ابن حزم الاستئجار لإرضاع الطفل الصغير، والدين الإسلامي حينما أباح للمرأة إرضاع غير أطفالها، إنما أباحه حفاظاً ورعايةً للطفل، وإنقاذه من الهلاك، فقد تموت أم الطفل، أو قد تخرج عن إنسانيتها وتأبى إرضاعه، وقد تبعد عنه لأي سبب من الأسباب، ففي مثل هذه الحالات يُحرم الطفل من المصدر الرئيسي لإرضاعه، ويُعرَّض للضياع، لكنَّ الشريعة الإسلامية الغرَّاء أباحت كلَّ ما فيه الصالح .

وفي هذه الأيام نجد أن عدداً من النساء يمتنعن عن إرضاع أطفالهن رضاعةً طبيعية حفاظاً على رشاقتهن وجمالهن، مما يتنافى مع واجبات الأمومة الحقة .

ويتضح من خلال النص السابق أمران، هما :

- جواز استئجار المرأة لإرضاع الصغير

- تحديد مدة الرضاع

٢- بيع ألبان النساء :

يقول ابن حزم : " وَبَيْعُ أَلْبَانِ النِّسَاءِ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ الشُّعُورُ، وَبَيْعُ الْعَذِرَةِ وَالزِّبْلِ لِلتَّزْبِيلِ، وَبَيْعُ الْبَوْلِ لِلصَّبَّاغِ : جَائِزٌ وَقَدْ مَنَعَ قَوْمٌ مِنْ بَيْعِ كُلِّ هَذَا، قال أبو محمد : لاَ خِلاَفَ فِي أَنَّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَحْلُبَ لَبَنَهَا فِي إنَاءٍ وَتُعْطِيَهُ لِمَنْ يَسْقِيهِ صَبِيًّا، وَهَذَا تَمْلِيكٌ مِنْهَا لَهُ، وَكُلُّ مَا صَحَّ مِلْكُهُ وَانْتِقَالُ الإِمْلاَكِ فِيهِ : حَلَّ بَيْعُهُ.

مما سبق يتضح أن ابن حزم قد أجاز بيع النساء لألبانهن، بأن تحلب المرأة لبنها في إناء ثم تبيعه لمن يكفل الطفل الرضيع، لكن في مثل هذه الحالة لا تتحقق العوامل النفسية المصاحبة لعملية الرضاعة الطبيعية، فنعم فإن في بيع هذه الألبان للأطفال رعايةً لهم من النواحي الجسمية (البيولوجية)، لكن هذا لا يؤثر إيجابياً في النواحي النفسية (السيكولوجية) .

٣- إجبار الأم على إرضاع ولدها :

يقول ابن حزم : " قال أبو محمد : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِلْقُرْآنِ، ، فَوَجَبَ إجْبَارُ الأُمِّ أَحَبَّتْ أَمْ كَرِهَتْ عَلَى إرْضَاعِ وَلَدِهَا حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّ زَوْجُهَا أَمْ كَرِهَ وَأَنْ تُجْبَرَ عَلَى أَنْ لاَ تُضَارَّ بِوَلَدِهَا، وَلاَ ضِرَارَ أَكْثَرَ مِنْ مَنْعِهِ رَضَاعَهَا، وَلاَ يُبَاحُ لامْرَأَةٍ وَلَوْ أَنَّهَا بِنْتُ الْخَلِيفَةِ غَيْرَ هَذَا، إلاَّ الْمُطَلَّقَةَ، فَإِنَّهَا إنْ تَعَاسَرَتْ هِيَ وَأَبُو الصَّغِيرِ بِأَنْ لاَ يَتَّفِقَا عَلَى أُجْرَةٍ يَتَرَاضَيَانِ بِهَا وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَقْبَلُ ثَدْيَ غَيْرِهَا فَهَذِهِ يَسْتَرْضِعُ الْمُطَلِّقُ لَهَا أُخْرَى

فاستدل ابن حزم بالآية الكريمة في إجبار الأم على إرضاع ولدها، ويتضح من هذا النص عدة أمور تتعلق بشأن الرضاع، وهذه الأمور هي :

- إجبار الأم على إرضاع ولدها، أحبت أم كرهت

- مدة الرضاع عامان كاملان

- لا يجوز للأب منع الأم من إرضاع ولدها

- لا يجوز للمرأة التخلي عن إرضاع ولدها، مهما تكن

- للمطلقة أن ترضع ولدها أو لا ترضعه، بشرط أن يقبل ثدي غيرها

- إن لم يتفق الرجل والمرأة المطلقان على أجرة الرضاع التي يدفعها الأب للأم، فلها أن ترفض إرضاعه، بشرط قبول الطفل ثدي غيرها

- إذا كان الطفل قابلاً لثدي غير أمه، يجوز للأب استئجار مُرْضِعَةٍ له

٤- مدة الرضاع :

بعد جمع النصوص السابقة يتضح أن مدة الرضاع عامان كاملان، يقول ابن حزم في النص الأول : " فَوَجَبَ إجْبَارُ الأُمِّ أَحَبَّتْ أَمْ كَرِهَتْ عَلَى إرْضَاعِ وَلَدِهَا حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ "(٥٢١) .

ويقول في النص الثاني : " فَإِنْ كَانَ لَهُ أَبٌ، أَوْ أُمٌّ، فَأَرَادَ الأَبُ فِصَالَهُ دُونَ رَأْيِ الأُمِّ، أَوْ أَرَادَتْ الأُمُّ فِصَالَهُ دُونَ رَأْيِ الأَبِ : فَلَيْسَ ذَلِكَ لِمَنْ أَرَادَهُ مِنْهُمَا قَبْلَ تَمَامِ الْحَوْلَيْنِ كَانَ فِي ذَلِكَ ضَرَرٌ بِالرَّضِيعِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنْ أَرَادَا جَمِيعًا فِصَالَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَى الرَّضِيعِ لِمَرَضٍ بِهِ، أَوْ لِضَعْفِ بِنْيَتِهِ، أَوْ لأَنَّهُ لاَ يَقْبَلُ الطَّعَامَ: لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ لَهُمَا فَإِنْ كَانَ لاَ ضَرَرَ عَلَى الرَّضِيعِ فِي ذَلِكَ فَلَهُمَا ذَلِكَ، فَإِنْ أَرَادَا التَّمَادِيَ عَلَى إرْضَاعِهِ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ فَلَهُمَا ذَلِكَ، فَإِنْ أَرَادَ أَحَدُهُمَا بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ فِصَالَهُ وَأَبَى الآخَرُ مِنْهُمَا، فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَى الرَّضِيعِ لَمْ يَجُزْ فِصَالُهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ اتَّفَقَا عَلَى فِصَالِهِ، وَإِنْ كَانَ لاَ ضَرَرَ عَلَى الرَّضِيعِ فِي فِصَالِهِ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ : فَأَيُّ الأَبَوَيْنِ أَرَادَ فِصَالَهُ بَعْدَ تَمَامِ الْحَوْلَيْنِ فَلَهُ ذَلِكَ، هَذَا حَقُّ الرَّضِيعِ، وَالْحَقُّ عَلَى الأَبِ وَالأُمِّ فِي إرْضَاعِهِ.

فالأم التي ترضع طفلها حولين كاملين فقد أتمت مدة الرضاعة الطبيعية التي حددها الله سبحانه وتعالى، هذه الرضاعة ستكون سبباً في شعور هذا الوليد بالحنان والعطف والأمن مما يؤثر بشكل إيجابي في حياته المستقبلية .

رابعاً : المساواة بين الأولاد :

إن الدين الإسلامي قد أوجب النفقة على الرجال، لما لهم من قوامة على النساء، ويقرر ابن حزم هذا المبدأ قائلاً : "وَمِنْ طَرِيق أَبِي دَاوُد، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ هِنْدًا أُمَّ مُعَاوِيَةَ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَإِنَّهُ لاَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَبَنِيّ، فَهَلْ عَلَيَّ مِنْ جُنَاحٍ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا قَالَ : خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ

فهذا النص يدل على وجوب النفقة على الأب، وفي موضع آخر يقول : " وَفَرْضٌ عَلَى السَّيِّدِ أَنْ يَكْسُوَ مَمْلُوكَهُ، وَمَمْلُوكَتَهُ، مِمَّا يَلْبَسُ وَلَوْ شَيْئًا وَأَنْ يُطْعِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلَوْ لُقْمَةً وَأَنْ يُشْبِعَهُ وَيَكْسُوَهُ بِالْمَعْرُوفِ، مِثْلَ مَا يُكْسَى وَيُطْعَمُ مِثْلُهُ، أَوْ مِثْلُهَا، وَأَنْ لاَ يُكَلِّفَهُ مَا لاَ يُطِيقُ

١ـ المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة١٩٣٣، ص١٠٧ .

وابن حزم في هذا النص يفرض على السيد أن ينفق على مملوكه أو مملوكته، فمن الأوجب أن ينفق الأب على أبنائه .

ولأنَّ دينَ الإسلام دينُ عدل ومساواة، فلقد فرض على الآباء المساواة بين أبنائهم، فيقول في المساواة بين الأولاد : " وَلاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَهَبَ، وَلاَ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِهِ إلاَّ حَتَّى يُعْطِيَ أَوْ يَتَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَلاَ يَحِلُّ أَنْ يُفَضِّلَ ذَكَرًا عَلَى أُنْثَى، وَلاَ أُنْثَى عَلَى ذَكَرٍ، فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ مَفْسُوخٌ مَرْدُودٌ أَبَدًا، وَلاَ بُدَّ، وَإِنَّمَا هَذَا فِي التَّطَوُّعِ، وَأَمَّا فِي النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَاتِ فَلاَ، وَكَذَلِكَ الْكِسْوَةُ الْوَاجِبَةُ، لَكِنْ يُنْفِقُ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِحَسْبِ حَاجَتِهِ، وَيُنْفِقُ عَلَى الْفَقِيرِ مِنْهُمْ دُونَ الْغَنِيِّ، وَلاَ يَلْزَمُهُ مَا ذَكَرْنَا فِي وَلَدِ الْوَلَدِ، وَلاَ فِي أُمَّهَاتِهِمْ، وَلاَ فِي نِسَائِهِمْ، وَلاَ فِي رَقِيقِهِمْ، وَلاَ فِي غَيْرِ وَلَدٍ، بَلْ لَهُ أَنْ يُفَضِّلَ بِمَالِهِ كُلَّ مَنْ أَحَبَّ، فَإِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ كَمَا أَعْطَاهُمْ، أَوْ يُشْرِكَهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ تَغَيَّرَتْ عَيْنُ الْعَطِيَّةِ مَا لَمْ يَمُتْ أَحَدُهُمْ فَيَصِيرُ مَالُهُ لِغَيْرِهِ، فَعَلَى الأَبِ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطِيَ هَذَا الْوَلَدَ، كَمَا أَعْطَى غَيْرَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أُعْطِيَ مِمَّا تَرَكَ أَبُوهُ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ مِثْلَ ذَلِكَ"(٥٢٢) .

يتضح من النص السابق أن ابن حزم يُقِرُّ المساواة بين الأولاد، فلا فرق بين ذكر وأنثى، كلٌ على قدر حاجته، حتى إنه أورد مثالاً، فلو أن أباً أعطى أولاده أعطيات مساوياً بينهم، ثم ولد له ولدٌ، فعليه أن يعطيه مثلهم إن يملك المال، أو أن يشركهم في إعطائه مثلهم .

هذا مما يوضح ضرورة إقامة العدل والمساواة بين الأولاد، مما يدلل على حرص ديننا الإسلامي على تربية الأبناء تربيةً سويةً خاليةً من الشوائب والضغائن، فإن الأب لو أعطى أحد بنيه دون غيره، فهو بذلك يشجع إقامة الحقد والحسد والضغينة بين الإخوة، مما يترتب عليه نشوب حياة أسرية خالية من مظاهر التواصل والتعاطف، ولن تكون هذه الأسرة إلا نبتاً فاسداً يخرج للمجتمع أفراداً متصارعين مع أنفسهم .

ويقر ابن حزم أن المساواة بين الأولاد في النفقات الواجبة واجبة، فهو يقول : "وَأَمَّا النَّفَقَاتُ الْوَاجِبَاتُ : فَقَوْلُهُ عليه الصلاة والسلام اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ إيجَابٌ لأَنْ يُنْفِقَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مَا لاَ قَوَامَ لَهُ إلاَّ بِهِ، وَمَنْ تَعَدَّى هَذَا فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمْ، وَكَذَلِكَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ عليه الصلاة والسلام إيجَابٌ لِلتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ الْمَوَارِيثِ فِي شَيْءٍ، وَلِكُلٍّ نَصٌّ حُكْمُهُ، وَلَيْسَ هَذَا الْحُكْمُ فِي غَيْرِ الأَوْلاَدِ، إذَا لَمْ يَأْتِ النَّصُّ إلاَّ فِيهِمْ، وَأَمَّا وَلَدُ الْوَلَدِ : فَلاَ خِلاَفَ فِيهِمْ، وَقَدْ كَانَ لأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بَنُو بَنِينَ

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٣٢، ص١٤٢ .

وَبَنُو بَنَاتٍ فَلَمْ يُوجِبْ عليه الصلاة والسلام إعْطَاءَهُمْ، وَلاَ الْعَدْلَ فِيهِمْ، وَإِذَا مَاتَ الْوَلَدُ بَعْدَ أَنْ وُهِبَ هِبَةً لاَ مُحَابَاةَ فِيهَا فَقَدْ صَارَتْ لِوَرَثَتِهِ وَبَطَلَ أَمْرُ الأَبِ فِيهَا، وَأَمَّا إنْ مَاتَ الْوَالِدُ فَالتَّعْدِيلُ بَيْنَهُمْ دَيْنٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ "(٥٢٣) .

وأيضاً من النصوص التي أوردها ابن حزم في ضرورة المساواة بين الأولاد قوله : " وَالتَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْوَلَدِ فَرْضٌ فِي الْحَبْسِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ، فَإِنْ خَصَّ بِهِ بَعْضَ بَنِيهِ، فَالْحَبْسُ صَحِيحٌ وَيَدْخُلُ سَائِرُ الْوَلَدِ فِي الْغَلَّةِ وَالسُّكْنَى مَعَ الَّذِي خَصَّهُ، برهان ذَلِكَ أَنَّهُمَا فِعْلاَنِ مُتَغَايِرَانِ بِنَصِّ كَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحَدُهُمَا تَحْبِيسُ الأَصْلِ، فَبِاللَّفْظِ تَحْبِيسُهُ يَصِحُّ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَنَّنَا عَنْ مَالِ الْمُحْبِسِ، وَالثَّانِي التَّسْبِيلُ وَالصَّدَقَةُ، فَإِنْ وَقَعَ فِيهَا حِيفَ رُدَّ وَلَمْ يَبْطُلْ خُرُوجُ الأَصْلِ مُحْبِسًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَ الْوَلَدُ أَحْيَاءَ، فَإِذَا مَاتَ الْمَخْصُوصُ بِالْحَبْسِ رَجَعَ إلَى مَنْ عَقِبَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، وَخَرَجَ سَائِرُ الْوَلَدِ عَنْهُ؛ لأَنَّ الْمُحَابَاةَ قَدْ بَطَلَتْ "(٥٢٤) .

فهذه نصوص تدلل على وجوب المساواة بين الأولاد، لضمان إقامة الحياة بصورة عادلة، تحقق السواء بين أفراد الأسرة الواحدة .

خامساً : تسمية الأولاد :

من حق الطفل أن يكون له اسم يُنادى به، يقول ابن حزم : " وَأَمَّا التَّسْمِيَةُ : فَرُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ نَا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ نَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ هُوَ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ أُمَّهُ وَلَدَتْ غُلاَمًا فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَنَسُ لاَ يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ انْطَلَقْتُ بِهِ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ وَدَعَا ÷ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلاَكَهَا فِي فِيهِ ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ "(٥٢٥) .

وفي هذا القول يروي حديثاً يدلل فيه على ضرورة التسمية، وأنها من أوائل الأشياء التي فعلها الرسول ق عندما وضع أنس الطفل في حجره ق فسمَّاه عبدَ الله .

ويروي أيضاً حديثاً آخر قائلاً : " وَرُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ فِي الْمُخْتَلِعَةِ مِنْ جَدِّهِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ الشَّمَّاسِ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةَ بِنْتَ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، وَأَنَّهَا وَلَدَتْ غُلاَمًا فَجَعَلَتْهُ فِي لِيفٍ وَأَرْسَلَتْ بِهِ إلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَنْ خُذْ عَنِّي صَبِيَّكَ فَأَتَى بِهِ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَنَّكَهُ، وَاسْتَرْضَعَ لَهُ، وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا "(٥٢٦) .

١ـ المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٣٢، ص١٤٩ .
١ـ ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٦٥٤، ص١٨٢ .
٢ـ المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة١١١٣، ص٥٢٧-٥٢٨ .
٣ـ المرجع السابق،المجلد٧، الجزء١٠، المسألة١٩٣٣، ص١٠٧ .

وفي موضع آخر يحذر ابن حزم من تسمية الطفل بأسماء تحمل معاني كريهة أو غير مألوفة عند بني جيله، مما يوضح اهتمام ابن حزم بنفسية الطفل عندما يتعامل مع أقرانه وأصدقائه، فيقول : " وَلاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُسَمِّيَ غُلاَمَهُ : أَفْلَحَ، وَلاَ يَسَارَ، وَلاَ نَافِعَ، وَلاَ نَجِيحَ، وَلاَ رَبَاحَ وَلَهُ أَنْ يُسَمِّيَ أَوْلاَدَهُ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ، وَلَهُ أَنْ يُسَمِّيَ مَمَالِيكَهُ بِسَائِرِ الأَسْمَاءِ، مِثْلِ : نَجَاحٍ، وَمُنَجَّحٍ، وَنُفَيْعٍ، وَرُبَيْحٍ، وَيَسِيرٍ، وَفُلَيْحٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لاَ تُحَاشِ شَيْئًا "[٥٢٧]، هذا مما يدلل على وجوب تسمية الطفل، فهُويته تبدأ من اسمه، وإلا فكيف يعامل الطفل دون اسم ؟، وكيف يُنادى ؟ .

ويقول في موضع آخر :" وَيُسَمَّى الْمَوْلُودُ يَوْمَ وِلاَدَتِهِ، فَإِنْ أُخِّرَتْ تَسْمِيَتُهُ إلَى الْيَوْمِ السَّابِعِ فَحَسَنٌ "[٥٢٨] .

سادساً : العقيقة :

ومن الأمور الواجبة على الإنسان المسلم أن يعق عن ولده، إذا كان مقتدراً على ذلك، يقول ابن حزم : " الْعَقِيقَةُ فَرْضٌ وَاجِبٌ يُجْبَرُ الإِنْسَانُ عَلَيْهَا إذَا فَضَلَ لَهُ، عَنْ قُوتِهِ مِقْدَارُهَا، وَهُوَ أَنْ يَذْبَحَ، عَنْ كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ لَهُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ غُلاَمٍ أَوْ اسْمُ جَارِيَةٍ، إنْ كَانَ ذَكَرًا فَشَاتَانِ وَإِنْ كَانَ أُنْثَى فَشَاةٌ وَاحِدَةٌ، يَذْبَحُ كُلَّ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ الْوِلاَدَةِ، وَلاَ تُجْزِئُ قَبْلَ الْيَوْمِ السَّابِعِ أَصْلاً فَإِنْ لَمْ يَذْبَحْ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ ذَبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ مَتَى أَمْكَنَ فَرْضًا، وَيُؤْكَلُ مِنْهَا وَيُهْدَى وَيُتَصَدَّقُ، هَذَا كُلُّهُ مُبَاحٌ لاَ فَرْضٌ، وَيُعَدُّ فِي الأَيَّامِ السَّبْعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَوْمُ الْوِلاَدَةِ وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إلاَّ يَسِيرٌ، وَيَحْلِقُ رَأْسَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَلاَ بَأْسَ بِأَنْ يَمَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ دَمِ الْعَقِيقَةِ، وَلاَ بَأْسَ بِكَسْرِ عِظَامِهَا، وَلاَ يُجْزِئُ فِي الْعَقِيقَةِ إلاَّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ شَاةٍ إمَّا مِنْ الضَّأْنِ، وَأَمَّا مِنْ الْمَاعِزِ فَقَطْ، وَلاَ يُجْزِئُ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مَا ذَكَرْنَا لاَ مِنْ الإِبِلِ، وَلاَ مِنْ الْبَقَرِ الإِنْسِيَّةِ، وَلاَ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلاَ تُجْزِئُ فِي ذَلِكَ جَذَعَةٌ أَصْلاً، وَلاَ يُجْزِئُ مَا دُونَهَا مِمَّا لاَ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ شَاةٍ، وَيُجْزَى الذَّكَرُ وَالأُنْثَى مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، وَيُجْزِئُ الْمَعِيبُ سَوَاءٌ كَانَ مِمَّا يَجُوزُ فِي الأَضَاحِيّ أَوْ كَانَ مِمَّا لاَ يَجُوزُ فِيهَا، وَالسَّالِمُ أَفْضَلُ "[٥٢٩] .

يقر ابن حزم في النص السابق فرضية ووجوب العقيقة إذا كان الإنسان مقتدراً، وقد وضَّح ابن حزم أنه يذبح عن كل مولود يولد سواء كان حياً أو ميتاً، ويذبح عن الذكر شاتان، وعن الأنثى شاة واحدة، ويكون الذبح في اليوم السابع لا قبله ويجوز أن يكون بعده، ويجوز للمسلم أن يأكل من هذه العقيقة وأن يهدي منها وأيضاً أن يتصدق منها، ولم يجوِّز في العقيقة إلا ما يقع عليه اسم شاة، وهو إمَّا الضأن وإمَّا الماعز فقط .

١ــ ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٧٠٥، ص٢٥١ .
٢ــ المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة١١١٣، ص٥٢٣ .
١ــ المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة١١١٣، ص٥٢٣-٥٢٤ .

سابعاً : اللعب :

اللعب نشاط يعبر عن حاجة الطفل إلى الاستمتاع والسرور، وهو ضرورة بيولوجية في بناء ونمو الشخصية المتكاملة، فهو سلوك ذاتي داخلي يدفع الطفل للتعرف على ذاته وعلى عالمه الخارجي، ويعد الخبراء اللعب الوسيلة الأولى للتعلم في السنوات الأولى من عمر الإنسان، لما يسهم به في تطوير المهارات الحسية والحركية، واستثارة القدرات العقلية وتنميتها، وتنمية مداركه الاجتماعية، وتوجيه طاقاته النفسية .

وقد أباح ابن حزم اللعب في المسجد وهو أقدس مكان، بقوله : " وَاللَّعِبُ، وَالزَّفْنُ مُبَاحَانِ فِي الْمَسْجِدِ "[٥٣٠]، وذلك لأن طبيعة الطفل تدعوه للعب وإخراج الطاقة الكامنة التي بداخله .

ويقول أيضاً في موضع بيع الصور : " وَلاَ يَحِلُّ بَيْعُ الصُّوَرِ إلاَّ لِلَعِبِ الصَّبَايَا فَقَطْ، فَإِنَّ اتِّخَاذَهَا لَهُنَّ حَلاَلٌ حَسَنٌ، وَمَا جَازَ مِلْكُهُ جَازَ بَيْعُهُ "[٥٣١]، فلم ينكر ابن حزم اللعب .

وفي موضع آخر وفي نفس الشأن يقول : " وَجَائِزٌ لِلصَّبَايَا خَاصَّةً اللَّعِبُ بِالصُّوَرِ، وَلاَ يَحِلُّ لِغَيْرِهِنَّ

واللعب هو أحد الأغراض الرئيسية التي تشكل هدف التنمية الحركية وتسعى لتحقيقه، وهو إطار لاكتساب الثراء الحركي لدى الطفل وزيادة حصيلة من المهارات والأنماط الحركية وحسن توظيفها .

واكتساب المهارات الحركية له منافع وفوائد ذات أبعاد كثيرة، منها على سبيل المثال :

- المهارات الحركية تتيح فرص الاستمتاع بأوقات الفراغ ومناشط الترويح .
- المهارات الحركية تنمي مفهوم الذات وتكسب الثقة بالنفس .
- المهارات الحركية توفر طاقة العمل وتساعد على اكتساب اللياقة البدنية .
- المهارات الحركية أصبحت مطلباً للعمالة الماهرة في الصناعة وفي زيادة الإنتاج .
- المهارات الحركية تساعد على الحراك الاجتماعي والوضع الاجتماعي المتميز

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٥٠٠، ص٢٤٦ .
٢– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٥٣٧، ص٢٥ .

ثامناً : الحرية في السكن :

ومن الحقوق التي أولاها ابن حزم اهتماماً، حرية الأولاد في السكن إن أُمِنوا على أنفسهم، فيقول : " وَإِذَا بَلَغَ الْوَلَدُ أَوْ الابْنَةُ عَاقِلَيْنِ، فَهُمَا أَمْلَكُ بِأَنْفُسِهِمَا، وَيَسْكُنَانِ أَيْنَمَا أَحَبَّا، فَإِنْ لَمْ يُؤْمَنَا عَلَى مَعْصِيَةٍ مِنْ شُرْبِ خَمْرٍ، أَوْ تَبَرُّجٍ، أَوْ تَخْلِيطٍ، فَلِلأَبِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ الْعَصَبَةِ، أَوْ لِلْحَاكِمِ، أَوْ لِلْجِيرَانِ أَنْ يَمْنَعَاهُمَا مِنْ ذَلِكَ، وَيُسْكِنَاهُمَا حَيْثُ يُشْرِفَانِ عَلَى أُمُورِهِمَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالْحَسَنِ بْنِ حَيٍّ بِمِثْلِ هَذَا، برهان صِحَّةِ قَوْلِنَا : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إلاَّ عَلَيْهَا، وَتَصْوِيبُهُ عليه الصلاة والسلام قَوْلُ سَلْمَانَ أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلاَ مَعْنَى لِلْفَرْقِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى فِي ذَلِكَ، وَلاَ لِمُرَاعَاةِ زَوَاجِ الابْنَةِ؛ لأَنَّهُ شَرْعٌ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ تَزَوَّجَ وَهِيَ فِي الْمَهْدِ وَقَدْ لاَ تَتَزَوَّجُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً، وَرُبَّ بِكْرٍ أَصْلَحُ وَأَنْظَرُ مِنْ ذَوَاتِ الأَزْوَاجِ وَبِضَرُورَةِ الْحِسِّ يَدْرِي كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ الزَّوَاجَ لَمْ يَزِدْهَا عَقْلاً لَمْ يَكُنْ، وَلاَ صَلاَحًا لَمْ يَكُنْ، وَأَمَّا إذَا ظَهَرَ مِنْ الذَّكَرِ أَوْ الأُنْثَى تَخْلِيطٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ فَالْمَنْعُ مِنْ ذَلِكَ وَاجِبٌ.

ففي هذا النص يوضح حرية الأولاد في السكن، بشرط اكتمال نضجهم، وقدرتهم على تحمل المسؤولية، واستطاعتهم الحفاظ على أنفسهم بعيداً عن ارتكاب المعاصي

تاسعاً : حكم الإجهاض :

أورد ابن حزم في حكم الإجهاض ما نصه : " عَنْ إبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ فِي امْرَأَةٍ شَرِبَتْ دَوَاءً فَأَسْقَطَتْ قَالَ : تُعْتِقُ رَقَبَةً، وَتُعْطِي أَبَاهُ غُرَّةً، قال أبو محمد : هَذَا أَثَرٌ فِي غَايَةِ الصِّحَّةِ، قَالَ عَلِيٌّ : إنْ كَانَ لَمْ يُنْفَخْ فِيهِ الرُّوحُ فَالْغُرَّةُ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ : فَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَعْمِدْ قَتْلَهُ، فَالْغُرَّةُ أَيْضًا عَلَى عَاقِلَتِهَا، وَالْكَفَّارَةُ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ عَمَدَتْ قَتْلَهُ فَالْقَوَدُ عَلَيْهَا، أَوْ الْمُفَادَاةُ فِي مَالِهَا، فَإِنْ مَاتَتْ هِيَ فِي كُلِّ ذَلِكَ قَبْلَ إلْقَاءِ الْجَنِينِ ثُمَّ أَلْقَتْهُ : فَالْغُرَّةُ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ ذَلِكَ، فِي الْخَطَأِ عَلَى عَاقِلَةِ الْجَانِي هِيَ كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْعَمْدِ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَأَمَّا إنْ كَانَ قَدْ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ فَالْقَوَدُ عَلَى الْجَانِي إنْ كَانَ غَيْرَهَا،وَأَمَّا إنْ كَانَتْ هِيَ فَلاَ قَوَدَ، وَلاَ غُرَّةَ، وَلاَ شَيْءَ؛ لأَنَّهُ لاَ حُكْمَ عَلَى مَيِّتٍ، وَمَالُهُ قَدْ صَارَ لِغَيْرِهِ "[٥٣٢]

وهذا النص يدل على أهمية أن تراعي الأم طفلها منذ كان جنيناً، لا أن تلقي به، وقد بيّن ابن حزم ما ترتب على ذلك من جزاء قد يصل إلى حد الموت .

١– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٢٥، ص٣١ .

عاشراً : مولد الأطفال على دين الإسلام :

يوضح ابن حزم هذه المسألة من خلال قوله : " وَأَيُّ الأَبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ أَسْلَمَ فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ أَوْلاَدِهِمَا مُسْلِمٌ بِإِسْلاَمِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمَا الأُمُّ أَسْلَمَتْ أَوْ الأَبُ "[٥٣٣] .

وهنا يوضح أن كل مَن لم يبلغ من الأطفال فهو مسلم بإسلام مَن أسلم من أبويه، الأب أو الأم، وفي هذه المسألة رد على بعض الفقهاء الذين قالوا بإسلام الأولاد بإسلام الأب فقط، وبعضهم الآخر الذي قال بإسلام الأولاد بإسلام الأم فقط، فردَّ على مَن قالوا بالأب : مَا نَعْلَمُ لِمَنْ جَعَلَهُمْ بِإِسْلاَمِ الأَبِ خَاصَّةً مُسْلِمِينَ حُجَّةً أَصْلاً، وَنَسْأَلُهُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ فِي ابْنِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ زِنَا اسْتِكْرَاهٍ فَمِنْ قَوْلِهِمْ : إنَّهُ مُسْلِمٌ بِإِسْلاَمِهَا وَهَذَا تَرْكٌ مِنْهُمْ لِقَوْلِهِمْ، وَوَافَقُونَا أَنَّهُ إنْ أَسْلَمَ الأَبَوَانِ، أَوْ أَحَدُهُمَا، وَلَهُمَا بَنُونَ وَبَنَاتٌ قَدْ بَلَغُوا مَبْلَغَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَإِنَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ لاَ يُجْبَرُونَ عَلَى الإِسْلاَمِ وَالْبَالِغُ مُخَاطَبٌ قَدْ لَزِمَهُ حُكْمُ الْكُفْرِ أَوْ الذِّمَّةِ، وَلَيْسَ غَيْرُ الْبَالِغِ مُخَاطَبًا "[٥٣٤] .

ورد على من قالوا بإسلام الأم حينما قالوا : " لأَنَّهُمْ تَبَعٌ لِلأُمِّ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَالرِّقِّ لاَ لِلأَبِ "[٥٣٥]، قائلاً : " وَأَمَّا مَنْ قَاسَ الدِّينَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَالرِّقِّ فَالْقِيَاسُ كُلُّهُ بَاطِلٌ فَصَحَّ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ تَبْدِيلُ دِينِ الإِسْلاَمِ لأَحَدٍ، وَلاَ يُتْرَكُ أَحَدٌ يُبَدِّلُهُ إلاَّ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَرْكِهِ عَلَى تَبْدِيلِهِ فَصَحَّ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يُقْبَلَ فِي الدُّنْيَا، وَلاَ فِي الآخِرَةِ دِينٌ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَ دِينِ الإِسْلاَمِ إلاَّ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَيُقَرَّ عَلَيْهِ "[٥٣٦] .

" فَصَحَّ أَنَّهُ لاَ يُتْرَكُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَةِ الإِسْلاَمِ إلاَّ مَنْ اتَّفَقَ أَبَوَاهُ عَلَى تَهْوِيدِهِ، أَوْ تَنْصِيرِهِ، أَوْ تَمْجِيسِهِ فَقَطْ فَإِذَا أَسْلَمَ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يُمَجِّسْهُ أَبَوَاهُ، وَلاَ نَصَّرَاهُ، وَلاَ هَوَّدَاهُ فَهُوَ بَاقٍ عَلَى مَا وُلِدَ عَلَيْهِ مِنْ الإِسْلاَمِ، وَلاَ بُدَّ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ وَهَلَ قَوْمٌ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَهَذِهِ الأَخْبَارِ وَهِيَ بَيِّنَةٌ وَهِيَ الْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الأَنْفُسِ حِينَ خَلَقَهَا

وفي موضع آخر يقول ابن حزم : " وَوَلَدُ الْكَافِرَةِ الذِّمِّيَّةِ، أَوْ الْحَرْبِيَّةِ مِنْ زِنًا، أَوْ إكْرَاهٍ مُسْلِمٌ، وَلاَ بُدَّ؛ لأَنَّهُ وُلِدَ عَلَى مِلَّةِ الإِسْلاَمِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَلاَ أَبَوَيْنِ لَهُ يُخْرِجَانِهِ مِنْ الإِسْلاَمِ فَهُوَ مُسْلِمٌ "[٥٣٧] .

واستشهد ابن حزم بحديث النبي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتِجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ "[٥٣٨]

٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٤٥، ص٣٢٢ .
١– ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٤٥، ص٣٢٢ .
٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٤٥، ص٣٢٢ .
٣– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٤٥، ص٣٢٢-٣٢٣ .
١– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٤٦، ص٣٢٤ .
٢– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة ٩٤٥، ص٣٢٣ .

من قضايا العلم والتعليم في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب المُحَلَّى :

اهتم ابن حزم بالعلم والتعليم اهتماماً كبيراً، وذلك يتضح من خلال ما أبداه في مؤلفاته، " والإمام ابن حزم لم يكن معلماً محترفاً إلا أن ذلك لم يمنعه من تسجيل سوانح وملامح عن الإنسان وطبيعته، والمعرفة ومصادرها، والتعليم والتعلم، وآداب مجالس العلم، والعلم وفضله، وتصنيف العلوم، وضرورة التكامل بينها، بطبيعة الحال ليس المطلوب من شيخنا أن يقدم نظرية تربوية متكاملة، فليست هذه وظيفته، وليس المطلوب منه معالجة القضايا التي نعالجها اليوم، فليست هذه مهمته، بل يكفيه الإدلاء برأيه في بعض قضايا عصره، وتحليل بعض تحديات مجتمعه "(٥٣٩) .

ويفرد الكاتب جزءاً خاصاً من هذه الدراسة لدراسة قضايا العلم والتعليم التي جاءت متناثرة في كتاب " المحلّى "، مثل : فضل العلم، الاستئجار للتعليم، تعليم السحر، الضرب في التعليم، التعامل مع المصحف وكتب العلم، تعلم القرآن الكريم، تعليم الرمي، وفيما يلي يتناول الكاتب هذه القضايا على النحو الآتي :

أولاً : فضل العلم :

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ق: " لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بـها ويعلمها "(٥٤٠)، وعن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ق يقول : " من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخده أخذ بحظ وافر "(٥٤١) .

ومن خلال الآيات والأحاديث تظهر قيمة وأهمية وفضل العلم، " فالدعوة إلى العلم والتعلم هي بداية رسالة الإسلام التي تقوم على وحدانية الله وإخلاص العبودية له، والذي حمل هذه الرسالة هو الإنسان، الذي كرمه وميزه المولى عز وجل على سائر خلقه بالعقل، الذي عن طريقه يتمكن من معرفة وإدراك ما حوله وتسخير ما في الكون لخدمته، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق العلم والمعرفة والتدبر والتفكر والنظر في ملكوت الله "(٥٤٢) .

١– حسان محمد حسان، مرجع سابق، ص١٠٣ .
٢– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ج١، صـ٢٥، رقم الحديث٧٣ .
١– أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ج٥، صـ٤٧، رقم الحديث٢٦٨٢ .
٢– أحمد عبد العال محمد، مرجع سابق، ص٢٦٦، ٢٦٧ .

وانطلاقاً من مكانة العلم والعلماء كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد أولى ابن حزم أهمية خاصة للعلم والعلماء في مواضع عديدة من كتابه " المحلى " محل الدراسة، فيقول : " وَالْعَالِمُ الْفَاضِلُ أَفْضَلُ مِنْ الْجَاهِلِ الْفَاسِقِ.

ويتضح من النص السابق أن ابن حزم أقرَّ الأفضلية للعالم لا الجاهل، وترجع أهمية العلم إلى ما يعود على الفرد من نفع نتيجة اكتسابه العلمَ، فهو أفضل مقتنى، وأنفع مكتسب .

وفرض ابن حزم السكوت على من لم يعلم، وعدَّه واجباً عليه، فيقول " لَكِنَّا نَقُولُ قَوْلَ مَنْ يَدْرِي وَيُوقِنُ أَنَّ قَوْلَهُ وَكِتَابَهُ مَعْرُوضَانِ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمَا : إنَّ الْخَطَأَ فِي السُّكُوتِ بِالْجَهْلِ أَسْلَمُ مِنْ الْخَطَأِ فِي الْحُكْمِ فِي الدِّينِ بِالْجَهْلِ، بَلْ السُّكُوتُ لِمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَرْضٌ عَلَيْهِ وَاجِبٌ، وَالْقَوْلُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ حَرَامٌ عَلَى النَّاسِ"[٥٤٣]، لأن المتحدث في الدين بغير علم يقترف إثماً عظيماً، لأن هذا القول أو الحكم ستترتب عليه أفعال الناس، وما بُني على خطأ وجهل فهو خطأ وجهل، ولأن الناس تابعون للعالم مقتدون به، مقلدون له في عبادته واجب عليهم طاعته، وليس الناس تابعين للجاهل .

" ولا يَعْرَفُ فضل العلم إلا العالم، وفضل العالم لا يُعْرَفُ إلا به، أما الجاهل فَيُنْكِرُ فضل العلم، ويعادي العلماء، لأن نفسه لا تميل إلى فكرة، بل تميل إلى المحسوسات والأشياء المنقولة، والمقتنيات المادية، وحياته ملتصقة بها لا تتعداها، ولذا يصل الأمر به إلى محاربة العلم والعلماء "[٥٤٤]

وفي كتاب (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) يوضح ابن حزم فضل العلم قائلاً : " لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك، لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه، فكيف بسائر فضله في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ويغبط نظراءه من الجهال لكان سبباً إلى وجوب الفرار عنه، فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية، ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم، وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داعٍ إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره، ومن أقلها ما ذكرنا مما يحصل عليه طالب العلم، وفي مثله أتعب ضعفاء الملوك أنفسهم، فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والنرد والخمر والأغاني وركض الدواب في طلب الصيد، وسائر الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والآخرة، وأما فائدة فلا فائدة"[٥٤٥] .

١– المرجع السابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠٢٥، ص٤١٥ .
٢– علي خليل أبو العينين، قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين، مصر: المنصورة: دار المجتمع – دار الوفاء، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٣٦٦، ٣٦٧ .
١– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٩٣ .

ويعلق الدكتور/ حسان محمد حسان على هذا النص بقوله[٥٤٦] : " إن فضل العلم يظهر في عدة مجالات أهمها :

- أن الجُهَّال يهابونك ويجلونك، والعلماء يحبونك ويكرمونك .

- يقطع صاحبه عن الوساوس المضنية والآمال التي لا تفيد غير الهمِّ .

- لذلك فإن ضعفاء الملوك عندما لم يجدوا شيئاً يملأون به حياتهم، ويشغلون به أنفسهم لجأوا إلى الشطرنج والنرد والخمر والأغاني، إذن العلم إثراء للحياة الشخصية والجماعية، وبحث في المفيد وبعد عن المضرة في الدنيا والآخرة " .

ويلمح الكاتب من النص السابق لابن حزم قولَ الإمام علي بن أبي طالب – كرَّم الله وجهه - : " كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه مَن لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه مَن هو فيه "[٥٤٧] .

وفي مواضع عديدة يوضح ابن حزم أهمية العلم فيقول : " وَالْمُثْبِتُ الْعَالِمُ أَوْلَى مِنْ النَّافِي الَّذِي لَمْ يَعْلَمْ "[٥٤٨]، ويقول : " لَيْسَ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَ "[٥٤٩]، ويقول : " وَلَيْسَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَلِمَ "[٥٥٠] .

هذه كلها أقوال توضح إيمانه بقيمة العلم والعلماء، ويقول نافياً لإنكار الجهال في الدين : " لَيْسَ إنْكَارُ أَهْلِ الْجَهْلِ حُجَّةً عَلَى سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ "[٥٥١]، ويقول:" وَمِنْ طَرَائِفِ الْمَصَائِبِ قَوْلُ بَعْضِ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ "[٥٥٢] .

ويختتم الكاتب حديثه عن فضل العلم بقول ابن حزم منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة، وهو أنه يعلم حسن فضائلها فيأتيها ولو في الندرة، ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة، ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله، والثناء الرديء فينفر منه، فعلى هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل فضيلة، وللجهل حصة في كل رذيلة، ولا يأتي الفضائل من لم يتعلم العلم إلا صافي الطبع جداً، فاضل التركيب، وهذه منزلة خُصَّ بها النبيون عليهم الصلاة والسلام، لأن الله تعالى علمهم الخير كله، دون أن يتعلموا من الناس "[٥٥٣] .

٢– حسان محمد حسان، مرجع سابق، ص١٥٤ .
٣– النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن حزام ت٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب للشيرازي، تحقيق وتعليق: محمد نجيب المطيعي، السعودية: جدة: مكتبة الإرشاد، (ب.ت)، ج١، ص٤١ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٥٩، ص١٤٥ .
٢– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٤٣، ص٩٨ .
٣– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٦، ص١٥١ .
٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٨٣٣، ص١٠٣ .
٥– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٧٩٠، ص١٣ .
٦– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص ٢٥ .

ويتضح مما سبق أن ابن حزم قد سطَّر في كتابه كثيراً من النصوص التي تحضُّ على العلم، وإن كان كتابه بأكمله دليلاً على علمه، فالعلم يطبع النفس على الفضائل ويبعدها عن الرذائل، وهذا هو المرجو من التربية وهدفها الأسمى، فالعلم هو السبيل لمعرفة النفس التي يحملها الإنسان بين جنبيه، ومن ثمَّ التحلِّي بالحكمة في التعامل معها، ومع الآخرين، مما يحقق تواصلاً فعّالاً في المجتمع من شأنه أن يعمل على نهضته وتقدمه ورقيه .

ثانياً : الاستئجار للتعليم :

اختلف المفكرون المسلمون في أخذ الأجرة على التعليم، فمنهم من أجازها ومنهم من منعها، " وباب الإجارة من الأبواب المهمة في الفقه الإسلامي، وذلك لتنظيمه أموراً تتعلق بعلاقة العامل بصاحب العمل ومن حيث حقوق كل منهما وواجباته، ويمثل هذا الأمر جانباً مهماً من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأي مجتمع "[٥٥٤] .

١- حكم الاستئجار للتعليم :

أباح ابن حزم الاستئجار للتعليم، فيقول : " الإِجَارَةُ جَائِزَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَقَدْ أَمَرَ ÷ بِالْمُؤَاجَرَةِ وَأَبَاحَهَا وَحَضَّ عَلَى إعْطَاءِ الأَجِيرِ أَجْرَهُ، فَكَانَ هَذَا جَائِزًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إلاَّ مَا مَنَعَ مِنْهُ نَصٌّ فَقَطْ "[٥٥٥] .

ففي هذا النص يبيح ابن حزم الإجارة عامةً إن كانت في طاعة، وقال بجوازها في كل شيء إلا ما جاء فيه نص يمنع المؤاجرة فيه، وفي شأن المؤاجرة يقول في كتاب الإجارة : " وَرُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ صَدَقَةَ الدِّمَشْقِيِّ، عَنِ الْوَضِينِ بْنِ عَطَاءٍ قَالَ : كَانَ بِالْمَدِينَةِ ثَلاَثَةُ مُعَلِّمِينَ يُعَلِّمُونَ الصِّبْيَانَ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَرْزُقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ كُلَّ شَهْرٍ، وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : كَانَ بِالْمَدِينَةِ مُعَلِّمٌ عِنْدَهُ مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلِيَاءِ الْفِخَامِ فَكَانُوا يَعْرِفُونَ حَقَّهُ فِي النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ، قال أبو محمد : مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَدْرَكَ أَكَابِرَ الصَّحَابَةِ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو قَتَادَةَ فَمَنْ دُونَهُمَا، وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ : مَا عَلِمْت أَحَدًا كَرِهَ أَجْرَ الْمُعَلِّمِ "[٥٥٦] .

وعليه فإن ابن حزم يجوّز أن يأخذ المعلم أجرة على تعليمه العلم، واستدل بأن سيدنا عمر بن الخطاب ا كان يصرف للمعلمين الذين كانوا يعلمون الصبيان رواتب بصفة شهرية، وفي هذا إشارة لضرورة الاعتناء بالمعلم، بحيث لا يدفعه راتبه القليل في

١– محمد ناجح أبو شوشة، مرجع سابق، ص١٦٥ .
٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩١٣، ص٢٧٤ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٠٧، ص١٩٥ .

مهنة التعليم إلى البحث عن عمل آخر بجوار التعليم، أو إلى ترك مهنة التعليم نهائياً؛ لتحقيق احتياجاته ومتطلباته الأساسية في الحياة، فمهنة التعليم مهنة تحتاج إلى تفرغ لتحصيل العلم .

٢ـ الاستئجار لتعليم القرآن الكريم :

قال ابن حزم بجواز الاستئجار لتعليم القرآن الكريم، فهو يقول : وَالإِجَارَةُ جَائِزَةٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى تَعْلِيمِ الْعِلْمِ مُشَاهَرَةً وَجُمْلَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ وَعَلَى الرَّقْيِ، وَعَلَى نَسْخِ الْمَصَاحِفِ، وَنَسْخِ كُتُبِ الْعِلْمِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ نَصٌّ، بَلْ قَدْ جَاءَتْ الإِبَاحَةُ :كَمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ سِيدَانُ بْنُ مُضَارِبٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ الْبَرَاءُ هُوَ صَدُوقٌ يُوسُفُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الأَخْنَسِ أَبُو مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ إنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلاً لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ فَبَرَأَ فَجَاءَ بِالشَّاءِ إلَى أَصْحَابِهِ فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ "[٥٥٧] .

ويتضح من النص أن ابن حزم أباح الإجارة على عدد من الأمور، هي :

ـ تعليم القرآن

ـ تعليم العلم

ـ نسخ المصاحف، حيث قال : " وَأَجَازَ الْحَسَنُ، وَعَلْقَمَةُ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ الأُجْرَةَ عَلَى نَسْخِ الْمَصَاحِفِ "[٥٥٨]

ـ الرَّقْي

ـ نسخ كتب العلم

وفي غير موضع جوّز ابن حزم أخذ أجرة على تعليم القرآن، فيقول : " وَصَحَّ عَنْ عَطَاءٍ، وَأَبِي قِلاَبَةَ إبَاحَةَ أَجْرِ الْمُعَلِّمِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ "[٥٥٩]، ويقول : " وَالإِجَارَةُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ جَائِزَةٌ، لأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمُؤَاجَرَةِ "[٥٦٠]، وردَّ على بعض الأقوال التي تقول بعدم جواز أخذ أجرة على تعليم القرآن

١ــ المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٠٧، ص١٩٣-١٩٤ .
٢ــ ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٠٧، ص١٩٥ .
٣ــ المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٠٧، ص١٩٥ .
٤ــ المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٢٨٨، ص١٨٣ .

بقوله : "وَالصَّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ ضِدُّ هَذَا، وَهُوَ : مَا رُوِّينَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ، حَدَّثَنَا سَيْدَانُ بْنُ مُضَارِبٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ الْبَرَاءُ هُوَ يُوسُفُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الأَخْنَسِ أَبُو مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ آخُذُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي دَاوُد، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ عَمِّهِ أَنَّهُ رَقَى مَجْنُونًا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَأَعْطَاهُ أَهْلُهُ شَيْئًا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلْ، فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ، فَصَحَّ أَنَّ الأَكْلَ بِالْقُرْآنِ فِي الْحَقِّ وَفِي تَعْلِيمِهِ حَقٌّ، وَأَنَّ الْحَرَامَ إِنَّمَا هُوَ أَنْ يَأْكُلَ بِهِ رِيَاءً، أَوْ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى"[٥٦١] .

ومما سبق يتضح جواز أخذ أجرة على تعليم القرآن الكريم، وفي هذا يقول أحد الكتَّاب : " وفي إباحة أخذ الأجرة عن تعليم القرآن الكريم دافع إلى قيام البعض بدراسة القرآن الكريم وعلومه كي يصبحوا مؤهلين لتدريس هذه العلوم للآخرين، وجواز أخذ الأجرة على هذا التعليم يجعل القائمين عليه أكثر تفرغاً للاستزادة من علوم القرآن الكريم وأكثر قدرة بالتالي على إفادة المتعلمين "[٥٦٢] .

٣- ضرورة تحديد العمل والمدة في الاستئجار :

يقول ابن حزم : " وَمِنْ الإِجَارَاتِ مَا لاَ بُدَّ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْعَمَلِ الَّذِي يُسْتَأْجَرُ عَلَيْهِ فَقَطْ، وَلاَ يُذْكَرُ فِيهِ مُدَّةٌ كَالْخِيَاطَةِ وَالنَّسْجِ وَرُكُوبِ الدَّابَّةِ إلَى مَكَان مُسَمًّى، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمِنْهَا مَا لاَ بُدَّ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْمُدَّةِ كَسُكْنَى الدَّارِ وَرُكُوبِ الدَّابَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمِنْهُ مَا لاَ بُدَّ فِيهِ مِنْ الأَمْرَيْنِ مَعًا كَالْخِدْمَةِ وَنَحْوِهَا فَلاَ بُدَّ مِنْ ذِكْرِ الْمُدَّةِ وَالْعَمَلِ، لأَنَّ الإِجَارَةَ بِخِلاَفِ مَا ذَكَرْنَا مَجْهُولَةٌ وَإِذَا كَانَتْ مَجْهُولَةً فَهِيَ أَكْلُ مَالٍ بِالْبَاطِلِ، وَالإِجَارَةُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ جَائِزَةٌ، لأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمُؤَاجَرَةِ "[٥٦٣]
ويوضح ابن حزم ضرورة تحديد نوع العمل في بعض الإجارات، وأيضاً تحديد مدة الإجارات، وبعض الإجارات يستدعي تحديد الاثنين معاً، فقد قسّم الإجارات إلى ما يلي :

- إجارات محددة العمل .
- إجارات محددة المدة .
- إجارات محددة العمل والمدة .

١– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٨٤٧، ص٤٩٩ .
٢– محمد ناجح أبو شوشة، مرجع سابق، ص١٧٠ .
٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٢٨٨، ص١٨٣ .

وذلك لأن الإجارات إن لم تكن محددةً فإنها مجهولة، وإذا كانت مجهولة فهي أكل مال بالباطل، ويؤكد ابن حزم هذا بقوله : " وَلاَ يَجُوزُ اسْتِئْجَارُ دَارٍ، وَلاَ عَبْدٍ، وَلاَ دَابَّةٍ، وَلاَ شَيْءٍ أَصْلاً لِيَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، وَلاَ لِشَهْرٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، وَلاَ لِعَامٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ؛ لأَنَّ الْكِرَاءَ لَمْ يَصِحَّ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَعْرِفْ فِيهِ الْمُسْتَأْجِرُ حَقَّهُ فَهُوَ أَكْلُ مَالٍ بِالْبَاطِلِ وَعَقْدٌ فَاسِدٌ "(٥٦٤)، ويقول : " وَلاَ تَجُوزُ الإِجَارَةُ إلاَّ بِمَضْمُونٍ مُسَمًّى مَحْدُودٍ فِي الذِّمَّةِ، أَوْ بِعَيْنٍ مُعَيَّنَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ مَعْرُوفَةِ الْحَدِّ وَالْمِقْدَارِ "(٥٦٥) .

إنَّ من أهم شروط صحة عقد الإجارة بين المستأجِر والمستأجَر تحديد العمل الذي سيقوم به المستأجَر، كذلك تحديد المدة الزمنية التي سيظل المستأجَر يعملها للحصول على المتفق عليه بين الطرفين سواء كان أجراً مالياً أو عيناً .

ويسقط الكاتب الكلام السابق على مثالٍ تربوي حي نعيشه، فلو أن رجلاً اتفق مع معلم ليعلم ابنه، وجاء المعلم في المواقيت المتفق عليها (المدة)، وقام بالتعليم المتفق عليه (العمل)، فهو مستحقٌ للأجر الذي اتفق عليه الطرفان مسبقاً .

٤- جواز التعليم كصداق :

ذكر ابن حزم قاعدة مهمة في هذا الشأن نصها : "وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ صَدَاقًا كُلُّ مَا لَهُ نِصْفٌ قَلَّ أَوْ كَثُرَ وَلَوْ أَنَّهُ حَبَّةُ بُرٍّ أَوْ حَبَّةُ شَعِيرٍ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ حَلاَلٍ مَوْصُوفٍ، كَتَعْلِيمِ شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ الْعِلْمِ أَوْ الْبِنَاءِ أَوْ الْخِيَاطَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ إذَا تَرَاضَيَا بِذَلِكَ "(٥٦٦) .

وقد جعل النبي ق تعليم القرآن صداقاً، حينما زوَّج المرأةَ التي وهبت له نفسها لشاب بما معه من القرآن، وقد روى هذا ابن حزم بقوله : " وَمِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ فَاصْنَعْ فِي مَا شِئْتَ فَقَالَ لَهُ شَابٌّ عِنْدَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا قَالَ : أَوَعِنْدَكَ شَيْءٌ تُعْطِيهَا إيَّاهُ قَالَ : مَا أَعْلَمُهُ، قَالَ : فَانْطَلِقْ فَاطْلُبْ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ شَيْئًا، وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ : مَا وَجَدْتُ شَيْئًا إلاَّ إزَارِي هَذَا، قَالَ : إزَارُكَ هَذَا إنْ أَعْطَيْتَهَا إيَّاهُ لَمْ يَبْقَ عَلَيْك شَيْءٌ، قَالَ : أَتَقْرَأُ أُمَّ الْقُرْآنِ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَانْطَلِقْ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا فَعَلِّمْهَا مِنْ الْقُرْآنِ "(٥٦٧) .

١- المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، مسألة١٢٩٨، ص١٩٠ .
٢- المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، مسألة١٣٢٦، ص٢٣٠ .
١- ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٨٤٧، ص٤٩٤ .
٢- المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٨٤٧، ص٤٩٧-٤٩٨ .

وفي موضعين آخرين يشير إلى هذه القصة :

الموضع الأول : " حَدَّثَنَا حُمَامُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَاضِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاجِيَّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ الْمُرَادِيُّ، حَدَّثَنَا بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ هُوَ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَوَّجَ رَجُلاً مِنْ امْرَأَةٍ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَهَا سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ"(٥٦٨) .

الموضع الثاني : " وَالْخَبَرُ الْمَشْهُورُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ رَجُلٍ بِمَا مَعَهُ مِنْ الْقُرْآنِ أَيْ لِيُعَلِّمَهَا إيَّاهُ "(٥٦٩) .

وعليه فقد جوَّز ابن حزم أن يكون تعليم القرآن أو تعليم العلم بصفة عامة أو أي عمل صداقاً، بشرط أن يكون هذا العمل حلالاً موصوفاً، وذلك إذا اتفق الطرفان على ذلك.

وكثير من العلماء أجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم، لأنه استئجار على عمل معلوم بعوض معلوم، ويختتم الكاتب هذا الجزء بما قاله أستاذه الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب : " ذهب أكثرية الفقهاء إلى جواز أخذ أجرة على تعليم القرآن، وعلى تعليم العلم واستدلوا بأدلة كثيرة أهمها :

١- عدم ورود نهي عن أخذ هذه الأجرة .

٢- ورود إباحة ذلك بحديث صحيح رواه البخاري، هو حديث : إن نفراً من أصحاب رسول الله ق مروا بقوم...وفي آخره : إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله.

٣- الخبر المشهور : أن رسول الله ق زوَّج امرأة من رجل بما معه من القرآن، أي ليعلمها إيَّاه، وهذا قول مالك والشافعي وغيرهما .

٤- ورود آثار عن الصحابة والتابعين تدل على جواز ذلك "(٥٧٠).

ثالثاً : تعليم السحر :

١- حكم السحر والساحر :

اختلف الفقهاء في حكم السحر وتعليمه، فينقل ابن حزم رأيَ أبي حنيفة الذي يقول : " يُقْتَلُ السَّاحِرُ وقولَ مالك : " يُقْتَلُ السَّاحِرُ وَلا يُسْتَتَابُ وَالسِّحْرُ كُفْرٌ"(٥٧١)، وقولَ الشافعي : " إنْ كَانَ الكلامُ الّذِي يُسْحَرُ بِهِ كُفْرَاً فَالسَّاحِرُ مُرْتَدٌّ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ كُفْرَاً فَلا يُقْتَلُ لأَنَّهُ لَيْسَ كُفْرَاً "(٥٧٢)، وقد احتجوا في هذه الآراء بقول الله عز وجل :

١– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٨٤٧، ص٤٩٨ .
٢– المرجع السابق، المجلد٥، الجزء٨، المسألة١٣٠٧، ص١٩٤ .
٣– مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي شخصيات ونصوص، مصر: القاهرة: مكتبة كوميت، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ، ص٢٢٤، ٢٢٥ .
٢– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص ٣٩٤ .
٣– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص ٣٩٤ .

وَاتَّبَعُوا َما تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُ
ولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَاشَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) [البقرة:١٠٢].

لكن ابن حزم بعد عرض ما احتجوا به يقول : " فَصَحَّ أَنَّهُ لاَ حُجَّةَ لَهُمْ فِي تَكْفِيرِ السَّاحِرِ مِنْ النَّاسِ : بِأَنَّ الشَّيَاطِينَ يَكْفُرُونَ بِتَعْلِيمِهِ هَذَا لَوْ صَحَّ لَهُمْ أَنَّ كُفْرَ الشَّيَاطِينِ لَمْ يَكُنْ إلاَّ بِتَعْلِيمِهِمْ النَّاسَ السِّحْرَ خَاصَّةً وَهَذَا لاَ يَصِحُّ لَهُمْ أَبَدًا، بَلْ قَدْ كَفَرُوا قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَانَ تَعْلِيمُهُمْ النَّاسَ السِّحْرَ ضَلاَلاً زَائِدًا، وَمَعْصِيَةً حَادِثَةً أُخْرَى، وَهَذَا هُوَ مُقْتَضَى ظَاهِرِ الآيَةِ الَّذِي لاَ يَجُوزُ أَنْ يُحَالَ عَنْهُ أَلْبَتَّةَ، إلاَّ بِالدَّعْوَى الْعَارِيَّةِ مِنْ الْبُرْهَانِ "(٥٧٣)

وفى النص السابق يوضح ابن حزم أن القائلين بكفر الساحر قد أحالوا الآية الكريمة عن مقصدها دون برهان، فإنَّه لا يرى حجة في تكفير الساحر من الناس، فالسحر ليس كفراً ولا يقتل الساحر بسحره .

٢- حكم تعليم السحر :

يقول ابن حزم : " ثُمَّ صِرْنَا فَوَجَدْنَاهُمْ لاَ حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ أَصْلاً بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ لأَنَّهُ إنَّمَا فِي هَذَا الْكَلاَمِ النَّهْيُ، عَنِ الْكُفْرِ جُمْلَةً، وَلَمْ يَقُولاَ : فَلاَ تَكْفُرْ بِتَعَلُّمِك السِّحْرِ، وَلاَ بِعِلْمِك السِّحْرَ، هَذَا مَا لاَ يُفْهَمُ مِنْ الآيَةِ أَصْلاً، وَهَكَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِﷺ: لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ إنَّمَا هُوَ نَهْيٌ أَنْ يَكْفُرُوا ابْتِدَاءً، وَعَنْ أَنْ يَرْتَدُّوا فَقَطْ، لاَ أَنَّهُمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا يَكُونُونَ كُفَّارًا، وَهَذَا بَيِّنٌ لاَ خَفَاءَ بِهِ، وَبِاَللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ، وَكُلُّ مَنْ أُقْحِمَ فِي هَذِهِ الآيَةِ : أَنَّ قوله تعالى حَاكِيًا عَنِ الْقَائِلِينَ : إنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ أَنَّ مُرَادَهُمَا لاَ تَكْفُرْ بِتَعَلُّمِك مَا نُعَلِّمُك فَقَدْ كَذَبَ، وَزَادَ فِي الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَمَا لاَ دَلِيلَ عَلَيْهِ أَصْلاً "(٥٧٤) .

ويتضح من خلال هذا النص أن ابن حزم لا يُكَفِّرُ مَن يتعلم السحر، ويعد أَنَّ مَن يُصْدُرُ هذا الحكم على من يتعلم السحر قد زاد في القرآن الكريم ما ليس فيه بغير دليل، وعلي الرغم من هذا فإنَّه لم يسطر رأيه صريحاً في تعليم السحر، رغم أنه

٥- المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص٣٩٨ .
١- ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص٣٩٨-٣٩٩ .

أفرد السحر بمسألة خاصة تقع في عشر صفحات، لكن رأيه يفهم من سياق عرضه ورده على آراء الفقهاء الآخرين .

٣- السحر معصية :

وفي محاولة للكاتب للوصول إلى رأي واضح لابن حزم في السحر وتعلمه، رأى الكاتب عرض قوله : " فَنَظَرْنَا هَلْ نَجِدُ فِي السِّحْرِ نَصًّا ثَابِتًا بِتِبْيَانٍ مَا هُوَ فَوَجَدْنَا مِنْ طَرِيق مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ : الشِّرْكُ بِاَللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ، فَكَانَ هَذَا بَيَانًا جَلِّيًا بِأَنَّ السِّحْرَ لَيْسَ مِنْ الشِّرْكِ، وَلَكِنَّهُ مَعْصِيَةٌ مُوبِقَةٌ كَقَتْلِ النَّفْسِ وَشَبَهِهَا، فَارْتَفَعَ الإِشْكَالُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَصَحَّ أَنَّ السِّحْرَ لَيْسَ كُفْرًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ كُفْرًا فَلاَ يَحِلُّ قَتْلُ فَاعِلِهِ، لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : كُفْرٌ بَعْدَ إيمَانٍ، وَزِنًى بَعْدَ إحْصَانٍ، وَنَفْسٌ بِنَفْسٍ، فَالسَّاحِرُ لَيْسَ كَافِرًا كَمَا بَيَّنَّا، وَلاَ قَاتِلاً، وَلاَ زَانِيًا مُحْصَنًا، وَلاَ جَاءَ فِي قَتْلِهِ نَصٌّ صَحِيحٌ فَيُضَافُ إلَى هَذِهِ الثَّلاَثِ، كَمَا جَاءَ فِي الْمُحَارِبِ، وَالْمَحْدُودِ فِي الْخَمْرِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَصَحَّ تَحْرِيمُ دَمِهِ بِيَقِينٍ لاَ إشْكَالَ فِيهِ "(٥٧٥) .

وعدة أمور تتضح من هذا النص، هي :

١- السحر ليس كفراً .

٢- السحر معصية موبقة .

٣- الساحر ليس كافراً .

٤- لا يحل قتل الساحر بسحره، لأن الذين يحل دمهم ثلاثة :

أ – الكافر بعد إيمان .

ب- الزاني بعد إحصان .

ج – قاتل النفس .

والساحر ليس من هؤلاء الثلاثة، ومن النصوص التي أوردها تدليلاً على عدم جواز قتل السحر بسحره، قوله : " وَوَجَدْنَا أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : إنَّ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ حَدَّثَهُمْ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحِرَ حَتَّى يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ، وَلاَ يَأْتِيهِنَّ قَالَ

١– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص٤٠٠ .

ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنْ السِّحْرِ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهِ فِيهِ أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلآخَرِ مَا بَالُ الرَّجُلِ فَقَالَ : مَطْبُوبٌ، قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفُ الْيَهُودِ، وَكَانَ مُنَافِقًا قَالَ : وَفِيمَ قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ قَالَ : فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ، قَالَ : فَأَتَى الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، قَالَ : فَهَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي رَأَيْتُهَا، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قَالَ : فَاسْتُخْرِجَ، فَقُلْتُ : أَفَلاَ تَنَشَّرْتَ قَالَ : أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا "[٥٧٦] .

فرسول الله ﷺ قد سُحِرَ، وعَلِمَ ساحره ولم يقتله، وعَلَّقَ ابن حزم على هذا النص بقوله : " فَهَذَا خَبَرٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ عَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ مَنْ سَحَرَهُ، فَلَمْ يَقْتُلْهُ"[٥٧٧].

وبعد هذا العرض يقول الكاتب : إن كان السحر في رأى ابن حزم ليس كفراً، وتعلمه ليس كفراً، إلَّا أنه أقرَّ بأن السحر موبقٌ، وتعلم الشيء الذي لا يفيد مضيعة للجهد وللوقت، فما بال الشيء الذي يضر ويهلك.

فتعلم السحر ما هو إلا صورة من الشعوذة التي يُضاد بها الإيمان بالله، ويُعارض بها الإسلام، ويعطل بها العقل، وعليه فواجب المسلم أن ينأي بنفسه عنه، وأن يدَّخر جهده ووقته في تعلم ما يفيد عقله، ويقوي عقيدته، ويصحح علاقته بالله عز وجل .

رابعاً : الضرب في التعليم :

يستنبط الكاتب أن ابن حزم قد جوَّز ضرب المعلم للمتعلم لغرض التربية، بشرط ألا يترك هذا الضرب آثاراً سيئةً على المتعلم، فيقول : " وَكَانَ فِي أَصْحَابِنَا فَتًى اسْمُهُ : يَبْقَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرَبَهُ مُعَلِّمُهُ فِي صِبَاهُ بِقَلَمٍ فِي خَدِّهِ فَيَبِسَتْ عَيْنُهُ، فَهَذَا عَمْدٌ يُوجِبُ الْقَوَدَ، لأَنَّ الضَّرْبَةَ كَانَتْ فِي الْعَصَبَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالنَّاظِرِ [٥٧٨]، فلم ينكر الضرب في ذاته، لكنه أنكر أن يكون الضرب مبرحاً، يُخَلِّفُ وراءه ألماً مستديماً .

وفي موضع آخر يبيِّن صفات وضوابط الضرب المقبول : أَنْ لاَ يُكْسَرَ لَهُ عَظْمٌ، وَلاَ أَنْ يُشَقَّ لَهُ جِلْدٌ، وَلاَ أَنْ يُسَالَ الدَّمُ، وَلاَ أَنْ يَعْفَنَ لَهُ اللَّحْمُ، لَكِنْ بِوَجَعٍ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، فَمَنْ تَعَدَّى فَشَقَّ فِي ذَلِكَ الضَّرْبِ جِلْدًا، أَوْ أَسَالَ دَمًا، أَوْ عَفَّنَ لَحْمًا، أَوْ كَسَرَ لَهُ عَظْمًا، فَعَلَى مُتَوَلِّي ذَلِكَ الْقَوَدُ، وَعَلَى الآمِرِ أَيْضًا الْقَوَدُ إنْ أَمَرَ بِذَلِكَ، ، فَعَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّ لِضَرْبِ الْحُدُودِ قَدْرًا لاَ يَتَجَاوَزُهُ وَقَدْرًا لاَ يَنْحَطُّ عَنْهُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَا أَدْنَى أَقْدَارِهِ أَنْ يُؤْلِمَ ، فَمَا نَقَصَ ، عَنِ الأَلَمِ فَلَيْسَ مِنْ أَقْدَارِهِ وَهَذَا مَا لاَ خِلاَفَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ وَكَانَ أَعْلَى أَقْدَارِهِ نِهَايَةُ الأَلَمِ "[٥٧٩] .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص٤٠٠ .
٢– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٣٠٤، ص٤٠١ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٧، الجزء١٠، المسألة٢٠٢٨، ص٤٢٧ .
١– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٨٨، ص١٦٩-١٧٠ .

ويقول ابن حزم أيضاً : " لاَ يَحِلُّ الامْتِحَانُ فِي شَيْءٍ مِنْ الأَشْيَاءِ بِضَرْبٍ، وَلاَ بِسَجْنٍ، وَلاَ بِتَهْدِيدٍ، لأَنَّهُ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ قُرْآنٌ، وَلاَ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ، وَلاَ إجْمَاعٌ، وَلاَ يَحِلُّ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْ الدِّينِ، إلاَّ مِنْ هَذِهِ الثَّلاَثَةِ النُّصُوصِ بَلْ قَدْ مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَشَرَ، وَالْعِرْضَ، فَلاَ يَحِلُّ ضَرْبُ مُسْلِمٍ، وَلاَ سَبُّهُ إلاَّ بِحَقٍّ أَوْجَبَهُ الْقُرْآنُ، أَوْ السُّنَّةُ الثَّابِتَةُ

وعليه فيوضح ابن حزم شروطه في الضرب، وهي :

١- ألا يكون ضرباً تكسر معه العظام

٢- ألا يكون ضرباً تشق معه الجلود

٣- ألا يكون ضرباً تسال معه الدماء

٤- ألا يكون ضرباً يعفن معه لحم الجسد

لكن ابن حزم قال بأن للضرب حداً أدنى وهو أن يؤلم، وله حد أقصى وهو قمة الألم .

ويحدد الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب بعضاً من الضوابط الشرعية للضرب قائلاً[٥٨٠] :

١- أن يكون بين كل ضربتين وقت يسمح بزوال أثر الأولى .

٢- ألا يكون مبرحاً (أي يُخشى منه تلف عضو أو تلف النفس).

٣- ألا يكون في موضع واحد بل متفرقاً

٤- ألا يكون في مكان حساسٍ قد يسبب الموت أو الألم الشديد

٥- ألا يزيد عن عشرة أسواط

فقد يكون الضرب سبباً في تغيير المنكر، وفي هذا يقول ابن حزم : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ إنْ اسْتَطَاعَ فَكَانَ هَذَا أَمْرًا بِالأَدَبِ عَلَى مَنْ أَتَى مُنْكَرًا وَالامْتِنَاعُ مِنْ الصَّلاَةِ، وَمِنْ الطَّهَارَةِ مِنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ، وَمِنْ صِيَامِ رَمَضَانَ، وَمِنْ الزَّكَاةِ، وَمِنْ الْحَجِّ، وَمِنْ أَدَاءِ جَمِيعِ الْفَرَائِضِ كُلِّهَا وَمِنْ كُلِّ حَقٍّ لآدَمِيٍّ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ مُنْكَرٌ، بِلاَ شَكٍّ وَبِلاَ خِلاَفٍ مِنْ أَحَدٍ مِنْ الأُمَّةِ؛ لأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، وَالْحَرَامُ مُنْكَرٌ بِيَقِينٍ، فَصَحَّ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إبَاحَةُ ضَرْبِ كُلِّ مَنْ ذَكَرْنَا بِالْيَدِ، وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لاَ يَضْرِبَ فِي التَّعْزِيرِ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةٍ "[٥٨١] .

٣– مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي شخصيات ونصوص، مرجع سابق، ص٢٣٦ .

١– ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٢٩٨، ص٣٧٩-٣٨٠ .

ففي هذا النص يقر ابن حزم ضرورة تأديب آتي المنكر، والمقصر في أداء ما عليه والمقصر في حق آدمي آخر، والمتعلم المقصر هو مقصر في حق نفسه، فكان الضرب له أولى، لكن لا يضرب فوق عشر جلدات، يقول النبي " لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حدود الله "[٥٨٢] .

فاستخدام الضرب كوسيلة من الوسائل التأديبية في العملية التعليمية مباح ومن الأمور المشروعة، قال النبي مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر "[٥٨٣]، ومن الحديث يستنتج الكاتب أن الضرب جاء في مرحلة متأخرة بعد التعليم لمدة ثلاث سنوات كاملة، فالواجب بأن يكون الضرب هو آخر الحلول التي يلجأ إليها المعلم، وبحكم عمل الكاتب أخصائي تدريس بإحدى المدارس الإعدادية فقد لاحظ أن هناك من الأمور ما لا يغيرها إلا الضربُ .

خامساً : التعامل مع المصحف وكتب العلم :

تعرض ابن حزم إلى قضية التعامل مع المصحف وكتب العلم، من خلال عرضه لمجموعة من آراء عن : الطهارة لمس المصحف، بيع المصاحف وكتب العلم، سرقة المصاحف وكتب العلم، السفر بالمصحف، وفيما يلي يلقي الكاتب الضوء على هذه الآراء .

١- حكم الطهارة لمس المصحف :

يقول ابن حزم : " وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودُ فِيهِ وَمَسُّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى جَائِزٌ، كُلُّ ذَلِكَ بِوُضُوءٍ وَبِغَيْرِ وُضُوءٍ وَلِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ "[٥٨٤] .

وعليه فإنَّه قد جوَّز مس المصحف دون طهارة، وقال راداً على بعض الآراء : "وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ مَا حَدَّثَنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبِيعٍ قَالَ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُفَرِّجٍ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ السَّكَنِ، حدثنا الْفَرَبْرِيُّ، حدثنا الْبُخَارِيُّ، حدثنا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، حدثنا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ هِرَقْلَ فَدَعَا هِرَقْلُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ : بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْك إثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَ كِتَابًا وَفِيهِ هَذِهِ الآيَةُ إلَى النَّصَارَى وَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّهُمْ يَمَسُّونَ ذَلِكَ الْكِتَابَ "[٥٨٥] .

٢– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الحدود، باب كم التعزير والأدب، ج٨، صـ١٧٤، رقم الحديث٦٨٤٨.
٣– أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج١، صـ١٣٣، رقم الحديث٤٩٥ .
١– ابن حزم، المحلي، مرجع سابق، المجلد١، الجزء١، المسألة١١٦، ص٧٧ .
١– المرجع السابق، المجلد١، الجزء١، المسألة١١٦، ص٨٢-٨٣ .

ولعل هذه الإجازة بالتعامل مع المصحف على كل حالة بطهارة وبغير طهارة تمكن طلاب العلم من مدارسة القرآن وقراءته، وفيها رفع للحرج عن طلاب العلم ممن تتطلب دراستهم حمل المصحف .

فَلَمَّا رَأَيْنَا الْمُصْحَفَ يَمَسُّهُ الطَّاهِرُ وَغَيْرُ الطَّاهِرِ عَلِمْنَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَعْنِ الْمُصْحَفَ وَإِنَّمَا عَنَى كِتَابًا آخَرَ، كَمَا أَخْبَرَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ نَبَاتٍ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْبَصِيرِ، حدثنا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلاَمِ الْخُشَنِيِّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حدثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، حدثنا حمام بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا ابْنُ مُفَرِّجٍ، حدثنا ابْنُ الأَعْرَابِيِّ، حدثنا الدَّبَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حدثنا يَحْيَى بْنُ الْعَلاَءِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ : أَتَيْنَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ كَنِيفٍ لَهُ، فَقُلْنَا لَهُ : لَوْ تَوَضَّأْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأْتَ عَلَيْنَا سُورَةَ كَذَا فَقَالَ سَلْمَانُ : إنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨)** وَهُوَ الذِّكْرُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمَلاَئِكَةُ "(٥٨٦) .

وأيضاً بقوله : " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ نَبَاتٍ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْبَصِيرِ، حدثنا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلاَمِ الْخُشَنِيُّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حدثنا شُعْبَةُ، حدثنا مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ إبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ : إنَّهُ كَانَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ مُصْحَفًا أَمَرَ نَصْرَانِيًّا فَنَسَخَهُ لَهُ "(٥٨٧) .

فمن هذه النصوص يتضح أن الإنسان يستطيع أن يتعامل مع المصحف دون طهارة، بل إن بعض الآراء كما يتضح من النصوص تقول بجواز مس النصارى للمصحف .

وفيما يتعلق بكتب العلم مثل كتب التفسير وكتب الفقه وغيرها من الكتب، فيستطيع الكاتب أن يقول ما دام أن ابن حزم قد جوّز مس المصحف بغير طهارة وهو الكتاب الأجلّ، فعليه فإن مس ما دونه من الكتب بغير طهارة جائز .

٢- حكم بيع المصحف وكتب العلم :أجاز ابن حزم ذلك بقوله : وَبَيْعُ الْمَصَاحِفِ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ كُتُبِ الْعُلُومِ عَرَبِيُّهَا وَعَجَمِيُّهَا؛ لأَنَّ الَّذِي يُبَاعُ إنَّمَا هُوَ الرَّقُّ أَوْ الْكَاغَدُ أَوْ الْقِرْطَاسُ وَالْمِدَادُ، وَالأَدِيمُ إنْ كَانَتْ مُجَلَّدَةً وَحِلْيَةً إنْ كَانَتْ عَلَيْهَا فَقَطْ، وَأَمَّا الْعِلْمُ فَلاَ يُبَاعُ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ جِسْمًا"(٥٨٨) .

١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد١، الجزء١، المسألة١١٦، ص٨٣-٨٤ .
٢– المرجع السابق، المجلد١، الجزء١، المسألة١١٦، ص٨٤ .
٣– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٥٥٧، ص٤٤-٤٥ .

ورد على بعض الفقهاء القائلين بعدم جواز بيع المصحف قائلاً : " وَأَمَّا نَحْنُ فَلاَ حُجَّةَ عِنْدَنَا فِي قَوْلِ أَحَدٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثُرَ الْقَائِلُونَ بِهِ أَمْ قَلُّوا كَائِنًا مَنْ كَانَ الْقَائِلُ، لاَ نَتَكَهَّنُ فَنَقُولُ : مِثْلُ هَذَا لاَ يُقَالُ بِالرَّأْيِ، فَنَنْسُبُ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَهَذَا هُوَ الْكَذِبُ عَلَيْهِ جِهَارًا، وَالْحُجَّةُ كُلُّهَا : فَبَيْعُ الْمَصَاحِفِ كُلِّهَا حَلاَلٌ، إذْ لَمْ يُفَصِّلْ لَنَا تَحْرِيمَهُ : وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا وَلَوْ فَصَّلَ تَحْرِيمَهُ لَحَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى تَقُومَ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى عِبَادِهِ "[٥٨٩] .

فبيع المصاحف وكل كتب العلم جائز لا شيء فيه بمنطوق نص ابن حزم الذي اعتمد فيه على نص قرآني

٣- حكم سرقة المصحف وكتب العلم :انقسم الفقهاء في هذا الحكم إلى فريقين، فريق يرى القطع على السارق، والفريق الآخر يقول بعدم القطع، ويرد ابن حزم على مَن لا يرون القطع بقوله : " وَاحْتَجَّ مَنْ لَمْ يَرَ الْقَطْعَ بِأَنْ قَالَ : إنَّ لَهُ فِيهِ حَقَّ التَّعْلِيمِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَنْعُهُ عَمَّنْ احْتَاجَ إلَيْهِ، قَالَ : فَلَمَّا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ كَانَ كَمَنْ سَرَقَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، قَالَ : وَالْفِضَّةُ تَبَعٌ؛ لأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي بَيْعِهِ، كَمَا يَدْخُلُ فِي بَيْعِهِ الْجِلْدُ، وَالدَّفَّتَانِ وَهَذَا كَلاَمٌ فِي غَايَةِ الْفَسَادِ وَالْبَاطِلِ : أَوَّلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لأَنَّ لَهُ فِيهِ حَقُّ التَّعْلِيمِ وَقَدْ كَذَبَ، إنَّمَا حَقُّ الْمُتَعَلِّمِ فِي التَّلْقِينِ فَقَطْ، لاَ فِي مُصْحَفِ النَّاسِ أَصْلاً، إذْ لَمْ يُوجِبْهُ قُرْآنٌ، وَلاَ سُنَّةٌ، وَلاَ إجْمَاعٌ، وَإِنَّمَا فَرَضَ عَلَى النَّاسِ تَعْلِيمَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقُرْآنَ تَدْرِيسًا وَتَحْفِيظًا وَهَكَذَا كَانَ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ، ي، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلاَ خِلاَفٍ مِنْ أَحَدٍ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ مُصْحَفٌ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُلَقِّنُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيُقْرِئُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمَنْ احْتَاجَ مِنْهُمْ أَنْ يُقَيِّدَ مَا حَفِظَ كَتَبَهُ فِي الأَدِيمِ، وَفِي اللِّخَافِ، وَالأَلْوَاحِ، وَالأَكْتَافِ فَقَطْ، فَبَطَلَ قَوْلُهُ : إنَّ لِلسَّارِقِ حَقًّا فِي الْمُصْحَفِ، وَصَحَّ أَنَّ لِصَاحِبِ الْمُصْحَفِ مَنْعُهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، إذْ لاَ ضَرُورَةَ بِأَحَدٍ إلَيْهِ "[٥٩٠].

ويتضح من رد ابن حزم على مَن لا يرون القطع، أنه يرى القطع في سرقة المصحف، وقد قال ذلك صراحةً في قوله : "فَصَحَّ أَنَّ الْقَطْعَ وَاجِبٌ فِي سَرِقَةِ الْمُصْحَفِ كَانَتْ عَلَيْهِ حِلْيَةٌ أَوْ لَمْ تَكُنْ.

هذا في سرقة المصحف، وأمّا عن رأيه في حكم سرقة كتب العلم بشكل عام، فيرد عليهم : " وَيَلْزَمُهُمْ أَنْ لاَ يُوجِبُوا الْقَطْعَ عَلَى مَنْ سَرَقَ كُتُبَ الْعِلْمِ وَهَذَا خَطَأٌ، بَلْ الْقَطْعُ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَاجِبٌ "[٥٩١] .

١– المرجع السابق، المجلد٦، الجزء٩، المسألة١٥٥٧، ص٤٧ .
٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٢٧٣، ص٣٣٧ .
٢– المرجع السابق، المجلد ٨، الجزء١١، المسألة٢٢٧٣، ص٣٣٨ .

فاتضح من النصوص أن ابن حزم يوجب القطع على سارق المصحف وكتب العلم، ويبدو " في هذا زجر لمَن تسوِّل له نفسه سرقة المصاحف أو كتب العلم وتفويت نفعها على الطلاب والراغبين في مطالعتها من عامة أفراد المجتمع، ذلك إذا كانت في مكتبة مسجد أو مدرسة أو جامعة، أما إذا كانت مملوكة لأفراد فإن هذا الحكم يحميهم أيضاً من اعتداء الآخرين على مصادر المعرفة المملوكة لهم "[٥٩٢] .

هذا مما يضمن وجود مصادر المعرفة متاحةً لكل مَن يطلبها من طلاب العلم القادرين منهم وغير القادرين، كي يكون هذا مشجعاً للطلاب نحو تحصيل العلم بما يسهم في ترسيخ قواعد البناء العلمي الذي يريده المجتمع .

٤- حكم السفر بالمصحف : يقول ابن حزم في هذا : "وَلاَ يَحِلُّ السَّفَرُ بِالْمُصْحَفِ إلَى أَرْضِ الْحَرْبِ لاَ فِي عَسْكَرٍ، وَلاَ فِي غَيْرِ عَسْكَرٍ، رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيُّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ، وقال مالك: إنْ كَانَ عَسْكَرٌ مَأْمُونٌ فَلاَ بَأْسَ بِهِ، قال أبو محمد : وَهَذَا خَطَأٌ، وَقَدْ يُهْزَمُ الْعَسْكَرُ الْمَأْمُونُ، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُعْتَرَضَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُخَصُّ بِلاَ نَصٍّ"[٥٩٣] .

ومن النص السابق يتضح رأي ابن حزم بعدم جواز السفر بالمصحف إلى أرض الحرب حفاظاً على قدسية القرآن الكريم، ويروى " أن ابن عمر ب قال : نـهي رسول الله ق أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو "[٥٩٤]

سادساً : تعلم القرآن :

الأحاديث الشريفة التي تحث على تعلم القرآن الكريم كثيرة، منها :

عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله يقول :اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه "[٥٩٥].

وعن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله خيركم مَن تعلم القرآن وعلَّمه "[٥٩٦] .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجَّة؛ ريحها طيب وطعمها حلو، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛

٣– محمد ناجح أبو شوشة، مرجع سابق، ص١٦١ .
١– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٦١، ص٣٤٩ .
٢– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ج٤، صـ٥٦، رقم الحديث٢٩٩٠.
٣– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج١، صـ٥٥٣، رقم الحديث٨٠٤ .
٤– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم مَن تعلم القرآن وعلمه، ج٦، صـ١٩٢، رقم الحديث٥٠٢٧ .

لاريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ "[٥٩٧] .

وعن عمر بن الخطاب أن النبي ق يقول : " إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين "[٥٩٨] .

وغيرها من الأحاديث التي جاءت تحضُّ على تعليم القرآن، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مَرَّةً فِي كُلِّ شَهْرٍ، فَإِنْ خَتَمَهُ فِي أَقَلَّ : فَحَسَنٌ، وَيُكْرَهُ أَنْ يَخْتِمَ فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَإِنْ فَعَلَ فَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلاَ يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ الْقُرْآنِ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ "[٥٩٩] .

ففي هذا النص يوضح ابن حزم استحبابه لختم القرآن مرةً على الأقل بصفة شهرية، وكيف يختم القرآن مَن لم يتعلمه ؟!، فللقرآن أحكام يقرأ بها منذ عهد الرسول ق وحتى الآن .

والقرآن كلام الله عز وجل، فيجب على مَن يقرأه أن يكون على دراية بهذه الأحكام كي يقرأه على وجهه، فقد رُوِيَ عن النبي ق أنه قال الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران "[٦٠٠]، وابن حزم يقول وَالأَفْضَلُ أَنْ يَؤُمَّ الْجَمَاعَةَ فِي الصَّلاَةِ أَقْرَؤُهُمْ لِلْقُرْآنِ وَإِنْ كَانَ أَنْقَصَ فَضْلاً "[٦٠١]، وفي موضع آخر يقول يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ"[٦٠٢].

ومما سبق يتضح أن الأفضلية في الإمامة للأقرأ، لأنه قادر على القراءة الصحيحة، هذا مما يدلل على ضرورة السعي في تعلم القرآن، فالقرآن هو منهج الحياة الذي لا غنى لكل فرد مسلم عن تعلمه كي يستطيع إقامة حياته على المنهج الرباني الذي أنزله الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز .

١- السعي لتعلم القرآن الكريم :

في كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) يقول ابن حزم : " أَجَلُّ العلوم ما قرَّبك من خالقك تعالى وما أعانك على الوصول إلى رضاه "[٦٠٣]، ولا شيءَ أَجَلُّ من تعلمِ القرآنِ الكريمِ .

٥– أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ج٦، صـ١٩٠، رقم الحديث٥٠٢٠ .

١– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، ج١، صـ٥٥٩، رقم الحديث٨١٧ .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٢٦٤، ص٥٣ .

٣– أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه، ج١، صـ٥٤٩، رقم الحديث٧٩٨ .

٤– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٨٧، ص٢٠٧ .

٥– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٨٧، ص٢٠٧ .

١– ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، مرجع سابق، ص٢٢ .

ويقول وَمَنْ كَانَ لاَ يَحْفَظُ أُمَّ الْقُرْآنِ صَلَّى وَقَرَأَ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ الْقُرْآنِ إنْ كَانَ يَعْلَمُهُ، لاَ حَدَّ فِي ذَلِكَ، وَأَجْزَأَهُ، وَلْيَسْعَ فِي تَعَلُّمِ أُمِّ الْقُرْآنِ "[٦٠٤]، ويقول وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ أُمَّ الْقُرْآنِ صَلَّى كَمَا هُوَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، فَهُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَفِظَ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ غَيْرَهَا لَزِمَهُ فَرْضًا أَنْ يُصَلِّيَ بِهِ، وَيَتَعَلَّمَ أُمَّ الْقُرْآنِ : لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لاَ صَلاَةَ إلاَّ بِقِرَاءَةٍ

ففي هذين النصين حَضٌّ صريح من ابن حزم على السعي في تعلم القرآن الكريم، فقد كرر كلمة ليسعَ في النص الأول ثلاث مرات للحث على ضرورة تعلم القرآن .

وعليه فيتعين على الآباء تعليم أبنائهم القرآن من صغرهم حتى ينشأوا ويتربوا على القرآن، فآباء اليوم يحرصون على تعليم أبنائهم الإنجليزية والفرنسية وينفقون على ذلك الكثير، فالأحرى أن يعلموا أبناءهم ما يستعينون به على إقامة شعائرهم الدينية، ويضمن لهم استقامة حياتهم .

٢- تعلم العربية لتعلم القرآن :

شرَّف الله اللغة العربية بنزول القرآن بها، فارتبطت اللغة العربية بالقرآن الكريم بل بالدين كلِّه، وقد جعل ابن حزم اللغة العربية أصلاً لقراءة القرآن الكريم، فلا تصح قراءة القرآن الكريم بأية لغة غيرها، فيقول وَمَنْ قَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، أَوْ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ فِي صَلاَتِهِ مُتَرْجَمًا بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ بِأَلْفَاظٍ عَرَبِيَّةٍ غَيْرِ الأَلْفَاظِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى، عَامِدًا لِذَلِكَ، أَوْ قَدَّمَ كَلِمَةً أَوْ أَخَّرَهَا عَامِدًا لِذَلِكَ : بَطَلَتْ صَلاَتُهُ، وَهُوَ فَاسِقٌ؛ وَغَيْرُ الْعَرَبِيِّ لَيْسَ عَرَبِيًّا، فَلَيْسَ قُرْآنًا، وَإِحَالَةُ رُتْبَةِ الْقُرْآنِ تَحْرِيفُ كَلاَمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا فَعَلُوا ذَلِكَ وفي موضع آخر يقول : " وَمَنْ أَحَالَ الْقُرْآنَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذَا مَا لاَ خِلاَفَ فِيهِ وَمَنْ كَانَتْ لُغَتُهُ غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ : جَازَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا فِي صَلاَتِهِ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِهَا، وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ : فَلاَ صَلاَةَ لَهُ "[٦٠٥] .

فهذان نصان يوجب فيهما ابن حزم تعلم اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم، ويوضح حجته بقوله : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَصَحَّ أَنَّ غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ يُرْسِلْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ÷، وَلاَ أَنْزَلَ بِهِ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ فَلَمْ يَقْرَأْ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ وَلاَ قَرَأَ الْقُرْآنَ، بَلْ لَعِبَ بِصَلاَتِهِ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ، إذْ لَمْ يُصَلِّ كَمَا أُمِرَ "[٦٠٦] .

٢– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٣٦٥، ص٢٥٠-٢٥١ .
٢– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٦٦، ص١٥٩ .
٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٢، الجزء٤، المسألة٤٦٦، ص١٥٩ .

أمَّا مَن لا يحسن العربية " فَلْيَذْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى بِلُغَتِهِ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ، وَلاَ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ مُتَرْجَمًا عَلَى أَنَّهُ الَّذِي افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَهُ؛ لأَنَّهُ غَيْرُ الَّذِي افْتَرَضَ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَا ؛ فَيَكُونُ مُفْتَرِيًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى "[٦٠٧]، فذكر الله تعالى مباح بغير اللغة العربية لمَن لا يحسن اللغة العربية، لكن قراءة القرآن لا تجوز إلا باللغة التي نزل بـها القرآن .

فوجب على الذين لا يحسنون اللغة العربية تعلمها، حتى يتمكنوا من قراءة القرآن بلغته امتثالاً لقوله **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** [الشعراء:١٩٥] ، وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَبَدَّلَهُ جَاهِلاً، فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى : **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)** [الأنعام:١٩] "[٦٠٨].

لكن عليه أن يتعلم، يقول ابن حزم : " مَنْ أَصَابَ شَيْئًا مُحَرَّمًا فِيهِ حَدٌّ أَوْ لاَ حَدَّ فِيهِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِتَحْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ فِيهِ لاَ إثْمَ، وَلاَ حَدَّ، وَلاَ مَلاَمَةَ لَكِنْ يُعَلَّمُ "[٦٠٩] .

ويتضح مما سبق ما للغة العربية من أهمية ضرورية لقراءة القرآن الكريم، وعليه فإنه ينبغي تعليم اللغة العربية لأهل لسانها ولغير أهل لسانها، تُعَلَّم لأهل لسانها لأن اللهجات العامية الآن أبعدت الفرد عن أصول اللغة، وأدخلت مفردات ومصطلحات جديدة، وأصبحت اللغة الفصحى مهمشة مهجنة لا يهتم بها إلا المتخصصون، وتُعَلَّم لغير أهل لسانها كي يستطيعوا قراءة الحضارة الإسلامية وتاريخها حتى يعلموا عن الإسلام من أهل الإسلام .

ويلاحظ الكاتب أن تقصيراً كبيراً قد أصاب المؤسسات التربوية في اهتمامها بتعليم اللغة العربية، حتى المؤسسات المتخصصة منها في تعليم اللغة العربية قد أصابها بعض العطب، ولعل هذا يرجع إلى موجات العولمة التي هبت على مجتمعاتنا، فأضحت اللغة العربية من أكثر ضحاياها .

سابعاً : تعليم الرمي :

رُوِيَ عن النبي ق عدة أحاديث تدل على فضل الرمي، وتحث على تعلمه، وتنفر من تركه ونسيانه بعد تعلمه، ومن هذه الأحاديث :

١– المرجع السابق، المجلد٢، الجزء٣، المسألة٣٦٧، ص٢٥٤ .
٢– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢٢٩٢، ص٣٧٢ .
٣– المرجع السابق، المجلد٨، الجزء١١، المسألة٢١٩٤، ص١٨٨ .

عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ق أنه قال : " ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا، وكل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته فإنهم من الحق "[٦١٠] .

عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ق قال : " إن الله ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والمُمِدُّ به "[٦١١] .

ويتضح من هذه الأحاديث أمر النبي ق بتعليم الرماية للأولاد، وقد فضَّل النبي ق الرمي على السباق، وبيَّن أن ثواب الرمي يتعدى الرامي إلى صانع السهم وأيضاً المُمِدِّ به .

وقد قال ابن حزم في السباق : " وَالْمُسَابَقَةُ بِالْخَيْلِ، وَالْبِغَالِ، وَالْحَمِيرِ، وَعَلَى الأَقْدَامِ حَسَنٌ "[٦١٢]، ويقول وَتَعْلِيمُ الرَّمْيِ عَلَى الْقَوْسِ وَالإِكْثَارُ مِنْهُ فَضْلٌ حَسَنٌ سَوَاءٌ الْعَرَبِيَّةُ وَالْعَجَمِيَّةُ، رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ نَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ نَا ابْنُ وَهْبٍ نَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ أَلاَ إنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلاَ إنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِسَهْمِهِ، وَمِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ شِمَاسَةَ قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ، ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى "[٦١٣] .

وقد عرف العرب فن الرمي قبل الإسلام، ثُمَّ جاء الإسلام ووضع أسساً ومبادئ أخلاقية للرمي، بحيث يُوظف في خدمة الدين، لأن الرمي فضل عظيم ومنفعة عظيمة للمسلمين، وفي هذا ما يدلل على الحرص على تعليم جند الإسلام الرمي .

ويلمح الكاتب من هذا مجالاً مهماً من مجالات التربية، وهو مجال التربية الجسمية (البدنية)، فإذا كان تعليم الرمي والسباق يجعل المسلمين قادرين على مواجهة أعدائهم، وهذا يتم إسقاطه على حياتنا التعليمية الآن من خلال العناية بالصحة الجسمية للأولاد؛ لذلك ينبغي على المربين العناية بالصحة الجسمية للمتعلمين من خلال تدريبهم على العادات الصحية بممارسة بعض أنواع الرياضة، وإبعادهم عن العادات غير الصحية، هذا من شأنه أن يعمل على تمكن المتعلمين من القدرة على إعمال العقل بشكل مفيد وبذل مزيد من الجهد في سبيل تحصيل العلم .

١– أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الجهاد، باب في الرمي، ج٣، صـ١٣، رقم الحديث٢٥١٣ .
٢– أخرجه ابن ماجة، في سننه، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله، ج٢، صـ٩٤٠، رقم الحديث٢٨١١
٣– ابن حزم، المحلى، مرجع سابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٧١، ص٣٥٣ .
١– المرجع السابق، المجلد٤، الجزء٧، المسألة٩٧٠، ص٣٥٣ .

الفصل الخامس :
الاستفادة التعليمية من آراء ابن حزم التربويـة

تمهيد :

هدفت هذا الكتاب إلى التعرف إلى الآراء التربوية لابن ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) من خلال كتابه " المُحَلَّى "، ومعرفة مدى إمكانية الاستفادة من هذه الآراء التربوية لابن حزم في واقع العملية التربوية والتعليمية المعاصر .

وقد كان كتاب " المُحَلَّى " حافلاً بالآراء التربوية المتناثرة في طيَّاته، وقد حاول الكاتب التوصل إلى هذه الآراء، فخصص لذلك فصولاً عدة، لعرض الآراء التربوية في كتاب " المُحَلَّى " من خلال التحليل والدراسة، والذي تناول فيه :

أولاً : الأهداف التربوية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

ثانياً : التربية الأخلاقية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

ثالثاً : التربية الاجتماعية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

رابعاً : التربية العقلية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

خامساً: التربية الإيمانية في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

سادساً : المسجد كمؤسسة تربوية في رأي ابن حزم كما يعكسه كتاب " المُحَلَّى " .

سابعاً : رعاية الطفل وحقوقه في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

ثامناً : من قضايا العلم والتعليم في رأي ابن حزم كما يعكسها كتاب " المُحَلَّى " .

لكن قبل الخوض في سرد النتائج التي توصل إليها الكاتب، يجد الكاتب إلحاحاً في نفسه يُحَتِّمُ عليه ذكر مدى تأثر ابن حزم الظاهري بالأوضاع التي كانت سائدة في عصره سواءً أكانت هذه الأوضاع سياسيةً أم اجتماعيةً أم علمية، فقد تأثر ابن حزم بالأوضاع السياسية في عصره، ويمكن للكاتب أن يشير إلى مدى تأثر ابن حزم بـهذه الأوضاع في النقاط الآتية :

١- اصطدم ابن حزم بالسياسة من صغره، فقد وُلِدَ ابن حزم في الثلث الأخير من أيام وزارة أبيه .

٢- ولأنه كان من أسرة لها شأن عظيم في السياسة، فقد تولى ابن حزم الوزارة ثلاث مرات لثلاثة من خلفاء بني أمية، هم :

أ/ عبد الرحمن بن محمد، الملقب بالمرتضى، في عام ٤٠٨هـ .

ب/ عبد الرحمن بن هشام، الملقب بالمستظهر، في عام ٤١٤هـ .

ج/ هشام بن محمد، الملقب بالمعتد، في عام ٤١٨هـ .

٣- تعرض ابن حزم للأَسْرِ والسجن نتيجةً للحروب التي خاضها مع خلفاء بني أمية .

٤- انتهى حكم الدولة الأموية في الأندلس بموت هشام بن محمد سنة ٤٢٢هـ، وتوالى ملوك الطوائف على قرطبة، وكان منهم المعتضد بن عباد الذي أحرق كتب ابن حزم .

٥- المحن السياسية التي عصفت بالأندلس، وأطاحت ببني أمية لصالح الطوائف، انعكست على حياة ابن حزم فكراً وسلوكاً، ووظائف ومراتب .

٦- لقد تأثر ابن حزم بالحالة السياسية في كتاباته ومؤلفاته، حيث إنه ألَّف مؤلفات تتناول عرضاً للحياة السياسية في الأندلس، مثل : رسالة نقط العروس من تواريخ الخلفاء، وفي أمهات الخلفاء، وفي جمل فتوح الإسلام .

٧- أُضطهد ابن حزم في أغلى شيءٍ عنده، حينما أحرق المعتضدُ بنُ عباد كتبه؛ بسبب تبيين ابن حزم لفرية المعتضد .

وقد تأثر ابن حزم بالأوضاع الاجتماعية في عصره، ويمكن للكاتب أن يشير إلى مدى تأثر ابن حزم بـهذه الأوضاع في النقاط الآتية :

١- أدى اختلاط المسلمين بالنصارى إلى وجود الجدل بينهم، خاصةً عندما ضعف شأن الأمراء المسلمين، ولقد كان لذلك أثره في فكر ابن حزم ومؤلفاته .

٢- وجود كثير من العناصر المختلفة في المجتمع الأندلسي من عرب، وبربر، وصقالبة، ومَن اعتنق الإسلام من سكان البلاد الأصليين، ومَن بقي على ديانته ذميّاً، والسود، أدَّى إلى تنوُّع الحضارات والثقافات وإثراء المجتمع الأندلسي، مما أثر على أبناء الأندلس جمعيهم ومن بينهم ابن حزم .

٣- نبغت روح الإصلاح في ابن حزم إثر معايشته للمتناقضات الاجتماعية، فكان يحاول البحث عن حلول لعلاج الأمراض الاجتماعية، وإصلاح ما فسد من الأخلاق، كما جاء في كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس).

٤- وجود عنصر اجتماعي في الأندلس لم يكن في غيرها من البلاد الإسلامية بمقدار ما كان فيها، وهو ظهور نساء كثيرات أديبات وشاعرات، فكان لهذه البيئة الناعمة تأثيرُها في تربيته وتوجيهه؛ فقد كان يفيض بالأحاسيس نحو الجمال ولكن في دائرة الحلال لا يعدوها .

٥- على الرغمِ من كثرة وتنوُّع سكان الأندلس، فإنَّ اللغة العربية كانت هي العنصر الموحد بين الشعوب، وكان لذلك تأثيرُه الواضحُ في كتابات ابن حزم التي تمتاز بسلامة التعبير وبلاغة وفصاحة العبارة .

٦- كانت منتزهات قرطبة كمثيلاتها من مدن الأندلس تغصّ باللهو الماجن، والعبث المنحرف، ولم يكن لذلك أثره على ابن حزم، بل كان صاحبَ همةٍ عاليةٍ، وسيّر جاد، وهذه هي صورةٌ صادقةٌ لفضيلةٍ قويةٍ في مجتمعٍ مائجٍ بالأهواءِ والمنكراتِ

وقد تأثر ابن حزم بالأوضاع العلمية في عصره، ويمكن للكاتب أن يشير إلى مدى تأثر ابن حزم بـهذه الأوضاع في النقاط الآتية :

١- عناية الأمراء الأمويين بالعِلم، وظهر ذلك في :

أ. إكرام العلماء وتوقيرهم، وإغداق الأموال عليهم، مما جعل كثيراً من علماء المشرق ينتقلون إلى الأندلس؛ نشراً للمعارف وطمعاً في العطايا .

ب. الاهتمام ببناء المكتبات، وتوفير الكتب في مختلف مدن وأقاليم الدولة، ووجود منافسات علمية بين المدن الأندلسية المختلفة، وأيها أكثر علماً ومعرفةً .

٢- ازدهار العلوم، وكثرة العلماء، ووفرة التأليف، فكان من نتائج تلك الحركة العلمية بروز علماء أجلاء كان على رأسهم ابن حزم الذي أثرى المكتبة الإسلامية بغزير علمه، وتنوع مؤلفاته .

٣- اعتناء كثير من الأسر في الأندلس بجمع الكتب على اختلاف أهدافهم، فمنهم من يجمعها لا لما اشتملت عليه، بل لملء فراغ في الخزانة (المكتبة)، ومنهم مَن يجمعها للقراءة والنقد والتمحيص كابن حزم، ومنهم مَن يجمعها كي يذيع خبره بين الناس .

٤- وجود الخزانة التي أنشأها عبد الرحمن الناصر، الذي تولى الحكم نحو خمسين سنة، وقد حوت أعظم وأهم الكتب، ولا ريبَ أن الإمام ابن حزم اطلع على ما فيها من كتب، ونهل من مواردها العذبة، لأنها بقيت محفوظة إلى أيام الفتن التي قامت في قرطبة من سنة ٣٩٩هـ إلى سنة ٤٠٣هـ .

٥- وجود الصراع بين المسلمين والفرق الأخرى أدى إلى تنشيط الحركة الفكرية في الأندلس .

٦- لم تتأثر الحركة العلمية في الأندلس عند مجيء ملوك الطوائف، بل نهجوا منهاج الأمويين فنهض الأدب والعلم في عصرهم، وكثر الإنتاج الأدبي والعلمي .

٧- تلقى ابن حزم العلم بكل الوسائل المعروفة في تربية الحضارة الإسلامية، فقد تعلَّم من المسجد، والمكتبة، والمناظرة والمساجلة، والمنتديات، وقصور الأمراء، وانعكس هذا الثراء المعرفي في قرطبة والأندلس بعامة على فكره، وانسكب داخل شخصيته .

وبعد ذكر مدى تأثر ابن حزم الظاهري بالأوضاع التي كانت سائدة في عصره، يمكن للكاتب أن يُعَدِّدَ الأسباب التي دفعت ابن حزم إلى الأخذ بظاهر الكتاب والسنة، وإقباله على الظاهرية واعتناقها مذهباً له :

١- دراسة ابن حزم للمذهب الشافعي، وتضلعه في كتبه أثَّر في فكره حيث اكتسب روح المجادلة والمناظرة للبحث عن الحق والتجرد لما يؤازره الدليل ولو كان رأياً متبعاً .

٢- رسوخ قدم ابن حزم في علم الحديث ومحبته له جعلته لا يبتغي بغيره بديلاً ولا يرضى عنه تحويلاً، فكل ما وافقه الدليل فهو حق، وكل ما خالفه فهو باطل لا عبرةَ به .

٣- تحرره من التقليد المذهبي الذي كان يُخَيِّمُ على الأندلس خاصةً، والبلاد الإسلامية عامةً، فالمذهب المالكي كان سائداً في بلاد المغرب، ولم تكن بقيةُ المذاهب رائجةً، فلمَّا انتشر علم الحديث في الأندلس وظهرت كتب اختلاف الفقهاء، عرفت بعض المذاهب الأخرى كالمذهب الشافعي فبدأت بعض مظاهر التغير تحدث في الأندلس .

٤- أنكر ابن حزم القياس وتعليل النصوص، واعتبره تقوّلاً على الله بغير علم، خاصةً أن بعض الفقهاء اتخذه مركباً للوصول إلى السلاطين، فابن حزم كان يشهد المهازل التي تجري على مسرح السياسة الأندلسية – بحكم اختلاطه بالشؤون السياسية - باسم الشريعة، ويعرف من أسرار المجتمع الذي يعيش فيه ما لا تُتاحُ معرفته، ويدركُ أن هذه الموبقات والمفاسد والظلمات إنما وقعت لتجاوز النصوص الشرعية، وتأويلها، والأخذ بالقياس والرأي الشخصي والفتاوى المغرضة المهلكة .

٥- نفرة ابن حزم من تعصب بعض الفقهاء لآراء الأئمة وعدم تعويلها على الأدلة، مما أدَّى إلى الجفوة بين بعض الفقهاء وابن حزم وطعنهم فيه، وتضليله في آرائه واختياراته الفقهية .

٦- ورع ابن حزم وخشيته أن يَنسبَ إلى دين الله ما ليس منه برأي أو قياس أو استحسان، فأقبل على ظواهر النصوص، وأدبر عمَّا سواها .

ما تم التوصل إليه من نتائج :

وفيما يلي يعرض الكاتب لأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : ما يتعلق بالأهداف التربوية :

اهتم ابن حزم الظاهري بمجموعة من الأهداف التربوية، التي تتناسب مع مختلف المراحل العمرية، وتصلح للفئات المختلفة ذكوراً وإناثاً، حيث تضمن كتابه السِفر " المُحَلَّى " الأهداف الآتية :

(أ) الهدف الديني :

اهتم ابن حزم الظاهري بالعلوم الشرعية؛ لأنها الطريق المؤدي إلى تحقيق الهدف الديني، وهو الامتثال لأوامر الله عز وجل .

اهتم ابن حزم الظاهري أيضاً بالعلوم غير الشرعية، لكن بدرجة أقل اهتماماً من العلوم الشرعية، وهذا يدلل على أن التربية عنده تربيةٌ متوازنةٌ تهتم بالحياتين؛ الدنيا والآخرة .

رفض ابن حزم الظاهري أن يكون الهدف المادي (الدنيوي) هو الغاية من التربية .

(ب) الهدف العقلي :

اهتم ابن حزم الظاهري بتوضيح قوة إدراك العقل على إدراك بقية الحواس؛ لأن العقل يشارك الحواس في جميع مداركها، وينفرد عنها بأشياء كثيرة، ويدعو ابن حزم إلى ضرورة إعمال لكن هذا عند غياب ما شهدت بصحته المصادر الشرعية .

البحث عن الحقيقة هو محل ومحور الهدف العقلي عند ابن حزم الظاهري .

(ت) الهدف الأخلاقي :

يقرر ابن حزم الظاهري أن مصدر الأخلاق الأساسي عند الإنسان هو تلك القوة النفسية الداخلية، والتي تمتثل لأوامر الله عز وجل .

الهدف الأخلاقي عند ابن حزم الظاهري يتمثل في تربية الإنسان المسلم على الالتزام بالأخلاق الإسلامية، باعتبارها أوامر ونواهي من الله عز وجل، فهي ربانية المصدر، يفعلها المسلم طلباً للثواب ويتركها خوفاً من العقاب .

يؤكد ابن حزم الظاهري أن الرسول ق هو الصورة الحية لتلك الأخلاق

(ث) الهدف الاجتماعي :

الهدف الاجتماعي للتربية عند ابن حزم الظاهري يتمثل في تطبيق ما جاءت به الشريعة الإسلامية من القيم الاجتماعية وترجمتها إلى واقع ملوس يغمر جميع أفراد المجتمع بالمحبة والود .

واجب على المجتمع المسلم تربية الإنسان المسلم على كل ما يحتاج إليه من القيم الاجتماعية الإسلامية، وتنشئته تنشئةً اجتماعيةً إسلاميةً، ليتكيف مع نفسه أولاً، وبيئته ومجتمعه ثانياً .

(ج) الهدف السياسي :

الهدف السياسي للتربية عند ابن حزم الظاهري يتمثل في تطبيق ما يجلب المصالح للناس، ويدرء عنهم المفاسد في الدنيا والآخرة .

تربية المجتمع في عمله السياسي على كل ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف في مختلف مناحي الحياة .

(ح) الهدف العسكري :

يتمثل الهدف العسكري للتربية عند ابن حزم الظاهري في تربية الجيل المسلم بعواطفه وتفكيره وسلوكه الفردي والجماعي على ضرورة نصرة دولة الإسلام وإعزازها وإعلاء شأنها .

تربية الإنسان على الإيمان بأهمية وظيفة المجاهد ودوره في المجتمع .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " الأهداف التربوية "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

وضع أهداف تربوية واضحة المعالم، تتفق مع المراحل العمرية للطلاب، سواءً أكانت هذه الأهداف أهدافاً عامة أم أهدافاً خاصة (سلوكية) .

على المربين صياغة أهداف تربوية تتصل بالواقع وتُشتق منه، قابلة للتنفيذ، لها آليات موجودة تساعد على تنفيذها، وإبعاد الخيال عن واقع العملية التعليمية .

عقد الدورات التدريبية التعليمية للمعلمين والموجهين والمتابعين لتدريبهم على كيفية وضع الأهداف الخاصة (السلوكية) لكل وحدة دراسية ولكل درس، وكيفية صياغتها، وكيفية تحقيقها .

عقد الندوات التثقيفية للمتعلمين في مختلف المراحل التعليمية؛ لتوعيتهم وتعريفهم بأهمية الأهداف التربوية، ومساعدة معلميهم نحو بلوغ هذه الأهداف، بما يحقق النجاح داخل العملية التعليمية .

ثانياً : ما يتعلق بالتربية الأخلاقية :

أولى ابن حزم الظاهري عناية عظيمة بهذا الجانب؛ لأنه يرى أن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، فالأخلاق العالية هي روح الإسلام ولبه وأساسه وغايته، لأن الدين ليس في كثرة العبادات من صلاة وصوم وزكاة وصدقة، بل إن الدين هو المعاملة الحسنة، التي قد يفوق ثوابها كثيراً من العبادات

قسَّم ابن حزم الظاهري الأخلاق إلى قسمين لا ثالث لهما، هما : الأخلاق الفاضلة الحميدة، والأخلاق السيئة الرزيلة؛ لأنه يرى أن الطاعة مرادف للفضيلة، وأن المعصية مرادفة للرزيلة .

من الأخلاق الفاضلة الحميدة التي توصل إليها الكاتب من خلال القراءة التحليلية لكتاب " المُحَلَّى " ما يلي : الاعتدال والتوسط، وفعل الخيرات، وحُسن الخلق، وإعطاء الحق لأهله، التأدب بآداب المجالس، والعفة، والرفق، والولاء، وشكر المحسن، وأداء الشهادة، ومراعاة غير المستطيع، والاعتراف بالذنب، وإنكار المنكر، وطاعة ذوي العدل، والتيسير .

ومن الأخلاق السيئة الرزيلة التي ذمها ابن حزم، والتي توصل إليها الكاتب من خلال القراءة التحليلية ما يلي : السرقة، والمجاهرة بالباطل، والكذب، والتمادي في الخطأ، والجهل .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " التربية الأخلاقية "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

تضمين ما دعا إليه ابن حزم من أخلاق فاضلة حميدة في المقررات الدراسية للمراحل التعليمة المختلفة، بصورة مباشرة في المراحل التعليمية المتقدمة، وبصورة غير مباشرة في المراحل التعليمية الأولية في ثنايا القصص والحكايات والنصوص .

جعل هذه الأخلاق محوراً أساسياً يمكن الاعتماد عليه في إحياء الدور التربوي للمسرح المدرسي، الذي يصبح هدفه الرئيسي الذي يصبو إليه هو تجسيد هذه الأخلاق في عمل مسرحي راقٍ سامٍ .

دعوة القائمين على شأن الوسائل الإعلامية إلى تأكيد مثل هذه الأخلاق وإبرازها من خلال أعمالهم الإعلامية .

على الأسرة بذل قصارى جهدها لتحويل هذه الأخلاق الفاضلة إلى سلوك يمارسه أبناؤها في حياتهم اليومية .

وعلى النقيض، فدعوة هذه المؤسسات إلى نبذ الأخلاق السيئة الرزيلة أمر واجب، تحتمه الأهداف التربوية السوية .

ثالثاً : ما يتعلق بالتربية الاجتماعية :

توصل ابن حزم الظاهري إلى أن الغاية من أي نشاط اجتماعي يقوم به الإنسان داخل المجتمع، هو " طرد الهمِّ "، فهو غاية يندرج تحتها جميع الغايات الأخرى .

ومن النماذج التي حثَّ عليها ابن حزم الظاهري في مؤلفه " المُحَلَّى " كي يستطيع الإنسان أن يحيا حياةً اجتماعيةً طيبةً :

أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ب- الإحسان إلى الأهل والجيران .

ت- إكرام الضيف .

ث- شكر أصحاب الفضل .

ج- الجود .

ح- مجادلة الناس بالحسنة، وترك المجادلة بالباطل .

خ- الابتعاد عن الرشوة .

أورد ابن حزم الظاهري – بكثرة – بعضاً من الحقوق والآداب الاجتماعية، وقد أفرد الكاتب مساحة خاصة للحديث عن بعض الحقوق والواجبات الاجتماعية، وهي :

حقوق الوالدين .

ب- الحقوق الزوجية .

ت- حقوق الأولاد .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " التربية الاجتماعية "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

توعية أفراد المجتمع بأهمية دورهم الاجتماعي في الحياة، وذلك لأن الإنسان كائن اجتماعي يحتاج بالضرورة إلى باقي عناصر المجتمع .

سعي الهيئات المعنية لإعادة هيبة المعلم ومكانته المرموقة التي يجب أن يحتلها في المجتمع، كي يكون قدوة حسنة لطلابه، فالقدوة الحسنة من أقوى وسائل التربية .

توجيه المتعلمين إلى أن للوالدين حقوقاً واجبةً؛ فهما السبب الأول في وجودهم، وهما ركيزتا الحياة .

توعية الآباء والأمهات بما عليهم من واجبات تجاه أبنائهم، فالأسرة كيان تربوي بالدرجة الأولى .

تذكير المتعلمين بدورهم الإنساني النابع من تعاليم الشريعة الإسلامية، من خلال مساعدة الفقراء، ورفع الضيق عن الأسر المحتاجة وغيرها من الأفعال الحميدة .

إشعار المتعلمين بالمسؤولية الاجتماعية، وتدريبهم على أهمية الاعتناء بنظافة المدرسة باعتبارها المؤسسة التربوية الأهم في حياتهم التربوية .

رابعاً : ما يتعلق بالتربية العقلية :

اهتم ابن حزم الظاهري بالتربية العقلية، واتخذ منها أسلوباً في معالجة الانحرافات الفكرية، يقيناً منه بدور التربية العقلية في بناء الإنسان المسلم وفق منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة .

يقرر ابن حزم الظاهري أنه إذا كانت التربية الإسلامية تهدف إلى تربية الإنسان تربيةً ذاتيةً على الفضيلة؛ ليكون مصدر خير لنفسه وللجماعة، ويكون مسؤولاً عن أعماله وتصرفاته، فإن هذا لا يتأتَّى إلا من خلال تربية الإنسان تربية عقلية واضحة المعالم، ترسم للإنسان طرقاً شرعيةً لحل المشكلات التي تواجهه في كل زمان ومكان .

ومن النماذج التي استنبطها الكاتب ، والتي تدلل على اهتمامه بالتربية العقلية، ما يلي :

أ- أنه ربط التعليم بالتعقل، فالتربية العقلية سابقة للتعليم، فهي الأرض الخصبة لبذر البذور .

ب- حفظ العقل من الفساد وألا يطمئن الإنسان على قدرته في خوض الآراء الفاسدة .

ت- التبصر والتدبر لما له من إعمال العقل والقيام بدوره وأداء وظيفته .

ث- اجتناب التقليد لما فيه من تغييب للعقل وإبعاد للفكر .

ج- النظرة الكلية بما تتضمنه من شمول، فهي من أميز ما يميز الإسلام .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " التربية العقلية "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

التأكيد على أهمية ممارسة الأسلوب العلمي في التفكير، والبعد عن الانحرافات الفكرية .

دعوة قيادات التربية والتعليم إلى الاهتمام بالأنشطة العقلية وإفراد مساحة للتحليل والتأمل .

دعوة القائمين على إعداد المناهج التعليمية إلى البعد عن الحشو في المناهج التعليمية، واستبدال مناهج تدعو إلى التفكير والابتكار بها .

تغيير الأنماط الامتحانية الحالية القائمة على الحفظ، ومحاولة وضع معايير للورقة الامتحانية لقياس أكثر من قدرة، وعدم الاقتصار على قدرة واحدة .

الدعوة إلى إفراد حصص خاصة يُدرَّس فيها النشاط الذي يحبه التلميذ، فما يلاحظه الكاتب الآن في العملية التعليمية ما هو إلا إجبار، فلو أن طالباً يحب الرسم، يفاجئ بأن التقسيم المدرسي يضعه رغماً عنه في نشاط المكتبة مثلاً، ونماذج كثيرة رصدها الكاتب من خلال عمله، والتي تدل على غيابٍ وإهمالٍ يصيب إعمال الأنشطة الطلابية .

إقامة معارض الكتب والوسائل التعليمية التي تساعد المتعلمين في بناء عقولهم بناءً سليماً، يساعدهم على الارتقاء بأنفسهم أولاً والارتقاء بمجتمعهم ثانياً .

استخدام الوسائل التعليمية الحديثة المختلفة التي تساعد المتعلمين في الخروج من روتينية اليوم الدراسي

الاعتناء بالمكتبة المدرسية، من خلال تزويد بالكتب النافعة والمشوقة التي تتناسب وسن الطلاب .

دعوة المعلمين إلى استخدام طرق المناقشة والحوار في الشرح؛ لما لها من أهمية في قراءة فكر الطلاب ومحاولة التواصل معهم بالطريقة والكيفية التي تتناسب معهم وتصلح لهم .

خامساً: ما يتعلق بالتربية الإيمانية :

العلاقة بين العقيدة والتربية علاقة تكاملية وثيقة، فالعقيدة هي مركز التربية، ومنها تستمد التربية قيمها وتوجهاتها، كما تعمل التربية على ترسيخ البناء العقدي الإيماني لتصحيح مسار الإنسان؛ لأن سلامة هذا البناء هي سلامة للجوانب الأخرى، فهو الأساس الذي تقوم عليه الشخصية الإسلامية الإيمانية الإيجابية .

التربية الإيمانية هي الشق الأول والأهم في التربية المستمرة؛ لأنها تعمل على استقرار العقيدة في قلب الإنسان، مكونةً قاعدةً صلبة تُعَدُّ لتكون الركائز والدعائم والأركان الأساسية في حياة الإنسان .

من النماذج التي ذكرها الكاتب مُدلِلاً بها على آراء ابن حزم الظاهري في الجانب العقائدي من التربية الإيمانية - والتي تعمل على تأصيل العقيدة في نفوس النشء كما أراد ابن حزم – ما يلي : نهي النفس عن الهوى، حب الله والخوف منه، والإخلاص في العمل، وحب الإنسان لغيره ما يحب لنفسه، والصدق مع الله، وعدم الجرأة على أحاديث النبي ق .

يقرر ابن حزم الظاهري أنه لن يكتمل إيمان أي إنسان إلا بتحقيق شقيّ الإيمان : العقدي والتعبدي، وما يتركه الجانب التعبدي من آثارٍ طيبة على الفرد والجماعة، والتي منها :

أ- من الآثار التربوية للصلاة : تحقيق الصلة بين العبد وربه، وتكفير السيئات، وترابط المجتمع وتعاونه، والمساواة .

ب- من الآثار التربوية للزكاة : تطهير النفس من البخل والشح والأخلاق الذميمة، وإكمال عضوية الفرد في الجماعة، ونشر روح التعاون والتكافل في المجتمع .

ت- من الآثار التربوية للصوم : تحقيق التقوى، وتحقيق مراقبة العبد لربه، تعويد النفس على الصبر وتحمل الآلام، وتقويم الأخلاق وتهذيب وتطهير النفوس .

ث- من الآثار التربوية للحج : مغفرة الذنوب، تجديد العهد مع الله، التذكرة باليوم الآخر .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " التربية الإيمانية "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

غرس أهمية العبادة وأدائها على أكمل وجه في نفوس المتعلمين، فيُربى المتعلمون على أداء العبادات من خلال معرفة فضلها، وشروطها، وأركانها، وواجباته، ومبطلاتها .

إنشاء مكتب لتعليم القرآن الكريم، أو ما يسمى بـ " المقرأة القرآنية " لتعويد المتعلمين على قراءة القرآن الكريم قراءةً صحيحةً، وربطهم بكتاب الله منذ صغرهم .

التأكيد على إقامة المسابقات الدينية، مثل مسابقات حفظ القرآن الكريم، ومسابقات حفظ الأحادي النبوية، ومسابقات الخطابة والإلقاء .

استضافة المشايخ والعلماء والمفكرين؛ لأن الجلوس مع هؤلاء فيه إثراءٌ لحصيلة المتعلمين من خلال التوجيهات التي يسمعونها، ومن خلال الأسئلة التي يطرحونها .

توعية المتعلمين بخطورة رفقاء السوء وقرناء الشر الذين يفسدون الفكر والخلق .

سادساً : ما يتعلق بالمسجد كمؤسسة تربوية :

اهتم ابن حزم الظاهري في كتابه " المُحَلَّى " بالمسجد ودراسة الأحكام المتعلقة به، مقرراً دور المسجد في المجتمع الإسلامي في كل الجوانب، التي من جملتها دوره التربوي والتعليمي الذي تشكلت من خلاله شخصيات شباب الأمة الإسلامية .

يقرر ابن حزم الظاهري عدة أمور من أمور الدنيا مباحة في المسجد، هي : التحدث بما لا إثم فيه من أمور الدنيا، وإنشاد الشعر، وتعليم الصبيان، والسكن والمبيت فيه، وإدخال الدابة لحاجة، والحكم والخصام، والتطرق، وقد تناول الباحث إنشاد الشعر وتعليم الصبيان بالشرح والتوضيح .

لا مانع لدى ابن حزم الظاهري من منع الصبيان في السن المبكرة من الذهاب للمساجد حفاظاً على نظافتها، وحتى لا تتعرض للأوساخ، وحفظاً للهدوء لإقامة الشعائر بعيداً عن تشويش الصغار؛ لأنهم في هذه السن لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم، أمَّا عندما يصبح الصبيّ مميزاً محترزاً فلا شك أن ذهابه إلى المسجد يعوِّده على إقامة الشعائر الدينية، ويزرع في نفسه حب المساجد .

لم يتقيد ابن حزم بطلب نوع معين من أنواع العلوم في المساجد، فقد أباح طلب أي علم كان في المسجد سواءً كان هذا العلم علماً شرعياً، أم غير شرعي .

بجمع النصوص يتضح أن جملة الأمور التي أباحها ابن حزم الظاهري داخل المسجد هي أربعة عشر أمراً، هي : التحدث بما لا إثم فيه من أمور الدنيا، وإنشاد الشعر، وتعليم الصبيان، والسكن والمبيت فيه، وإدخال الدابة إذا كان لحاجة، والحكم والخصام (الفصل بين الناس)، والتطرق، واللعب، والزفن، وطلب العلم دون التقيد بنوع معين من العلوم، والخياطة، والنسخ، والبيع والشراء، والزواج .

بالنظر إلى جملة هذه المباحات يتضح أن هذه الأمور تغطي معظم – إن لم يكن كل – جوانب الحياة، مما يدلل على محورية ومركزية دور المسجد في الإسلام .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " المسجد كمؤسسة تربوية "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

العمل على إحياء الدور التربوي للمسجد، وعدم النظر للمساجد على أنها أماكن لممارسة الشعائر الدينية فحسب، بل يجب أن يعود المسجد مركزاً للإشعاع الثقافي في المجتمع .

للقائمين على أمور المساجد اتخاذ ما أباحه ابن حزم من الأمور داخل المسجد كلائحة داخلية منظمة للأعمال التي تتم داخل المسجد .

الاستفادة من الدور التربوي للمسجد في تعليم أبناء المجتمع ما لا يقدمه التعليم العام؛ لرفع مستوى الوعي بأحكام الشرع التي يجهلها كثيرون من المتعلمين الآن بسبب عدم الاهتمام بتدريسها في التعليم العام .

عدم الاقتصار على تدريس العلوم الشرعية في المسجد، فكل علم مباح تدريسه في المسجد، وهذا ما أقرَّه ابن حزم .

سابعاً : ما يتعلق بحقوق الطفل ورعايته :

أوضحت الدراسة الحالية مدى اهتمام ابن حزم الظاهري وحرصه على الطفل وحقوقه، فلقد بيَّن من الآراء ما يكفل للطفل حُسن رعايته، واحترام حقوقه والمحافظة عليها، وألزم ابن حزم القائمين على أمره بمراعاة هذه الحقوق وعدم التفريط فيها، وقد أولى اهتماماً خاصاً بالطفل اليتيم والطفل اللقيط؛ لأنه إذا كان الطفل ضعيفاً بطبعه، فإن ضعفه يزداد في حالة فقدان أحد الوالدين أو كليهما .

ومن أهم النتائج في هذا الشأن ما يلي :

أ- ما يتعلق باللقيط :

قال ابن حزم بوجوب الالتقاط؛ حفاظاً على الطفل حتى لا يتعرض للموت جوعاً أو برداً، أو أن يأكله حيوان .

عدَّ ابن حزم الظاهري تارك الالتقاط للطفل - الذي يراه لقيطاً – قاتل عمد، لا أعظم من إثمه .

أقرَّ ابن حزم الظاهري بحرية اللقيط؛ لأن الأصل في الناس الحرية، ومن ثَّمَّ فإن ابن حزم حريصٌ على ألا يدفع اللقيط حريته ثمناً لِمَن كفله .

وضَّح ابن حزم حق اللقيط في امتلاك ماله، وأنَّ هذا المال لا ينتقل إلى الملتقط، بل يظل هذا المال مِلْكاً للقيط حفاظاً على ممتلكاته، ولا يجوز بحالٍ ضم مال اللقيط إلى مال الملتقط .

وضع ابن حزم شروطاً عند ادّعاء أحد المسلمين أبوة اللقيط، مما يوضح حرصه على صالح الطفل اللقيط

ب- ما يتعلق بالحضانة :

وضح ابن حزم من الأحكام الخاصة بالحضانة ما يضمن للطفل حسن التربية والرعاية حال تفرق الوالدين، وقد فضَّل ابن حزم الأمَّ في الحضانة؛ لما لهذا من إعلاء الاهتمام بالجانب النفسي والعاطفي في شخصية الطفل.

نادى ابن حزم بأن تكون الأمُّ هي الحاضنة - إذا كانت مأمونة في دينها ودنياها – للولد أو البنت حتى سن التمييز، سواء كانت الأمُّ حرةً أم أمَةً، تزوجت أم لم تتزوج، رحل عنها الأبُّ أم لَمْ يرحل .

أجاز ابن حزم أن تكون الحضانة للجدة؛ لأن الجدة أم، وأجاز أيضاً أن تكون الحضانة للأبِّ، وللأخ، وللأخت، وللعمة، وللخالة، وللعم، وللخال، ولذوي الرحم الأقرب فالأقرب .

يسقط حق الأم في الحضانة عند ابن حزم في حالة واحدة، هي أن تكون الأم كافرة، فحينئذٍ تسقط عنها الأحقية في الحضانة لكن بعد انقضاء فتر الرضاعة، هذا من شأنه أن يربي النبت الجديد دون التعرض لأية ضغوط نفسية ناتجة عن حرمانه من أمه في أيامه الأولى

ج- ما يتعلق بالرضاعة :

أولى ابن حزم اهتماماً بالغاً بقضية الاستئجار للرضاع؛ لأهميتها المتمثلة في الحفاظ على رعاية الطفل، وإنقاذه من الهلاك، فقد تموت أم الطفل، أو قد تخرج عن إنسانيتها وتأبى إرضاعه، وقد تبعد عنه لأي سبب من الأسباب، ففي مثل هذه الحالات يُحرم الطفل من المصدر الرئيسي لإرضاعه .

أجاز ابن حزم بيع النساء لألبانهن؛ لما في بيع هذه الألبان للأطفال من رعاية لهم من النواحي الجسمية (البيولوجية) .

قال ابن حزم بأن مدة الرضاعة عامان كاملان، وهذه هي المدة التي حددها الله عز وجل، هذه الرضاعة التي تجعل هذا الوليد يشعر بالحنان والعطف والأمن، مما يؤثر بشكل إيجابي في حياته المستقبلية .

د- ما يتعلق بالمساواة بين الأطفال :

شدد ابن حزم على ضرورة المساواة بين الأولاد، فلم يفرق بين ذكر وأنثى؛ لأن هذا من شأنه أن يربي الأبناء تربيةً سويةً خاليةً من الشوائب والضغائن، ولضمان إقامة الحياة بصورة عادلة تحقق السواء بين أفراد الأسرة الواحدة .

من أهم ما أقرَّه ابن حزم في المساواة بين الأولاد، المساواةُ بينهم في النفقات الواجبة، حتى لا يترتب على تفضيل أحدهم حياة أسرية خالية من مظاهر التواص والتعاطف .

هـ- ما يتعلق بتسمية الأطفال، والعقيقة عنهم، وإباحة لعبهم :

أوجب ابن حزم ضرورة تسمية الطفل الصغير باسم حسن، فهُوية الطفل تبدأ من اسمه، وحذَّرَ من تسمية الأطفال أسماء تحمل معانٍ كريهة غير مألوفة، هذا مراعاةً للحالة النفسية للطفل عند تعامله مع أفراد بني جيله .

جوّز ابن حزم أن يعقَّ الإنسان عن أولاده إذا ما كان مقتدراً .

أباح ابن حزم ودعا إلى اللعب للأطفال؛ وذلك لأن طبيعة الطفل تدعوه للعب كي يستطيع إخراج الطاقة الكامنة التي بداخله .

و- ما يتعلق بحرية الأطفال في السكن، وحكم الإجهاض، ومولد الأطفال على دين الفطرة :

أقر ابن حزم حرية الأطفال في السكن، بشرط اكتمال نضجهم، وقدرتهم على تحمل المسؤولية، واستطاعتهم الحفاظ على أنفسهم بعيداً عن ارتكاب المعاصي .

حرَّم ابن حزم الإجهاض على الأم لأي سبب كان، مما يحمل الأم مسؤولية رعاية الطفل مذ كان جنيناً في بطنها .

وضح ابن حزم أن كل من لم يبلغ من الأطفال فهو مسلم بإسلام مَن أسلم من أبويه، أمَّا مَن بلغ فهو حرٌّ في اختيار ديانته .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " حقوق الطفل ورعايته " يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أن تَتِمَّ مِن خلال :

تنمية وعي القائمين على دور اللقطاء والأيتام (الملاجئ) بحقوق هذه الفئة من الأطفال، وأهمية العناية بهم ورعايتهم وحسن تربيتهم .

الاهتمام بدور اللقطاء والأيتام من حيث الاهتمام بتوفير كافة الإمكانات اللازمة لتحويل هذه الدور غلى مؤسسات تربوية، تقوم بدورها في تنشئة هؤلاء الأطفال تنشئةً سوية سليمةً، سواءً أكانت هذه الإمكانات مادية أم بشرية أم معنوية .

إعداد المطبوعات، وعقد الندوات بهدف توعية أفراد المجتمع تجاه هؤلاء الأطفال، وأهمية دورهم في التربية والتنشئة، ومشاركتهم في حياتهم .

توعية الآباء والأمهات الذين تم الانفصال بينهما بطلاق أو بغيره بحق الأطفال في ألا يحرموا من أحد والديهم، بمنعهم من زيارته إذا كانوا في حضانة الآخر، لما في ذلك من آثار سلبية تؤثر على الجانب النفسي من شخصية الأطفال، وتوعيته أيضاً بضرورة المساواة بين الأطفال .

توعية الأمهات بأهمية الرضاعة الطبيعية للأطفال؛ لما في ذلك من رعاية لهم من الناحية الجسمية (البيولوجية)، ومن الناحية النفسية (السيكولوجية)، ويمكن أن تتم هذه التوعية عن طريق رسائل الإعلام وخاصةً البرامج الدينية .

ثامناً : ما يتعلق ببعض قضايا العلم والتعليم :

اهتم ابن حزم بالعلم والتعليم اهتماماً كبيراً، وكان من مظاهر هذا الاهتمام ما يلي :

أعلى ابن حزم من قيمة العلم والعلماء، مؤكداً أن العلم هو الوسيلة الوحيدة التي عن طريقها يتمكن الإنسان من معرفة وإدراك ما حوله، وتسخير ما في الكون لخدمته .

أقرَّ ابن حزم بأفضلية العالم لا الجاهل، وترجع أهمية العلم إلى ما يعود على الإنسان من نفع، فهو أفضل مقتنى وأغلى مكتسب .

جوّز ابن حزم أن يأخذ المعلم أجراً على تعليمه العلم، وفي هذا إشارة لضرورة الاعتناء بالمعلم، بحيث لا يدفعه راتبه القليل في مهنة التدريس إلى البحث عن عمل آخر بجوار التعليم، أو إلى ترك مهنة التعليم نهائياً، لتحقيق احتياجاته ومتطلباته الأساسية في الحياة، فمهنة التعليم مهنة تحتاج إلى تفرغ لتحصيل العلم .

جوّز ابن حزم أخذ أجر على تعليم القرآن الكريم، فقد أباح عدة أمور مباح أخذ أجر عليها، هي : تعليم القرآن، وتعليم العلم، والرقي، ونسخ كتب العلم، لكنه وضع شرطين لصحة الإجارة، هما : تحديد العمل، وتحديد مدة العمل .

قال ابن حزم بأن السحر موبقٌ لا يفيد، وتعليم الشيء الذي لا يفيد مضيعة للوقت والجهد .

أباح ابن حزم ضرب المعلم للمتعلم بغرض التربية، بشرط ألا يترك الضرب وراءه ألماً مستديماً، فابن حزم يقرر ضرورة تأديب آتي المنكر، والمقصر في أداء ما عليه، والمقصر في حق آدمي آخر، والمتعلم المقصر هو مقصرٌ في حق نفسه أولاً .

بيَّن ابن حزم وفصَّل عدة أحكام تتصل بالتعامل مع المصحف وكتب العلم، فقد جوّز ابن حزم التعامل مع المصحف على كل حالة، بطهارة وبغير طهارة، بما يمكِّن طلاب العلم من مدارسة القرآن وقراءته، ورفع الحرج عن الطلاب الذين تتطلب دراستهم حمل المصحف والقراءة فيه .

أباح ابن حزم بيع المصاحف وكل كتب العلم، لكنه أوجب القطع على سارق المصحف وكتب العلم، وهذا الوجوب يحمل زجراً لكل مَن تسول له نفسه سرقة المصاحف أو كتب العلم، ويحرم الطلاب والراغبين من الانتفاع بها .

لم يجوّز ابن حزم السفر بالمصحف إلى أرض العدو، وذلك حفاظاً على قدسية القرآن الكريم .

١٠- حفَّز ابن حزم السعي في تعليم القرآن الكريم؛ لأن القرآن هو منهج الحياة الذي لا غنى عنه لكل مسلم، كي يستطيع إقامة حياته وفق المنهج الرباني

١١- أباح ابن حزم ذكر الله بغير العربية لمَن لا يحسن اللغة العربية، لكن قراءة القرآن لا تجوز إلا بالغة العربية، فأوجب على الذين لا يحسنون اللغة العربية تعلمها حتى يتمكنوا من قراءة القرآن بلغته التي نزل بها .

١٢- حَسّنَ ابن حزم تعليم الرمي، لما له من فضل عظيم ومنفعة كبرى، ويرتبط هذا التحسين بمجال مهم من مجالات التربية، وهو مجال التربية الجسمية (البدنية)، الذي يهتم بالصحة الجسمية للأولاد، بما يدفع المربين إلى العناية بالصحة الجسمية للمتعلمين، مما يؤهلهم لبذل مزيد من الجهد في سبيل تحصيل العلم .

وبالنظر في نتائج الدراسة فيما يتعلق بهذا المحور " بعض قضايا العلم والتعليم "، يمكن القول بأن الاستفادة من هذه النتائج في مجال التربية في الوقت الحاضر يمكن أَن تَتِمَّ مِن خلال :

١- تضمين المقررات الدراسية في مختلف المراحل التعليمية المفاهيم الخاصة بفضل العلم وشرف السعي إليه، مما يحث المتعلمين على بذل قصارى جهدهم في التحصيل وشعورهم بقيمة العلم وأهميته .

٢- ضرورة الاعتناء بالمعلم، بحيث لا يدفعه راتبه الهزيل في مهنة التعليم إلى البحث عن عمل آخر بجوار التعليم، إنما يجب على الدولة أن توفر له ما يكفل له حياة معيشية كريمة يستطيع من خلالها تلبية احتياجاته ومتطلباته الأساسية .

توعية العامة بعدم جدوى تعليم السحر والشعوذة، والتركيز على توضيح أضراره على الفرد والمجتمع، وذلك عن طريق مؤسسات التربية الرسمية وغير الرسمية .

الاهتمام بتدريس مقررات اللغة العربية لما لها من أهمية في فهم كتاب الله عز وجل، وفي متابعة التعليم فلن يتم التعليم دون إلمام بقواعد اللغة العربية .

على القائمين على شأن التعليم الاهتمام بممارسة المتعلمين للتربية البدنية داخل المؤسسات التربوية، حفاظاً على أجسامهم بما يحقق لهم القدرة على مواصلة العملية التعليمية .

يمكن للمؤسسات الرياضية –كإحدى مؤسسات التربية غير الرسمية – إعداد برامج رياضية خاصة تتناسب والمراحل العمرية المختلفة، ليتمكن المتعلمون من ممارسة هذه البرامج بكل يسر، وليحقق لهم السواء الصحي .

إضاءات وتوصيات :

في ضوء ما تقدم يوصي الكاتب بما يأتي :

١- التأكيد على أن نجاح العملية التعليمية في تحقيق أهدافها لا يقع على كاهل مؤسسة تربوية بعينها، وإنما يحتاج إلى شراكة مجتمعية من كافة مؤسسات المجتمع حتى يتسنى تحقيق هذا النجاح.

٢- عقد الندوات والمؤتمرات وورش العمل لرجال التربية؛ لتعريفهم المجتمع بأهمية العملية التربوية ككل، وضرورة صياغة أهداف تربوية واقعية.

٣- ضرورة التنسيق بين كافة مؤسسات المجتمع، لاسيما المدرسة والأسرة ودور العبادة من أجل الحفاظ على قيم المجتمع كركيزة أساسية لحماية أبنائه ضد أية أخطار.

٤- تضمين المقررات الدراسية – خاصة في المراحل الأولى للتعليم – بالآداب والقيم التي يجب أن يتحلى بها الفرد المسلم، باعتبارها محوراً أساسياً في حياة الإنسان.

٥- إحياء دور المسرح المدرسي والاستفادة منه في مجال تجسيد القيم النبيلة الحميدة ونبذ السيئة الرزيلة.

٦- ضرورة اهتمام المربين بتطوير أساليب التربية الاجتماعية، بما يضمن تعويد النشء على ممارسة العادات الاجتماعية السليمة، والتي من شأنها أن تعمل على تنشئتهم تنشئةً إسلامية صحيحة .

٧- ينبغي على المربين تربية المتعلمين تربيةً عقلية تعمل على علو تفكيرهم واتساع مداركهم وزيادة قدراتهم على ممارسة أساليب الحوار والمناقشة وتنمية معارفهم ومعلوماتهم ومهاراتهم، بما يسهم في تربيتهم على طلب العلم وحب المعرفة.

٨- ضرورة عقد دورات تدريبية لأئمة المساجد، يتم من خلالها تدريبهم على الاستفادة من المسجد في المشاركة في دعم الدور التربوي والتعليمي في المجتمع.

٩- على القائمين على أمور المساجد في وزارة الأوقاف السعي الجاد لإعادة الدور التربوي والتعليمي للمسجد، وعدم النظر إلى المساجد على أنها أماكن لممارسة الشعائر الدينية فحسب، بل النظر إليها على أنها مراكز إشعاع ثقافي وتربوي وتعليمي.

١٠- دعوة القائمين على وسائل الإعلام إلى الاهتمام بتوضيح أهمية العلم وفضله في تقدم الأمم وازدهارها، وإعطاء مساحة أكبر لأخبار العلم والعلماء والمنجزات العلمية لأهم العلماء المسلمين عبر العصور.

١١- تأكيد الأئمة والدعاة على احترام الإسلام العلوم الطبيعية واعترافه بقيمتها وأهميتها، وتوعية العامة بالبعد عن السحر والشعوذة؛ لدفع المجتمع للتقدم ومحاولة القضاء على أسباب التخلف.

١٢- توعية الآباء والأبناء بما لكلٍّ منهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه الطرف الآخر، بما يحقق التماسك بين أعضاء الأسرة، ويساعد على أداء الوظيفة التربوية على أكمل وأتم وجه.

١٣- دعوة القائمين على دور اللقطاء – الملاجئ – إلى الاهتمام بحقوق هذه الفئة من الأطفال، والعمل على حسن رعايتهم وتربيتهم كي يكونوا أعضاء صالحين نافعين في المجتمع.

١٤- ضرورة الاهتمام بدور اللقطاء – الملاجئ – من حيث الإمكانيات المادية والبشرية بهدف تحويل هذه الدور إلى مؤسسات تربوية تقوم بدورها في التنشئة على أكمل وجه، ويقترح الكاتب أن تكون هذه المؤسسات تحت رعاية وزارة التربية والتعليم المشاركة مع وزارة التضامن الاجتماعي .

١٥- أن تدرَّس اللغة العربية في جميع المراحل التعليمية، وفي جميع أنواع التعليم المختلفة كمادة أساسية، ويرى الكاتب ضرورة حصول طلاب الدراسات العليا وطلاب الماجستير والدكتوراه على دورات في اللغة العربية، واعتبار الحصول على هذه الدورات متطلباً من المتطلبات اللازمة لإتمام الدراسة .

١٦- ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية لأهل لسانها ولغير أهل لسانها، تعلَّم لأهل لسانها؛ لأن اللهجات العامية الآن أبعدت الإنسان عن أصول اللغة الفصحى، وأدخلت مفردان ومصطلحات جديدة، وأصبحت اللغة الفصحى مهمشة مهجنة لا يهتم بها إلا المتخصصون، وتعلَّم لغير أهل لسانها؛ كي يستطيعوا قراءة الحضارة الإسلامية وتاريخها، وحتى يعلموا عن الإسلام من أهل الإسلام .

١٧- دعوة قيادات التربية والتعليم إلى الاهتمام بممارسة النشاط الرياضي في مؤسسات التعليم .

١٨- حثّ المتعلمين والباحثين إلى قراءة النصوص التربوية لكبار المفكرين الإسلاميين مِمَن أقاموا صرحاً شامخاً متميزاً في الفكر التربوي الإسلامي؛ وذلك لتكوين بصيرة تربوية إسلامية متأصلة .

١٩- توعية كل إنسان بأهمية الإرث الإسلامي؛ بما يضمن المحافظة عليه، والاهتمام به، والتزود منه، والدفاع عنه .

٢٠- طباعة النتائج المتوصَل إليها في هذا الكتاب وتعميمها على المعلمين والمتعلمين والقائمين على العملية التربوية والتعليمية حتى تعمَّ الفائدة منها .

مراجع الكتاب

القرآن الكريم :

كتب الأحاديث النبوية :

١- ابن خزيمة (أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ت٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، لبنان: بيروت: المكتب الإسلامي، (د.ت).

٢- ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني ابن ماجة ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان: بيروت: دار إحياء الكتب العربية، (د.ت) .

٣- أبو داود (أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لبنان: بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت) .

٤- أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٥- إسحاق بن راهويه (أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي ت٢٣٨هـ)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق :عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، السعودية:المدينة المنورة:مكتبةالإيمان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٦- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ق وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، لبنان: بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ .

٧- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي ت٢٧٩هـ)، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل،ط٢، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مصر: القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٨- الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مصر: القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د.ت) .

٩- ، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

١٠- النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ت٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن الكبرى أو السنن الصغرى، ط٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، سوريا: حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م .

المصادر :

١٢- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصر: القاهرة: مكتبة القدس، ١٣٥١هـ

١٣- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني التغلبي ت٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، لبنان: بيروت: دار الثقافة، ١٤١٧هـ .

١٤- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت٥٧٨هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ط٢، تصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

١٥- ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن تقي الدين بن شهاب الدين ت٧٢٨هـ)، العبودية، ط٥، السعودية: الرياض: دار المغني، ١٤٢٨هـ .

١٦- ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، ١٣٩٨هـ.

١٧- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ط٢،لبنان: بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

١٨- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن ولي الدين بن محمد ت٨٠٨هـ)، العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مصر: القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت) .

١٩- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر ت٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لبنان: بيروت: دار الثقافة،١٩٧٠م .

٢٠- ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط٢٦، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ .

٢١–، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط٢، لبنان: بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٥م .

٢٢–، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تعليق: محمد حامد الفقي، اعتنى به: محمد بن عبادي بن عبد الحليم، مصر: القاهرة: دار الصفا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٢٣- ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر البصري ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢٤- ابن ماكولا (أبو نصر علي بن هبة الله ت٤٧٥هـ)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، الهند: حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ /١٩٦٣م .

٢٥– ابن مفلح (محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعد بن مفلح ت٦٥٠هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، السعودية: الرياض: دار أحد، (د.ت) .

٢٦– الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب بن طرارة الكناني البصري ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٥م .

٢٧- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مصر: القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م .

٢٨- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت) .

٢٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ .

٣٠- ، تذكرة الحفاظ، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٣١- سير أعلام النبلاء، ط٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم القرقسوسي، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ .

٣٢- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ت٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مصر: القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٢٣هـ/ ١٩٧٣م .

٣٣-المفردات في غريب القرآن، تحقيق : محمد سيد كيلاني، لبنان: بيروت: دار المعرفة، (د.ت) .

٣٤- الرازي (أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن شاهور الأسدي ت٦٥٤هـ)، منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق : سعيد عبد الفتاح، مصر: القاهرة: دار سعاد الصباح، ١٩٣٣م .

٣٥- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م .

٣٦- الزركشي (بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري ت٧٩٤هـ)، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ط٤، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، مصر: القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٦م .

٣٧- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، تحقيق: جماعة من العلماء، ط٢، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٣٨- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي ت٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، ط٢، مصر: القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٩٥هـ .

٣٩- الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، لبنان: بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٨٨٤م .

٤٠- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، مصر: القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (د.ت) .

٤٢– الماوردي (علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، مصر: القاهرة: الشركة العربية للنشر، ١٩٧٥م .

٤٣- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت١٠٤٠هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف البقاعي، لبنان: بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م .

٤٤– النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن حزام ت٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب للشيرازي، تحقيق وتعليق: محمد نجيب المطيعي، السعودية: جدة:مكتبة الإرشاد، (د.ت) .

٤٥–روضة الطالبين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .

٤٦- اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، لبنان: بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠هـ .

٤٧- صاعد الأندلسي (أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد ت٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، مصر: القاهرة: المكتبة المحمودية التجارية، (د.ت) .

٤٨- عبد الواحد المراكشي (محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ت٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، مصر: القاهرة: دار الاستقامة، ١٩٦٣م

٤٩- لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ت٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

كتب الإمام ابن حزم :

٥١– ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ)، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٥٢- الدرة فيما يجب اعتقاده، تحقيق: أحمد ناصر الحمد، وسعيد القزقي، مصر: القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ .

٥٣- الفِصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم النصر، وعبد الرحمن عميرة، لبنان: بيروت: دار الجبل، (د.ت) .

٥٤- المُحَلَّـى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر: القاهرة: دار التراث، (د.ت) .

٥٥- جمهرة أنساب العرب، نشر وتحقيق وتعليق: إ.ليفي بروفنسال، مصر: القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م

٥٦- ديوان ابن حزم، جمع وتحقيق ودراسة: صبحي رشاد عبد الكريم، مصر: طنطا: دار الصحابة، ١٤١٠هـ

٥٧- رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، لبنان: بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م

٥٨- طوق الحمامة في الألفة والألآف، تحقيق: حسن كمال الصيرفي، مصر: القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٦٤م .

الرسائل العلمية :

٥٩- أحمد عبد الحميد أحمد أبو عرايس، "الآراء التربوية في كتابات ابن مسكويه المعلم الثالث ٣٢٥هـ-٤٢١هـ"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٧٧م .

٦٠- أسامة عبد الرحمن جودة، "الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته"، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

٦١- السيد عبد القادر الرفاعي شريف، "الآراء التربوية في كتابات محمد فريد وجدي"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٠م .

٦٢- إيمان محمد عارف مقدم، "الآراء التربوية في خطب ووصايا الخلفاء الراشدين"، رسالة دكتوراه، كلية التربية بأسوان، جامعة أسيوط، ١٩٩١م .

٦٣- إيناس رشدي حسن، "الآراء التربوية للشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي ومدى الاستفادة منها في تطوير أساليب التربية المعاصرة في مصر"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنيا، ١٩٨٩م .

٦٤- بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف، "آراء ابن حزم الظاهري في التفسير (ت٤٥٦هـ) جمعاً ودراسة من الآية ٢٠٤من سورة البقرة إلى نهاية السورة وعدد المسائل ١١٠ مسألة"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ .

٦٥- حسين عبد الله بانبيلة، "بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.

٦٦- حنان بنت عيضه بن دوخي بن عثمان الثبيتي، "آراء الإمام ابن حزم الظاهري في التفسير ٣٨٤هـ-٤٥٦هـ من الآية ١٣٦ من سورة النساء إلى الآية ٥ من سورة المائدة جمعاً ودراسة"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ.

٦٧- سليمان المزين، "الفكر التربوي عند أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بـ طاش كبرى زادة"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤١٨هـ.

٦٨- صالح مقبل، "الفكر التربوي عند الشوكاني"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ ٦٩- عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، "الآراء التربوية في كتابات ابن سينا"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م.

٧٠- عبد الله بن إسحاق سماورو، "آراء ابن حزم الظاهري (٣٨٤-٤٥٦هـ) في التفسير جمعاً ودراسة من سورة التوبة الآية ١٠٤إلى نهاية سورة النور ومجموع المسائل ١٠٥"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.

٧١- علي بن جريد بن هلال العنزي، "آراء ابن حزم الظاهري في التفسير جمع ودراسة من بداية سورة التوبة إلى نهاية آية ١٠٣ من السورة نفسها"، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.

٧٢- علي حسين غاصب، "المفاهيم التربوية عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال كتابه التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ.

٧٣- عماد جميل عبد الرحمن عبيد، "جهود ابن حزم في جدال اليهود"، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٧م.

٧٤- عوض بن ردة السعدي، "المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية من الأحاديث الصحيحة"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م.

٧٥- غالب حسن نصر الله، "مضامين تربوية مستنبطة من كتاب الأدب في صحيح البخاري"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٩٩٨م .

٧٦- فيصل بن راجح بن رجاء العصلاني، "آراء الشيخ عبد الله بن قعود رحمه الله التربوية من خلال مؤلفاته وتطبيقاتها التربوية"، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ .

٧٧- محمد محمد إبراهيم مؤنس، "الآراء التربوية في كتابات رفاعة الطهطاوي"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنوفية، ١٩٨٣م .

٧٨- هناء عبد الرحمن محمد النجار، "الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٩م .

٧٩- يوسف حسن سليمان أبو معمر، "الأبعاد التربوية المتضمنة في كتاب الأذكار للنووي"، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٨م .

الكتب :

٨٠- أحمد بن ناصر الحمد، ابن حزم وموقفه من الإلهيات. عرض ونقد، السعودية: مكة المكرمة: جامعة أم القرى معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٦هـ .

٨١- أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٣، مصر: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩ .

٨٢- أحمد عبد العال محمد، الشيخ محمد أبو زهرة وفكره التربوي، مصر: كفر الشيخ: دار العلم والإيمان، ٢٠٠٩م .

٨٣- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، مصر: القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م .

٨٤- أحمد فريد، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، السعودية: الرياض: دار طيبة، ١٤٢٥هـ .

٨٥- أحمد محمد بكير، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب،لبنان:بيروت: دار قتيبة، ١٤١١هـ .

٨٦- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، مصر: القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م .

٨٧- الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط٢، مصر: القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٨٨- أمين أنور الخولي، أصول التربية البدنية والرياضية. المدخل التاريخ الفلسفة، ط٣، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٨٩- حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٤م .

٩٠- حسن بن علي الحجاجي، الفكر التربوي عند ابن القيم، السعودية: الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ .

٩١- خالد الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس (٩٢-٨٩٧هـ)، فلسطين: غزة: دار الأرقم، ٢٠٠٠م .

٩٢- خالد السيد روشة، لذة العبادة، ط٣،مصر:الإسكندرية : دار الصفا والمروة، ١٤٢٨هـ .

٩٣- خليل عبد الله عبد الرحمن الحدري، التربية الوقائية في الإسلام، السعودية: مكة المكرمة: جامعة أم القرى معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ .

٩٤- زكريا إبراهيم، ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي، مصر: القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م .

٩٥- عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط٢، مصر: القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٩٦- عبد الحميد البلالي، البيان في مداخل الشيطان،لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م .

٩٧- عبد الرحمن الغامدي، دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، السعودية: الرياض: دار الخريجي، ١٤١٨هـ .

٩٨- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط٣، سوريا: دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ .

٩٩- التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ط٢، السعودية: الرياض: مكتبة أسامة، ١٤٠٥هـ .

١٠٠– عبد الرحمن بن عبد الوهاب البابطين، مرجع الآباء في تربية الأبناء، ط٢، السعودية: الرياض: دار القاسم، ١٤٢٨هـ .

١٠١- عبد الرحمن علي الحجي، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٣، سوريا: دمشق: دار القلم، ١٩٨٧م .

١٠٢– عبد الغني عبود، وحسن عبد العال، التربية الإسلامية. تحديات العصر، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٠م .

١٠٣- عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه، لبنان: بيروت: مطابع معتوق إخوان، (د.ت) .

١٠٤– عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط٣، سوريا:دمشق: دار السلام، ١٤٠١هـ .

١٠٥- عبد المجيد محمود عبد المجيد، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، مصر: المنصورة: دار الوفاء، ١٩٧٩م .

١٠٦- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٥٧م .

١٠٧- عمر فروخ، ابن حزم الكبير، لبنان: بيروت: دار لبنان، ١٤٠٠هـ .

١٠٨- عمر محمد الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ط٦، ليبيا: طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م .

١٠٩- علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، لبنان: بيروت: دار النهضة العربية، ١٤١١هـ

١١٠- علي خليل مصطفى، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط٣، السعودية: المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٨ هـ .

١١١–قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين، مصر: المنصورة: دار المجتمع – دار الوفاء، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

١١٢– علي محمود، تربية الناشئ المسلم، ط٢، مصر: المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٣هـ .

١١٣– سعيد إسماعيل علي، وآخرون، التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات، السعودية: الرياض: دار الراشد، ٢٠٠٥م .

١١٤- سعيد الأفغاني، ابن حزم الأندلسي ورسالة المفاضلة بين الصحابة، ط٢، لبنان: بيروت: دار الفكر العربي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

١١٥- سعيد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، السعودية: مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

١١٦- فيليب هـ .فينكس، فلسفة التربية، مصر: القاهرة: دار النهضة العربية للكتاب، ١٩٨٢م .

١١٧– ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفردوالمجتمع، فيريجينيا،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

١١٨- تطور مفهوم النظرية التربوية، سوريا: دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٥هـ .

١١٩– ماجد زكي الجلاد، دراسات في التربية الإسلامية، الأردن : عمان : دار الرازي، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م .

١٢٠- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م

١٢١–زهرة التفاسير، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧م .

١٢٢- محمد أحمد السيد، معجزة الإسلام التربوية، الكويت: الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٨٧م .

١٢٣– محمد الغزالي، خلق المسلم، ط٧، مصر: القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٠م .

١٢٤- محمد المرصفي، وآمال المرزوقي، التربية الإسلامية وأشهر المربين المسلمين، مصر: المنصورة: مطابع الوفاء، ١٤١٠هـ .

١٢٥– محمد سيف الدين فهمي، النظرية وأصولها الفلسفية والنفسية، مصر: القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م .

١٢٦- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، مصر: القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢م .

١٢٧- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. الخلافة الأموية والدولة العامرية، ط٤، مصر: القاهرة: مكتبة القلم، ١٩٨٧م .

١٢٨– محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مصر: القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١م .

١٢٩– محمد منتصر الكتاني، معجم فقه ابن حزم الظاهري، سوريا: دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٥هـ .

١٣٠– محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، مصر: القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣م .

١٣١– محمد ناجح أبو شوشة، التراث التربوي في المذهب الشافعي، مصر: كفر الشيخ: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م .

١٣٢– محمود أحمد السيد، معجزة الإسلام التربوية، الكويت: الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ١٣٩٨هـ .

١٣٣– محمود السيد سلطان، الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام، مصر: القاهرة: دار الحسام، ١٤٠١هـ .

١٣٤– مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، لبنان: بيروت: دار الريحاني، ١٤٠٦هـ .

١٣٥– ـــــ، دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، ط٢، السعودية: الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١١هـ

١٣٦– مصطفى رجب، مع تراثنا التربوي شخصيات ونصوص، مصر: القاهرة: مكتبة كوميت، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ .

١٣٧-وحسين طه، مناهج البحث التربوي بين النقد والتجديد، مصر: كفر الشيخ: دار العلم والإيمان، ٢٠٠٩م .

١٣٨– منصور الرفاعي عبيد، مكانة المسجد ورسالته، مصر: القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م

المؤتمرات والمعاجم :

١٣٩- سعيد إسماعيل علي، " أهداف المدارس الإسلامية "، أبحاث مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية، مصر: القاهرة ٢٩-٣١ يوليو ١٩٩٠م .

١٤٠– مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر: القاهرة: المطابع الأميرية (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .